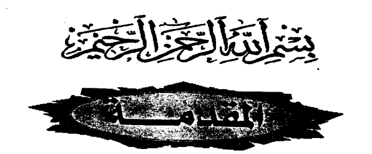
ربيع إبراهيم محمد الشيخ

أخلاق الإسلام
و
أخلاق دعاته

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة . تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولـى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



الحمد لله رب العالمين، نحمده - سبحانه وتعالى - ونستعينه ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق فسوى، وقدر فهدى، وأخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بيَّن الغاية التى من أجلها بعثه الله - سبحانه وتعالى - فقال: «إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق» (١).

وبعد . . .

فقد لُوحظ أن قطاعًا كبيراً من الناس يصلُّون، ويصومون، ويزكون، ويحجون، وربما تعدوا ذلك إلى النوافل والمندوبات؛ ولكن رغم ذلك لا أثر لهذه العبادات على سلوكهم وأخلاقهم، فقد تجد المصلى يغُش ويكذب، ويغتاب الناس، وقد يأكل أموالهم ظلمًا، وقد يهتك أعراضهم، وقد تجد الصائم يسب ويقذف، ويفعل الموبقات، وقد تجد المزكى يَمُنّ على من يعطيه ويؤذيه، وقد تجد الحاج يلتهم أموال الناس بالباطل، وهؤلاء جميعًا؛ إما أن يكونوا لا يعيشون هذه العبادات بأرواحهم وقلوبهم ابتغاء مرضاة الله، فأداؤهم لها أداء صورى شكلى لا جوهرى؛ وإما أنهم يفصلون بين العقيدة والأخلاق، وبين العبادة والمعاملة، فشعارهم أن العبادة شئ، والحياة شئٌ آخر. فهم يَقْصرون العبادة على مجرد أدائها، فهؤلاء أصيبوا بانفصام فى الشخصية؛ فهم فى المسجد أولياء

---

(١) رواه الإمام مالك فى الموطأ - ورواه أحمد فى مسنده بلفظ (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) من حديث أبى هريرة - وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح [انظر جـ١٧ حديث رقم ٨٩٣٩].

صالحون، وخارجه ذئابٌ ضوار . . . فهؤلاء ما فهموا العبادات حق الفهم، ففى الحقيقة ما فرضت العبادة إلا لتهذيب الأخلاق، وتقويم السلوك - فضلاً عن أنها طاعة مطلقة لله فلقد سأل الرسول ﷺ أصحابه ذات يوم فقال: «أتدرون من المفلس؟. قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال ﷺ: المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار» (١).

فهذا الفهم السقيم، والسلوك المعوج دفعنى لأن أكتب فى هذا المجال، فهى محاولة متواضعة، حاولت أن أبين أولاً دور العبادات فى تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق، وكيف أن العبادات إذا لم تقم بهذا الدور فلا فائدة فيها، ثم بعد ذلك عرضت للحديث عن بعض الأخلاق الإسلامية، ولم أرتبها بحسب أهميتها ولا ضرورتها - من وجهة نظرى - ومنهجى فى الاستدلال أن أستدل بالقرآن أولاً - إن وجدت فيه ما يدل على ما أريد أن أقوله - ثم السنة المشرفة فأستدل بالصحيح لذاته، والصحيح لغيره، والحسن لذاته والحسن لغيره، وقد أستشهد بالحديث الذى اختُلف فى تصحيحه وتضعيفه ما دام مندرجًا تحت أصل معمول به، ويكون على سبيل الاعتبار والاستشهاد ثم بعد ذلك أعرج على أقوال وأفعال السلف الصالح - رضى الله عنهم أجمعين - وفى نهاية كل موضوع أخص العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية ببعض متطلبات الدعوة، وكيف تتأصل هذه الأخلاقيات فى العاملين فى حقل الدعوة . . .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل 66

ربيع إبراهيم محمد الشيخ

القاهرة فى:
الأحد ٦ من جمادى الأولى ١٤٢١ هـ
الموافق ٦ من أغسطس ٢٠٠٠ م

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة ورواه أحمد فى مسنده جـ١٧ حديث رقم ٨٨٢٩.

الفصل الأول

العبادات وأثرها
فى تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق

- أولا : الصـــلاة
- ثانيا : الزكـــاة
- ثالثا : الصيـــام
- رابعا : الحـــج

أولا : الصـــــلاة

● **الحكمة من توزيع الصلوات على اليوم والليلة :**

لعل الحكمة التى من أجلها جعل الله – عز وجل – الصلوات الخمس موزعةً على اليوم والليلة، ولم يجعلها دفعةً واحدة فى جزء من الليل أو النهار، لعل الحكمة من ذلك أن يظل العبد على صلة دائمة بالله – عز وجل – فهو يصلى الصبح ثم يخرج لكسب رزقه، فربما وهو فى خضم الحياة يزل زلة أو يذنب ذنبًا، فتأتى بعد ذلك صلاة الظهر، يقف فيها العبد بين يدى الله – تعالى – مستشعراً عظمة الله، فيركع ويسجد، ويستغفر، ويطلب من ربه العفو والصفح، ويجدد العهد مع الله، ثم يخرج إلى عمله، فتأتى صلاة العصر فيجدد العبد عهد الله عليه، ثم صلاة المغرب، ثم صلاة العشاء فيقف فيها العبد مختتمًا أعمال يومه مستغفرًا لذنبه منيبًا إلى ربه، ينام مغتسلاً من الذنوب.

ففى تكرار وقوف العبد بين يدى خالقه ومولاه؛ غسلٌ للقلب والجوارح من الذنوب.

فقد روى الطبرانى «عن عبد الله بن مسعود. رضى الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فـإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا»[(1)].

وروى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى

---

(1) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط بإسناد حسن، وفى الكبير موقوفًا، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب، ومعنى تحترقون: تهلكون من كثرة الذنوب.

ﷺ قال: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، ما تقولون يبقى ذلك من دَرَنه شيئًا؟ قالوا: لا يبقى ذلك من درنه شيئًا، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا».

وروى البخارى ومسلم – واللفظ لمسلم – عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – أن رجلاً أصاب من امرأة قبلةً، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له. قال: فنزلت: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ** ﴾ [هود: ١١٤].

قال: فقال الرجل: ألىَ هذه يا رسول الله؟ قال: لمن عمل بها من أمتى.

(قال النووى – رحمه الله –: واختلفوا فى المراد بالحسنات هنا، فنقل الثعلبى أن أكثر المفسرين على أنها الصلوات الخمس).

* * *

الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر

يقول الله تعالى: ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾

[العنكبوت: ٤٥]

تبين هذه الآية ثمرة الأمر بإقام الصلاة، وهى أنها من شأنها أن تروض النفس على ترك الفواحش، متى أقيمت بتمامها، بركوعها، وسجودها، وخشوعها، وطمأنينتها.

يقول صاحب الظلال – رحمه الله –: «إن الصلاة حين تقام تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهى إتصال بالله يخجل صاحبه، ويستحيى أن يصطحب معه كبائر الذنوب وفواحشها ليلقى بها، وهى تطهر وتجرد لا يتسق معها دنس الفحشاء والمنكر وثقلتهما».

ويقول ابن كثير – رحمه الله – : «وقال أبو العالية فى قوله تعالى: ﴿ إنَّ

﴿الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ قال: إن الصلاة فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شئ من هذه الخلال فليست بصلاة؛ الإخلاص، والخشية، وذكر الله، فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله؛ القرآن يأمره وينهاه».

ويقول الإمام ابن تيمية – رحمه الله –: «الصحيح أن معنى الآية؛ أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر: فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهى مشتملة على ذكر الله تعالى».

وفى الحديث: «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر» (١).

ورُوى عن ابن عباس وابن مسعود – رضى الله عنهما – قالا: «فى الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصى الله تعالى؛ فمن لم تأمره صلاته بالمعروف، ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعداً».

ورُوِىَ – مرفوعًا – من حديث عمران بن حصين وابن عباس – رضى الله عنهما – «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعداً»(٢).

يقول القرطبى: «فالمعنى المقصود من الحديث إشارة إلى أن مرتكب الفحشاء والمنكر لا قَدْرَ لصلاته لغلبة المعاصى على صاحبها».

وروى الإمام أحمد – رحمه الله – من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إن فلانًا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق، فقال: إنه سينهاه ما تقول» أى أن محافظته على الصلوات ستجعله يتوب عن الموبقات.

---

(١) رواه ابن جرير عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً وموقوفاً والموقوف أصح.
(٢) رواه ابن جرير.

ومن ثَمَّ فالصلاة المقبولة هى التى تملأ القلب نوراً وخشية، فيتطهر القلب ثم يفيض النور على الجوارح فيكفها عن محارم الله تعالى.

فقد رُوى فى الحديث القدسى «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى، ولم يستطل على خلقى، ولم يَبِتْ مصراً على معصيتى، وقطع النهار فى ذكرى، ورحم المسكين، وابن السبيل، والأرملة، ورحم المصاب ... ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتى، وأستحفظه ملائكتى، أجعل له فى الظلمة نوراً، وفى الجهالة حلماً، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة» (١).

* * *

(١) أخرجه البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما.

ثانيًا: الزكـــــاة

● **الحكمة من الزكاة:**

فرض الله - عز وجل - الزكاة تطهيرًا لنفس المزكّي من أمراض الشح والبخل، والطمع والأثرة وغيرها، وتطهيرًا لنفس المزكّى عليه من أمراض الحقد والحسد، والغل وسائر أمراض القلب، وتطهيرًا للمال بإخراج حق الله فيه.

يقول تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ** ﴾ [التوبة: ١٠٣].

● **المن والأذى يبطلان مفعول الزكاة:**

فإذا كانت الزكاة من شأنها أن تطهر نفس المزكي، ونفس المزكَى عليه، فإن المن والأذى لا يزيدان كلا منهما إلا دنسًا.

يقول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾

[البقرة: ٢٦٢]

فاشترطت الآية؛ لقبول الصدقة ألا تتبع بالمن والأذى.

والمن: أن يتحدث الإنسان بما أعطي حتى يبلغ ذلك المعطَى له فيؤذيه.

يقول الله تعالى: ﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾

[البقرة: ٢٦٣ - ٢٦٤]

«يقول صاحب الظلال - رحمه الله -: والمن عنصر كريه لئيم، وشعور خسيس واطٍ، فالنفس البشرية لاتمن بما أعطت إلا رغبة فى الاستعلاء الكاذب، أو رغبة فى إذلال الآخذ، أو رغبة فى لفت أنظار الناس، فالتوجه إذن للناس لا لله بالعطاء؛ وكلها مشاعر لا تجيش فى قلب طيب، ولا تخطر كذلك فى قلب مؤمن.

فالمن من ثَم يحيل الصدقة أذى للواهب وللآخذ سواء؛ أذى للواهب بما يثير في نفسه من كبر وخيلاء، ورغبة في رؤية أخيه ذليلاً له كسيراً لديه؛ وبما يملأ قلبه بالنفاق والرياء والبعد من الله.

وأذى للآخذ بما يثير في نفسه من انكسار وانهزام، ومن رد فعل بالحقد والانتقام.

وما أراد الإسلام بالإنفاق مجرد سد الخلة، وملء البطن، وتلافي الحاجة ... كلا! إنما أراده تهذيباً وتزكية وتطهيراً لنفس المُعطي، واستجاشة لمشاعره الإنسانية وارتباطه بأخيه - الفقير - في الله وفي الإنسانية، وتذكيراً له بنعمة الله عليه، وعهده معه في هذه النعمة أن يأكل منها في غير سرف ولا مخيلة، وأن ينفق منها في سبيل الله في غير منع ولا من.

كما أراده ترضيةً وتنديةً لنفس الآخذ، وتوثيقاً لصلته بأخيه في الله وفي الإنسانية؛ وسداً لخلة الجماعة كلها، لتقوم على أساس من التكافل والتعاون يذكرها بوحدة قوامها، ووحدة حياتها ووحدة اتجاهها، ووحدة تكاليفها، والمن يذهب بهذا كله، ويحيل الإنفاق سماً وناراً، فهو أذى في ذاته يمحق الإنفاق، ويمزق المجتمع، ويثير السخائم والأحقاد».

● **الصدقة وصلة الرحم:**

ما فرضت الصدقة (الزكاة) إلا لتقوية روابط الجماعة، وتوثيق أواصرها؛ وأولى الناس بالإنسان هم أقاربه، لأن في ذلك زكاة وصلة.

ففي الحديث الشريف «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة» [(١)].

والصدقة على ذوي الأرحام تطهر بواطن الكاشحين منهم، وتطفئ نار العداوة في دواخلهم (وذلك إذا لم تتبع بالمن والأذى).

وسألَ رجلٌ رسول الله - ﷺ - «أي الصدقة أفضل؟ قال: على ذي الرحم الكاشح» [(٢)].

---

(١) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن، والنسائي، وابن ماجة، والحاكم عن سلمان بن عامر، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ورواه كذلك الدارمي.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده وإسناده حسن، ورواه الدارمي عن حكيم بن حزام مرفوعاً. الكاشح: المضمر لعداوتك في باطنه.

ثالثا : الصيـــــام

● **حكمة الصيام :**

كما ذكرنا دور الصلاة فى تهذيب الأخلاق وتقويم السلوك، وعرفنا كيف أن الصلاة إذا لم تعمل على ذلك فلا فائدة منها، وكذلك الزكاة إذا لم يقصد بها وجه الله تعالى، ولم تؤد بلا مَن ولا أذى فإنها لا تحقق غرضها الأساسى ،وهو التطهير، وبالتالى لا تعمل على تهذيب الأخلاق وتقويم السلوك.

فكذلك الصيام له دور فى تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق ويكون ذلك بتحقيق معنى التقوى الذى أراده الله - سبحانه وتعالى - من افتراضه للصيام حيث يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فالغرض هو تقوى الله - عز وجل - التى تعمر القلب فتصلحه وتقتل الدَغَلَ الذى فيه؛ فيفيض منه النور على جوارح الإنسان؛ فيهذب أخلاقه ويقوم سلوكه فإذا صام الإنسان صومًا صحيحًا جنى ثمرة ذلك وهى التقوى.

أما إذا أُدىَ الصيامُ ولم يكن له مردودٌ على القلب، ومن ثَمَّ على الأخلاق والسلوكيات فلا فائدة منه.

وإقراراً لهذا المعنى قال رسول الله - ﷺ - : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» (١).

فالصيامُ الذي لا يكف صاحبَه عن قول الزور، وشهادة الزور، فلا فائدة منه، وقال - صلى الله عليه وسلم - أيضا : «ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابَّك أحد أو جهل عليك فقل إنى صائم» (٢). ويقول - ﷺ - أيضا : «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش» (٣).

---

(١) رواه البخارى وأبو داود والترمذى.
(٢) رواه ابن خزيمة.
(٣) رواه ابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع.

وقال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام.

ورُوِىَ عن جابر - رضى الله عنه -: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب، ودع أذى الجار، وليكن عليك سكينة ووقار يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

ولله درُّ القائل:

أهل الخصوصِ من الصوامِ صومهمُ
صونُ اللسانِ عن البهتانِ والكذبِ
والعارفون وأهلُ الأُنسِ صومهمُ
صونُ القلوبِ عن الأغيارِ والحجبِ

* * *

رابعًا : الحــــج

يحسب كثيرٌ من الناس أنه بمجرد الذهاب إلى الأراضى المقدسة، وأداء المناسك يكون بذلك قد حج حجًا مقبولاً! بصرف النظر عن الأخلاق والسلوك والمعاملات!

وهذا فهم خاطئ، وسلب لأسرار العبادات وأثرها؛ وإنما الحج المقبول هو ذلك الحج الذى يغسل صاحبه من الذنوب والآثام، ولا يكون ذلك إلا إذا أحدث الحج فى النفس تغييرًا انعكس على سلوكه وأخلاقه ومعاملاته؛ وهو ما سماه الرسول - صلى الله عليه وسلم - الحج المبرور. فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سُئل رسول الله - ﷺ - أى الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله. قيل ثم ماذا؟ قال: ثم جهادٌ فى سبيل الله. قيل ثم ماذا؟ قال: ثم حج مبرور» (١).

● **وإن من بر الحج:**

١ - ترك الرفث والفسوق والجدال: لقوله تعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والرفث المقصود هنا هو الفاحش من القول، والفسوق هو العصيان.

وفى الحديث، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» (٢).

٢ - الإحسان إلى الناس بجميع الوجوه: فكما فى الحديث: أن النبى - ﷺ -: سُئل عن البر فقال: «حُسن الخلق» (٣).

وكان ابن عمر - رضى الله عنهما - يقول:

بنى إن البر شئٌ هين ... وجهٌ طليق ولسانٌ لين

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه البخارى وغيره [ورواه أحمد فى مسنده جـ ٢٠ حديث رقم ١٠٢٧٩].

(٣) رواه مسلم.

٣ – ومن بر الحج أن يطيب العبد نفقته :

ولله در القائل :

إذا حــجــجت بمالٍ سُــحتٍ   فما حججت ولكن حجت العيرُ

لا يقــبل الله إلا كل طيــبــة   مـا كلُّ مَن حج بيت الله مـبـرورُ

٤ – ومن بر الحج ألا يقصد العبدُ بحجه رياءً ولا سمعةً :

قال رجل لابن عمر – رضى الله عنهما – ما أكثرَ الحاج! فقال : ما أقلهم !! وقيل : الركبُ كثيرٌ والحاجُ قليلٌ.

٥ – ومن بر الحج إطعام الطعام وإفشاء السلام :

فـقـد سُئل الرسـول – ﷺ – مـا بر الحج؟ قـال : « إطعـام الطعـام وإفـشـاء السلام » [1].

٦ – ومن بر الحج الزهد فى الدنيا :

قال الحسن – رحـمـه الله –: « بر الحج : أن يرجع زاهداً فى الدنيـا راغبًا فى الآخرة ».

٧ – قـال النووى – رحـمـه الله –: « الأصح الأشـهـر أن المبـرور هو الذى لا يخالطه إثم، مأخوذ من البر وهو الطاعة، وقيل هو المقبول، ومن علامة القبول أن يرجع خيراً مما كان، ولا يعاود المعاصى ».

قلت : الحج المبرور : هو الحج الذى يُحدثُ فى صاحبه تغييراً نفسيًا شاملاً؛ فيغير وجهته، ويغير تصوره وفكره ومنهاجه فى الحياة، فيتغير بذلك هدفه فى الحياة، فيتغير بذلك سلوكه، وأخلاقه، وإذا شئت فقل : إن الحج المبرور هو الذى يحدث فى صاحبه ثورة تصحيح شاملة.

أخى المسلم : تبين لك مما سبق مدى الرباط الوثيق بين الحج كعبادة محضة وبين تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق كثمرة ناتجة عن بر الحج، وكيف أنهما متلازمان ولا يمكن الفصل بينهما.

---

(١) رواه أحمد والحاكم من حديث جابر رضى الله عنه، قال الحافظ فى الفتح : وفى إسناده ضعف فلو ثبت لكان هو المتعين دون غيره.

الفصل الثانى

دور العبادات وأثرها على الدعاة إلى الله

- أولا : دور الصلاة فى حياة شعيب عليه السلام
- ثانيا : دور الصلاة فى حياة إبراهيم عليه السلام
- ثالثا : دور الصيام فى حياة نوح عليه السلام
- رابعا : دور الصلاة فى حياة الرسول ﷺ
- خامسا : ثعلبة يتساقط على طريق الدعوة

أولا : دور الصلاة فى حياة شعيب عليه السلام

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

[هود : ٨٤ - ٨٨]

والذى نفهمه من هذه الآيات أن قوم شعيب كانوا يرون أنه لا علاقة بين العقيدة والشريعة، ولا علاقة بين العبادة والمعاملة، فانكروا على شعيب ربط الأخلاق بالعقيدة والعبادة، وكأنهم أرادوا أن يقولوا له ما يقوله كثير من المسلمين اليوم من أنه لا علاقة البتة بين العبادة والمعاملة.

والذى يتدبر هذه الآيات يجد أن صلاة شعيب عليه السلام كانت وراء صموده أمام قومه وثباته على دعوته، فكانت العمل البارز فى حياته، والمعلم الواضح فى دعوته، ومصدر الزاد الذى يتزود منه، حتى أنهم يُرجِعون طلب شعيب لهم بإيفاء الكيل والميزان وعدم بخس الناس أشياءهم إلى الصلاة، فيقولون له : أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء؟!

يقول القرطبى - رحمه الله - : « ورُوى أن شعيبًا عليه السلام كان كثير الصلاة، مواظبًا على العبادة فرضها ونفلها. ويقول : الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فلما أمرهم ونهاهم عيروه بما رأوه يستمر عليه من كثرة الصلاة

واستهزؤوا به فقالوا له ما أخبر الله عنهم» والداعية الذى لا يكون لسانَ صدق لدعوته يسئ إليها بانحرافه عن أهدافها ومنهاجها، فالناس - غالبًا - لا يفرقون بين الدعوة والداعية، فتراهم ينفرون من الدعوة إذا رأوا انحرافًا فى الداعية، فترى شعيبًا يقول: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ فهو لا يأمرهم بالعزائم ويترخص لنفسه، ولا يحرم عليهم المكروهات ويبيح لنفسه الموبقات كما يفعل بعض الذين يتصدون للدعوة اليوم.

ويلقن شعيبُ الدعاةَ درسًا عظيمًا وهو أن التزام الداعية بما يدعو الناس إليه هو بداية الإصلاح، فكيف يطمع الداعية فى الإصلاح وهو لم يبدأ بنفسه ليجعل عمله وحده هو الذى يتكلم؟ فكيف يريد الداعية أن يصلح غيره وهو عاجز عن إصلاح نفسه؟!!

ولله در من قال: «عليكم أنفسكم فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر، وإن عجزتم كنتم على غيرها أعجز».

لقد انتشر الإسلام فى كثير من بلاد العالم بالقدوة الحسنة حينما رأى الناس فى دعاة الإسلام ما لم يجدوه فى غيرهم.

ألا إن الدعوة الإسلامية اليوم تحتاج إلى من يكون لسانَ صدقٍ لها يعبر عنها بسلوكه وأخلاقه ومعاملاته لا بمجرد الكلام والشعارات.

* * *

ثانيا : دور الصلاة فى حياة إبراهيم عليه السلام

● **إبراهيم وسارة على أرض مصر :**

وصل إبراهيم – عليه السلام – إلى مصر وكان بها جبارٌ من الجبابرة فأرسل إلى سارة. فإذا بإبراهيم – عليه السلام – يتوجه إلى الله بالصلاة والدعاء: فهذا ما فعله – عليه السلام – لأن الله هو المرتجى، وهو الحافظ لعباده وأوليائه وهو الذى يكشف الضر ويدفع البلاء، فاستجاب الله دعاء إبراهيم – عليه السلام – ورد كيد الفاجر فى نحره وحمى عرض رسوله إبراهيم عليه السلام.

ألا ما أحوج الدعاة إلى الله عز وجل إلى الصلاة لتكون ملاذهم الذى يلوذون به، ليطلبوا من الله معيته ونُصْرَته، ألا ما أغيرَ الله على أعراض دعاته إذا أخلصوا فى توجههم إليه وإذا ضحوا فى سبيل دعوتهم.

● **إبراهيم – عليه السلام – وهاجر وإسماعيل بجوار البيت الحرام :**

أمر الله عز وجل إبراهيم أن يذهب بإسماعيل وأمه هاجر إلى مكة ويتركهما بجوار البيت الحرام.

● **إبراهيم – عليه السلام – يتوجه إلى الله بالدعاء :**

بعد أن ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه – بأمر من الله – توجه إلى الله بالدعاء.

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وكان إبراهيم – عليه السلام – ما جاء بابنه وزوجه إلى هذا المكان إلا ليقيموا الصلاة، فإذا كانت ذريته تقيم الصلاة وعلى صلة دائمة بالله فإنها تكون فى حفظ الله ورعايته فإن غاب الأب فالله موجود.

فهل تحقق طلبُ إبراهيم؟

نعم تحقق! . . لقد ربت هاجر إسماعيل على طاعة الله عز وجل . . . فقد ربته على إقام الصلاة وعلى الصدق ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥].

الا ما أحوج الدعاة إلى الله عز وجل إلى الثقة بموعود الله تعالى، فاستسلام إبراهيم - عليه السلام - الاستسلام المطلق لأمر الله عز وجل، وثقته بأن الله لن يضيع ابنه وزوجه لهى الزاد للتغلب الكامل والاجتياز الكامل للمنعطف الخطير الذى يتساقط عنده الكثير من الدعاة، ألا وهو منعطف الزوجة والولد اللذان يكونان بمنزلة القيد الذى يربط الدعاة فلا يجعلهم ينطلقون متحررين من العلائق.

وما أحوجهم كذلك إلى الزوجة التى ترعى أولادهم وتُحسنُ تربيتهم، ليكونوا أنصاراً لدعوة الله عز وجل بدلاً من أن يكونوا عوائق لآبائهم، وتاريخ الدعوة يشهد بأنه ما ترك الداعية ولده وزوجه لله إلا حفظه الله فى دعوته وفى ولده وزوجته، والكثير من الدعاة الذين قضوا نحبهم كان الله عز وجل هو الخليفة فى أولادهم فحملوا مشاعل النور وكانوا على الدرب نفسه الذى سار عليه آباؤهم وإن لم يرهم آباؤهم فعناية الله تعالى كانت تتعهدهم وترعاهم.

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩].

* * *

ثالثا : دور الصيام فى حياة نوح - عليه السلام -

رُوى عن رســـول الله - ﷺ -: «صـــام نوح الدهر إلا يوم الفطر ويوم الأضحى، وصام داود نصف الدهر، وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر» [١].

يحتاج الدعاة إلى الله تعالى إلى الإرادة القوية والعزيمة التى لا تلين كما يحتاجون إلى ما يجعلهم يستعلون على ضرورات الحياة ورغبات النفس وشهواتها، يحتاجون إلى ما يجعلهم يجتازون المنعطفات التى تعرض لهم على طريق الدعوة، فلا بد من إعداد النفوس التى تجتاز عقبات الطريق، والصيام خير معين للداعية إلى الله تعالى.

* * *

(١) رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو.

رابعا: دور الصلاة فى حياة الرسول ﷺ وفى حياة أصحابه رضوان الله عليهم

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾

[المزمل: ١ – ٥]

فالله عز وجل أعد مهمة عظيمة ليقوم بها محمد – ﷺ – وهذه المهمة الكبرى ليقوم بها فلابد وأن يكون قد أُعد لها الإعدادَ الكامل. وخير إعداد للداعية هو الإعدادُ الإيمانى، والزادُ الروحى، وقوةُ النفس، وخيرُ وسيلة لذلك كله الصلاة والتبتل والتضرع إلى الله – عز وجل – لطلب العون منه – عز وجل – على أداء التكاليف، ومن ثم افترض الله – عز وجل – على الرسول والمسلمين فى البداية قيام الليل وظل الوضع هكذا عامًا كاملاً، ثم نُسخ فى حق الصحابة وبقى الحكمُ بالوجوب فى حق الرسول – ﷺ –، ولكن بعد أخذ الصحابة قسطًا وفيراً من التربية، فلما ذاقوا حلاوة قيام الليل ما تركوه، وإن صار فى حقهم مندوبًا لا واجبا، إلا أن النفس إذا عشقت طاعةً وتذوقت حلاوتها وجدت سعادتها فى ممارستها.

يقول صاحب الظلال – رحمه الله –: «وإن قيام الليل والناس نيام والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها والاتصال بالله وتلقى فيضه ونوره والأنس بالوحدة والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن وكأنما هو يتنزل من الملأ الاعلى، وتتجاوب به أرجاء الوجود فى لحظة الترتيل بلا لفظ بشرى، ولا عبارة واستقبال إشعاعاته وإيحاءاته وإيقاعاته فى الليل الساجى، إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ والجهد المرير الذى ينتظر الرسول، وينتظر من يدعو بهذه الدعوة فى كل جيل وينير القلب فى الطريق الشاق الطويل ويعصمه من وسوسة الشيطان ومن التيه فى الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير».

وفى الحديث «كان النبى - ﷺ - يصلى حتى تَرِمَ - أو تنتفخ - قدماهُ فيقالُ له فيقول أفلا أكون عبداً شكوراً» [١].

● **أبو عبيدة يوصى قبل موته:**

«بينما أبو عبيدة بن الجراح فى بلاد الشام يقود جيوش المسلمين من نصر إلى نصر حتى فتح الله على يديه بلاد الشام وعند ذلك دهمَ بلاد الشام طاعون ما عرف الناس مثله فأرسل عمر - رضى الله عنه - رسالة ليستقدمه إليه، فلما أخذ أبو عبيدة الرسالة قال: قد علمت حاجة أمير المؤمنين إلىَّ فهو يريد أن يستبقى من ليس بباقٍ ثم كتب إليه يقول: يا أمير المؤمنين إنى قد عرفت حاجتك إلىَّ وإنى فى جندٍ من المسلمين ولا أجد بنفسى رغبة عن الذى يصيبهم ولا أريد فراقهم حتى يقضى الله أمره. فإذا أتاك كتابى هذا فحللنى من عزمك وائذن لى بالبقاء.

فلما قرأ عمر الكتاب بكى حتى فاضت عيناه فقال له من عنده: أمات أبو عبيدة يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا ..! ولكن الموت منه قريب.

فما لبث أبو عبيدة أن أصيب بالطاعون فلما حضرته الوفاة أوصى جنده فقال: إنى موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير: أقيموا الصلاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا، وحجوا، واعتمروا، وتواصوا، وانصحوا لأمرائكم، ولا تغشوهم ولا تلهكم الدنيا، فإن المرء لو عمر ألف حول ما كان له بدٌّ من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون والسلام عليكم ورحمة الله ثم التفت إلى معاذ بن جبل وقال: يا معاذ صل بالناس» [٢].

ومن هذا نرى ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من تعظيم لشعائر الله فها هو أبو عبيدة - رضى الله عنه - فى لحظاته الأخيرة يوصى بالصلاة

---

(١) رواه البخارى من حديث المغيرة بن شعبة.

(٢) من كتاب (صور من حياة الصحابة) بتصرف يسير.

والصيام والتصدق والحج والعمرة والنصيحة وقبل أن يموت يأمر معاذاً بأن يصلى بالناس. ونشاط الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - فى ممارسة العبادات هو سرُ مواصلتهم للسير فى الطريق دون فتور ولا كللٍ ولا مللٍ.

وبعض الأفراد السالكين طريق الدعوة إلى الله عز وجل يقطعون شوطاً فى الطريق ثم تجد عزيمتهم قد وهنت ونشاطهم قد تضاءل، وحماستهم قد انطفأت، فربما لم يقوموا بأعمالهم الدعوية، أو يقومون بها بصورة شكلية فقط، وبرتابة الذى يؤدى عملاً ثقيلاً عليه بعد أن كان يؤديه بحبٍ واشتياقٍ وحماسةٍ.

وفى الحقيقة إذا تتبعت أحوالهم تجد أن أكثرهم لا يَصلون إلى هذه المرحلة إلا بعد أن يهملوا فى أداء العبادات، لأن مردود العبادات يعود على الدعوة، فإذا كان المردود صفراً فماذا يرجع على الدعوة؟!

فالكثير من العاملين فى حقل الدعوة لا يحافظ على الصلوات الخمس فى جماعة - فضلاً عن ترك قيام الليل - وأما عن الصيام فلا صيام غير الفريضة، وعن التصدق والإنفاق فهما ليسا أحسنَ حظاً من الصلاة والصيام، ناهيك عن الإهمال فى الورد القرآنى والأذكار وغيرها.

فإذا كان الفرد قد وصل إلى هذا المستوى فماذا ينتظر منه دعوياً؟!

وقف أبو الدرداء - رضى الله عنه - ذات يوم أمام الكعبة فقال: أليس إذا أراد أحدكم سفراً أن يجعل له زاداً؟ قالوا: بلى ... يا أبا الدرداء.

قال فسفر الآخرة أطول .. ثم قال لهم: صلوا ركعتين بالليل لظلمة القبور، وصوموا يوماً شديداً حره لطول يوم النشور، وحجوا حجةً لعظائم الأمور.

* * *

خامساً : ثعلبة يتساقط على طريق الدعوة

أخى المسلم أسوق لك نموذجًا للذين يتساقطون على طريق الدعوة نسأل الله الثبات على الحق – ليتبين لنا كيف أن الإهمال فى أداء العبادات من صلاة وزكاة وغيرها يكون مؤشراً يُؤذنُ بالخطر.

والفرد فى حقل الدعوة الإسلامية إذا كان غير منضبط تعبديًا؛ فلن يكون منضبطًا دعويًا. فهل ينتظر من الفرد الذى لا يؤدى الصلوات فى أوقاتها أن يؤدى واجباته الدعوية فى مواعيدها؟!.

حمامة المسجد: كان ثعلبة بن أبى حاطب ملازمًا مسجد رسول الله – ﷺ – حتى لُقِّبَ بحمامة المسجد.

منعطف المال: روى البغوى عن أبى أمامة الباهلى – رضى الله عنه – قال: جاء ثعلبة بن أبى حاطب الأنصارى النبى – ﷺ – **فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالاً**.

فقال رسول الله – ﷺ – ويحك يا ثعلبة! قليل تؤدى شكره خيرٌ من كثيرٍ لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا.

فقال – ﷺ –: أما لك فىَّ أسوةٌ حسنةٌ؟! والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبًا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك، فقال: يا رسول الله: ادع الله يرزقنى مالاً والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالاً لأُعطين كل ذى حق حقه.

فقال – ﷺ –: اللهم ارزق ثعلبة مالاً.

قال: فاتخذ غنمًا فنمت كما ينمى الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فكان يصلى مع الرسول – ﷺ – الظهر والعصر، ويصلى فى غنماته سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة، فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة.

فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الركبان يسألهم عن الأخبار؟ فذكره

رسول الله - ﷺ - ذات يوم فقال: ما فعل ثعلبة؟ فقالوا: يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنمًا ما يسعها وادٍ، فقال - ﷺ - : يا ويح ثعلبة .. يا ويح ثعلبة.

● **نزول آيات الزكـاة:**

فأنزل الله آية الزكاة: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١٠٣].

فبعث رسول الله - ﷺ - رجلاً من بني سُليم ورجلاً من بني جهينة، وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذانها، وقال لهما: مُرًّا على ثعلبة بن أبي حاطب، ومُرًّا على رجل من بني سُليم فخذا صدقاتهما.

فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله - ﷺ - فقال: ما هذه إلا جزية أو أخت الجزية، انطلقا حتى تفرغا ثم عُودا إليَّ، فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها، فلما رأياه قالا: ما هذه عليك.

قال: خذاه فإن نفسي بذلك طيبة.

فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة، فقال: أروني كتابكما، فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية.

اذهبا حتى أرى رأيي.

قال: فأقبلا فلما رآهما رسول الله - ﷺ - قال - قبل أن يتكلما -: يا ويح ثعلبة ... يا ويح ثعلبة .. ثم دعا للسلمي بخير فأخبراه بالذي صنع ثعلبة فأنزل الله في حقه: ﴿ **وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧].

ومن ذلك نرى أن تساقط ثعلبة بدأ بإهماله الصلاة وانشغاله عنها ثم انتهى بمنعه الزكاة.

الفصل الثالث

العلاقات العامة

- أولاً : بر الوالدين
- ثانيًا : صلة الرحم
- ثالثًا : إكرام الجار
- رابعًا : قضاء الحوائج
- خامسًا : أدب الحديث
- سادسًا : التواصي بالحق
- سابعًا : الإخاء
- ثامنًا : الإيثار
- تاسعًا : الاتحاد
- عاشراً : الإحسان

أولاً : بر الوالدين

يقول الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

ويقول تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء: ٣٦]

ويقول: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت: ٨].

ويقول: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٤ - ١٥].

ويقول: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

ومن خلال تأملنا لهذه الآيات نرى أن الله عز وجل أوصى الإنسان بوالديه وأكد على ذلك، دون أن يوصى الأب بابنه أو الأم بابنها وذلك لأن الله عز وجل قد فطرهما على حبهما لأولادهما وعلى التضحية فى سبيلهما فالأب يجوع ليشبع أولاده ويتعرى ليكتسوا ويتعب ليستريحوا، الأم تسهر ليناموا فتقوم على راحتهم فلا تهنأ بطعام ولا شراب ولا نوم حتى تطمئن عليهم؛ فعاطفة الأمومة والأبوة تقومان مقام الوصية بالأولاد أما الأبناء فسرعان ما يكبرون ويتزوجون

ويكون لهم أولاد فيولون اهتمامهم لأبنائهم وقد ينسون الآباء فمن هنا جاء القرآن مؤكداً حقهما على الأبناء فقد أوجب الله عز وجل طاعتهما وبرهما وجعل طاعتهما تلى طاعته سبحانه وتعالى مباشرة، ففى قوله تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ ربط محكم بين عبادة الله تعالى والإحسان إلى الوالدين وفى ذلك رفع لقيمة الوالدين وإعلاء لشأنهما فقد روى الشيخان أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «يا رسول الله: أى العمل أحبّ إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أى؟ قال: بر الوالدين» (١).

ولكن يجب ألا يختل التوازن عند الأبناء فى بر أحد الوالدين على حساب الآخر: «فقد جاء رجل ليبايع رسول الله ﷺ على الجهاد - أو يستأذنه فى الجهاد - فسأله الرسول ﷺ: فهل من والديك أحد حى؟ فقال الرجل: نعم بل كلاهما حى، فيقول رسول الله ﷺ فتبتغى الأجر من الله تعالى؟ فيقول الرجل: نعم، فيقول رسول الله ﷺ فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما» (٢) ففى هذا الحديث تقرير من الرسول عليه الصلاة والسلام بوجوب البر لكلا الوالدين على السواء.

● برهما بعد موتهما:

سأل رجل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شئ بعد موتهما أبرهما؟ قال نعم خصال أربع: الدعاء لهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا رحم لك إلا من قبلهما» (٣).

إنه الوفاء لهما بعد موتهما، إنها لأعلى مراتب الحب والبر أن يوطد المسلم أواصر المودة والصلة بأهل ودهما، فقد قابل عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - صديقاً لوالده عمر رضى الله عنه فبالغ فى بره وإكرامه، فقال بعض من معه: أما

---

(١) متفق عليه. (٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.
(٣) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد.

كان يكفيك أن تتصدق عليه بدرهمين؟ فقال ابن عمر: قال النبى ﷺ «احفظ ود أبيك، لا تقطعه فيطفئ الله نورك» (١).

● بر الوالدين المشركين:

أوصى الله عز وجل ببر الوالدين المشركين، يقول الله تعالى ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾.

تقول أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما: قَدِمَتْ عليَّ أُمى – وهى مشركة – فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام فاستفتيت الرسول عليه الصلاة والسلام قلت: قَدِمَتْ عليَّ أمى وهى راغبة، أفاصل أمى؟ قال: نعم صلى أمك» (٢).

● البر فى حالة الكبر:

خص الله تعالى حالة الكبر فقال: ﴿ **إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾. وذلك لأنها الحالة التى يحتاج فيها الوالدان إلى الرعاية الخاصة، وذلك لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، فيجب على الولد أن يكون معهما فى خير ذلة فى أقواله وأفعاله وسكناته ونظراته.

فقد سأل رجل سعيد بن المسيب رضى الله عنه، قائلاً: لقد فهمت آية بر الوالدين كلها إلا قوله تعالى ﴿ **وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ فكيف يكون القول الكريم»، فأجابه سعيد يعنى خاطبهما كما يخاطب العبد سيده.

وكان ابن سيرين – رحمه الله – يكلم والدته بصوت ضعيف كأنه صوت مريض إجلالاً لها واحترامًا وتوقيراً.

● الفروض لا تنفع مع العقوق:

رُوى عن عمرو بن مُرة الجهنى رضى الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، شهدت ألا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الخمس،

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.

وأديت زكاة مالى وصمت رمضان، مالى؟ - يعنى من الأجر والثواب - فقال ﷺ «من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا - ونصب بين إصبعيه - ما لم يعق والديه» [1].

● عقوق الوالدين من الكبائر:

فكما أن بر الوالدين من أعظم القربات إلى الله تعالى فإن عقوقهما من أكبر الكبائر، قال رسول الله ﷺ: ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور» [2].

● العقوق ذنب معجل عقوبته:

رُوى عن أبى بكرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين فإن الله تعالى يعجله لصاحبه فى الحياة الدنيا قبل الممات» [3].

● التسبب فى سب الوالدين من الكبائر:

يقول رسول الله ﷺ «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه فاستغرب القوم، فقالوا: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه» [4].

● عقوق الوالدين يورث سوء الخاتمة:

رُوى عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله تعالى عنه قال: كنا عند النبى ﷺ فأتاه آت فقال: يا رسول الله: شابٌ يجود بنفسه، فقيل له: قل لا إله إلا الله، فلم يستطع! فقال ﷺ: أكان يصلى؟ فقال: نعم فنهض الرسول ﷺ ونهضنا معه

---

(١) رواه أحمد والطبرانى.

(٢) متفق عليه من حديث أبى بكره نفيع بن الحارث.

(٣) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٤) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

فدخل على الشاب وقال له قل لا إله إلا الله! فقال لا أستطيع قال لِمَ؟ قال: كنت أعق والدتى. فقال النبى ﷺ: أحية والدته؟ قالوا: نعم، قال: ادعوها فدعوها فجاءت، فقال عليه الصلاة والسلام: هذا ابنك؟ قالت نعم، فقال لها: أرأيت إن أُججت نارٌ ضخمة؟ فقيل لك إن شفعت له خلينا عنه، وإلا أحرقناه بهذه النار؟ أكنت تشفعين له؟ قالت: يا رسول الله إذًا أشفع، قال فأشهدى الله وأشهدينى أنك قد رضيت عنه، قالت: اللهم إنى أُشهدك، وأُشهد رسولك أنى قد رضيت عنه! فقال عليه الصلاة والسلام: يا غلام قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقالها الغلام، فقال عليه الصلاة والسلام: الحمد لله الذى أنقذه بى من النار» (1).

● ليس للوالدين من طاعة فى حق الله:

لا شك أن رابطة الإيمان والعقيدة هى من أقوى الروابط وأوثقها على الإطلاق فإذا انقطعت هذه الرابطة بين الوالدين وولدهما فكان الابن مستظلاً براية التوحيد والأبوان يقفان تحت راية أخرى غيرها فحينها ليس للوالدين حق الطاعة والإتباع ولكن لهما فقط حسن المعاملة وحسن الرعاية. فقد كان سعد بن أبى وقاص باراً بأمه، فقالت له: ما هذا الدين الذى أحدثت؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما أنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر، يقال: يا قاتل أمه. ثم إنها مكثت يومًا وليلةً لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد عليها وقال: يا أماه: لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت دينى، فكلى إن شئت، وإن شئت فلا تأكلى، فلما أيست منه أكلت وشربت، فأنزل الله قوله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: 8] (2).

● كيف يفعل الولد الطائع مع الوالد الفاسق:

قد يكون الوالدان أو أحدهما منحرفًا عن جادة الصواب، بأن يكون تاركًا

(1) رواه الطبرانى وأحمد.

(2) رواه الترمذى.

لفريضة أو مرتكبًا لكبيرة، فواجب الابن الطائع البار بوالديه فى هذه الحالة أن يتأتى إليهما برفق وتؤدة وسماحة ليزحزحهما عن الغى الذى يتمسكان به فلا يشتد ولا ينهر ولا يعق ولا يقسو ولا يغلظ بل يحاول إنقاذهما مما هما فيه، ويستعين عليهما بالدعاء إلى الله عز وجل لهما بالهداية.

فقد روى مسلم عن أبى هريرة قال: كنت أدعو أمى إلى الإسلام وهى مشركة فدعوتها يومًا فأسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى قلت: يا رسول الله: إنى كنت أدعو أمى إلى الإسلام فتأبى علىَّ، فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة. فقال رسول الله ﷺ: اللهم أهد أم أبى هريرة فخرجت مستبشراً بدعوة النبى ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب. فإذا هو مجاف فسمعت أمى خشف قدمى فقالت: مكانك! يا أبا هريرة! وسمعت خضخضة الماء قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة! أشهد أن لا إله إله الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكى من الفرح قال: قلت يا رسول الله: أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبى هريرة. فحمد الله وأثنى عليه وقال: خيراً قال: قلت يا رسول الله: ادع الله أن يحببنى أنا وأمى إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا. قال: فقال رسول الله ﷺ «اللهم حبب عبدك هذا - بقصد أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين، فما خلق مؤمن ولا يرانى إلا أحبنى» (١).

● **حكم الجهاد فى سبيل الله بغير إذن الوالدين:**

لا يتطوع الولد للجهاد فى سبيل الله إلا بإذن والديه، فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: «جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ فاستأذنه فى الجهاد، فقال أحى والداك؟ قال: نعم. قال ففيهما فجاهد» (٢).

(١) رواه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة - باب: من فضائل أبى هريرة الدوسى.
(٢) متفق عليه.

أما إذا تعين الجهاد (صار فرض عين) فلا يجب إذن الوالدين حينئذ يقول تعالى: ﴿انفرُوا خفَافًا وثقَالاً وَجَاهدُوا بأَمْوَالكُمْ وأَنفُسكُمْ في سَبيل اللَّه ذَلكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

يقول القرطبى فى المسألة الرابعة فى تفسيره لهذه الآية «وذلك إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو بحلوله بالعقر، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافًا وثقالاً، شبابًا وشيوخًا، كل على قدر طاقته، من كان له أب بغير إذنه ومن لا أب له، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج، من مقاتل أو مكثر. فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة، حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم. وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التى نزل العدو عليها واحتل بها سقط الفرض عن الآخرين. ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضًا الخروج إليه حتى يظهر دين الله وتُحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزى العدو. ولا خلاف فى هذا» [١].

- **حدود طاعة الوالدين:**

طاعة الوالدين لا تجب إذا أمرا بمعصية الله تعالى، بل الواجب حينئذ عدم الطاعة، إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وذلك لأن طاعة الوالدين مقيدة وليست مطلقة. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلي الأَمْر منكُمْ فَإن تَنَازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللَّه وَالرَّسُول إن كُنتُمْ تُؤْمنُونَ باللَّه وَالْيَوْم الآخر ذَلكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْويلاً﴾ [النساء: ٥٩].

فالله - عز وجل - جعل طاعته طاعةً مطلقةً، وطاعة رسوله ﷺ طاعةً

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٨.

مطلقةً، ولم يُطلق طاعة أولى الأمر - ومنهم الوالدان - فهى مقيدة بموافقتها لطاعة الله ورسوله.

وأما إذا أمر الوالدان بشئ مباح ولكن يوقع ضرراً لا مبرر لوقوعه فحينئذ أيضًا لا تجب الطاعة، كأن يأمر الأب ابنه بأن يطلق زوجته دون مبرر إلا لمجرد الطاعة.

وأما بالنسبة لموقف إبراهيم عليه السلام حين أمر ابنه إسماعيل أن يطلق زوجته - كما ثبت ذلك فى الصحيح - وموقف عمر بن الخطاب حينما أمر ابنه عبد الله أن يطلق زوجته - كما ثبت كذلك - فهذا لا يقاس عليه لأن الآباء فى تقديرهم ورشدهم ليسوا كإبراهيم عليه السلام وليسوا كعمر رضى الله عنه، وأما طاعتهما فى المباح والمندوب فهى واجبة ما لم يترتب على ذلك ضرر.

● **طاعة الوالدين فى المسائل الخلافية:**

إذا أمر الوالدان أو أحدهما بأمر فيه خلاف شرعى بين الحل والحرمة، فيجب على الابن أن يوازن بين الضرر الناتج عن طاعته لوالديه والضرر الناتج عن مخالفته لهما، فأى الأمرين كان أخف ضرراً فعله الابن، فإذا كانت مخالفة الوالدين لهذا الأمر ينتج عنه مالا يمكن دفعه فالذى أراه وأنصح به أن تقدم حينئذ طاعتهما من باب ارتكاب أخف الضررين.

● **كيف يوفق الداعية بين دعوته وطاعته لوالديه:**

بعض الشباب الذين يَمُن الله عز وجل عليهم بالهداية ومعرفة طريق الدعوة يتعجل الأمور ويريد أن يُغير كل شئ فى يوم وليلة، فتراه يعطى للمندوبات حجم الواجبات والمكروهات حجم المحرمات؛ وقد يُضخم بعض الفرعيات فتطغى على الكليات، فهو بتعجله هذا يجلب على نفسه ما لا يمكن أن يتحمله فى تلك الفترة، وبعدم توازنه بين الأمور يجلب على نفسه العنت والمشقة. ولكن الأسلوب الأمثل - فى رأيى - هو ضبط هذه الحماسة وتوجيهها الوجهة السليمة، ومراعاة الأولويات من فقه الدعوة، والتدرج فى التغيير سنة من سنن الله

عز وجل في الكون . ولكي يوفق الشاب بين دعوته وطاعته لوالديه فيجب عليه أن يشخص حالة والديه، فإذا كان الوالدان محاربين للدعوة عن اعتناق لفكر آخر معاد للدعوة، فننصح حينها بألا يكون هناك مواجهة بين الابن ووالديه، بل يكون التعامل معهما حينئذ بالفطنة والكياسة وذلك لخطورة الموقف حينئذ وذلك حتى لا يلاقي الابن مالا يمكنه أن يتحمله فتكون الفتنة عن الهداية . وأما إن كانت محاربة الوالدين لابنهما عن خوف عليه - كعادة الكثير من الآباء والأمهات - فيجب على الولد حينئذ أن يُطمئن والديه ويذكرهما دائماً بأهمية وضرورة الإيمان بالقضاء والقدر، وأن ما قدر للإنسان فإنه ملاقيه لا محالة، وعليه كذلك أن يكسب ودهما ويتلطف معهما دون التخلي عن دعوته أو التنازل عن مبدأ .

* * *

ثانيًا: صلة الرحم

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١].

ويقول: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴾

[الإسراء: ٢٦]

ويقول: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾

[النساء: ٣٦]

ومن خلال هذه الآيات يتبين لنا كيف أن المعاملات متصلة بالعقيدة اتصالا وثيقًا بل إن المعاملات إنما تنبثق من العقيدة، والله سبحانه وتعالى فى الآية الأولى ربط بين تقواه سبحانه وتعالى وتقوى الرحم ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ وتقوى الله نعلمها وأما تقوى الأرحام فمعناها أن نتعامل مع الأرحام بحذرٍ شديد ونتقيها حتى لا تُجرح وحتى لا تُخدش فيجعل الإنسان بينه وبين الأرحام وقايةً تحميها من كل شئ قد يؤثر عليها.

فهنا قرن الله سبحانه وتعالى بين تقواه عز وجل وتقوى الرحم لما لها من قداسةٍ خلعها الله عز وجل عليها.

وفى الآية الثالثة نجد أن الله عز وجل ربط أيضًا بين العقيدة المتمثلة فى إفراد الله بالعبودية وبين صلة الرحم والإحسان إلى ذى القربى.

* * *

فضل صلة الرحم

١ - صلة الرحم من الإيمان :

روى الشيخان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

٢ - تزيد الرزق والعمر :

روى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن يُبسط له فى رزقه وأن يُنسأ له فى أثره فليصل رحمه » .

٣ - تجلب حب الأهل وثراء المال :

أخرج البخارى فى الأدب المفرد من حديث ابن عمر رضى الله عنهما : « من اتقى ربه ووصل رحمه، نُسئ له فى عمره، وثرى ماله، وأحبه أهله » .

٤ - صلة الرحم تكفر الذنوب :

روى ابن حبان والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما : قال : أتى النبى ﷺ رجلٌ فقال : إنى أذنبت ذنباً فهل لى من توبة؟ فقال : هل لك من أم؟ قال لا، قال فهل لك من خالة؟ قال : نعم، قال فبرها » .

٥ - صلة الرحم تيسر الحساب وتدخل الجنة :

روى البزار والطبرانى والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته . قالوا : وما هى يا رسول الله؟ بأبى أنت وأمى؟ قال : تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فإن فعلت ذلك يدخلك الله الجنة » .

٦ - صلة الرحم ترفع الدرجات :

روى البزار والطبرانى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال :

تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك، وتصل من قطعك».

٧ - صلة الرحم أعجل الطاعة ثوابًا:

أخرج أبو داود فى السنن وأورده الألبانى فى صحيح الجامع الصغير من حديث أبى بكرة. رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من ذنب أجدر أن يجعل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من قطيعة الرحم، والخيانة والكذب، وإن أعجل الطاعة ثوابًا لصلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنموا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا».

٨ - صلة الرحم تدفع ميتة السوء:

روى أبو يعلى عن أنس بن مالك رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ «إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما فى العمر ويدفع بهما ميتة المكروه والمحذور».

* * *

عقوبة قاطع الرحم

١ - قاطع الرحم لا يدخل الجنة ابتداءً بل لا بد من عقوبته:

روى البخارى من حديث جبير بن مطعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع» أى قاطع رحم.

٢ - قطع الرحم يعجل العقوبة فى الدنيا:

روى أبو داود من حديث أبى بكرة: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم».

٣ - لا يُقبل عمل قاطع الرحم:

روى البخارى فى الأدب المفرد من حديث أبى هريرة مرفوعًا: «إن أعمال بنى آدم تُعرض كل عشية خميس ليلة جمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم».

٤ – أبواب السماء مغلقة دون قاطع الرحم :

روى الطبراني من حديث ابن مسعود رضى الله عنه : «أن أبواب السماء مغلقةٌ دون قاطع الرحم» .

وأخرج الطبراني عن الأعمش قال : كان ابن مسعود جالسًا بعد الصبح فى حلقة فقال : «أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعوا ربنا وإن أبواب السماء مرتجة دون قاطع الرحم» (١) .

٥ – لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم :

روى البخارى فى الأدب المفرد من حديث ابن أبى أوفى – مرفوعًا – «إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم» .

٦ – من قطع الرحم قطعه الله :

روى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه – عن النبى ﷺ ، قال : إن الله – تعالى – خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم؛ أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يا رب، قال فهو لك .

قال رسول الله ﷺ : فاقرءوا إن شئتم ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** ﴾ [محمد : ٢٢] .

* * *

الأرحام أولى بالصدقات

١ – قال رسول الله ﷺ : «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان، صدقةٌ وصلةٌ» (٢) .

---

(١) قال الهيثمى : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح إلا أن الأعمش لم يدرك ابن مسعود .

(٢) رواه أحمد والترمذى وقال حديث حسن، والنسائى وابن ماجة والحاكم عن سليمان ابن عامر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع .

٢ - روى البخارى ومسلم من حديث أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل وكان أحب أمواله إليه بَيْرَحاء وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت هذه الآية ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: إن أحب مالى إلى بيْرَحاء، وإنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال رسول الله ﷺ: «بخٍ ذلك مالٌ رابح ذلك مالٌ رابح، وقد سمعت ما قلت، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه».

* * *

ليس الواصل الذى يعامل أرحامه بالمثل

بعض الناس يعاملون أرحامهم معاملة التجار، فإن أحسنوا إليهم ردوا بالإحسان وإن أساءوا إليهم ردوا بالإساءة؛ فهؤلاء يقول لهم رسول الله ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى إذا قُطعت رحمه وصلها» (١).

وقد جاء رجل إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله: إن لى قرابةً أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ويسيئون إلىَّ ويجهلون علىَّ وأحلم عنهم، قال: لئن كان كما تقول كأنما تُسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» (٢).

* * *

وصل الرحم العامة

رُوى أن رجلاً قدم إلى معاوية، فقال له: سألتك بالرحم التى بينى وبينك؛ قال معاوية: أَمِنْ قريشٍ أنت؟ قال: لا. قال: فمن سائر العرب؟ قال: لا، قال: فأية رحم بينى وبينك؟ قال: رحم آدم! فابتسم معاوية وقال: رحم مجفوة والله لأكونَنَّ أول من يصلها، وقضى حاجته.

---

(١) رواه البخارى من حديث الحسن بن عمرو مرفوعًا.

(٢) رواه مسلم وأحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه، والمل هو الرماد الحار.

الأرحام أولى بالدعوة إلى الله

لا شك أن أقرب الناس لقبول الدعوة هم أقارب الداعية، وذلك لأنهم أكثر الناس معرفة به، وأكثر الناس حرصًا على حمايته، واستماتة فى الذود عنه وهم أحرص الناس على حفظ أسراره، والثبات معه عند المحن والشدائد. لذا فإن لوطًا عليه السلام حينما رأى نفسه يقف أمام القوم وحده بلا عصبة ولا عشيرة تعضده وتشد من أزره ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠]

وأما عن شعيب فإنهم كانوا يحسبون ألف حساب لعشيرته وأهله.

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود: ٩١].

وغالبا ما تقف العشيرة وراء ابنها الداعية؛ ولكن إذا وقفت وراءه مؤمنة بدعوته فإن ذلك له أكبر الأثر على قوة انطلاق الدعوة ونجاحها فكانت قوتهم قوة للدعوة، وأما إذا وقفت وراءه عصبيةً وحميةً فقط كان فى ذلك قوة للداعية فقط.

لذا فإن رسول الله ﷺ كان حريصًا على إسلام أهله وعشيرته، وهكذا ينبغى على الداعية أن يركز على دعوة أقاربه، فهم آخر الناس تخليًا عنه وهم آخر الناس انفضاضًا من حوله، وليعلم الداعية أن دعوته لأقاربه حق لهم عليه، فإذا كانوا أولى بصدقته من غيرهم فهم أحوج إلى دعوته من غيرهم!.

* * *

شبهات يثيرها بعض الدعاة

قد يُقَصِّر بعض الدعاة فى دعوة أقاربهم بل وأبنائهم وبناتهم ويبرر تقصيره هذا ببعض النصوص من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

وقوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وإذا عُوتب فى ذلك يقول: لقد كان أبو إبراهيم – عليه السلام – كافراً، وكان ابن نوح – عليه السلام – كافراً، وكانت زوجة نوح وزوجة لوط كافرتين إلى آخر هذه الحجج الواهية!.

ولو تأملنا فى هذه الآيات وغيرها نجد أنه صلى الله ﷺ كان يبذل مجهوداً غير عادى ويكلف نفسه فوق طاقتها فى دعوة أقاربه، وكان يشق عليه عدم استجابتهم فكان يحزن حزناً شديداً!.

ولذا فإن الله عز وجل يقول له: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ [الكهف: ٦].

فأين نحن من هذا؟!

وأما عن أبى إبراهيم، وابن نوح، وزوجة نوح، وزوجة لوط، فهؤلاء جميعاً يجعلهم بعض الدعاة شماعة يعلقون عليها تقصيرهم فى دعوة ذويهم؛ ومن منا بذل مع أبيه ما بذله إبراهيم مع أبيه؟! ومن منا فعل مع ابنه ما فعله نوح؟! ومن منا فعل مع زوجته ما فعله نوح ولوط؟!

ومن منا فعل مع عمه ما فعله محمد ﷺ؟!

وأنا لا أعنى بذلك أن القلوب بيد أحد يصرفها إلى الهدى حيث يشاء! كلا؛ إن القلوب بيد الله يصرفها حيث يشاء. ولكن لا يعنى هذا أن نترك العمل والسعى.

* * *

مؤشر خطـــر

نرى كثيراً من الدعاة إلى الله – عز وجل – لا يجعلون أولادهم وزوجاتهم مجالاً للدعوة! فكثيراً ما تجد أولاد الدعاة ليسوا دعاةً!! بل وربما وجدتهم يسيرون فى إتجاه مضاد تماماً لما عليه آباؤهم، والسبب فى ذلك هو أن الآباء لم يجعلوهم مجالاً لدعوتهم.

ثالثا : إكرام الجـــار

يقول الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾

[النساء : ٣٦]

فهذه الآية الكريمة أرجعت الإحسان إلى الوالدين وذى القربى واليتامى والمساكين والجيران وابن السبيل وما ملكت اليمين أرجعت كل ذلك إلى أصل واحد وهو عبودية الله وعدم الإشراك به، فهو الربط بين العقيدة والمعاملة .

يقول صاحب الظلال - رحمه الله -« إن التشريعات والتوجيهات - فى منهج الله - إنما تنبثق كلها من أصل واحد، وترتكز على ركيزة واحدة، إنها تنبثق من العقيدة فى الله، وترتكز على التوحيد المطلق سمة هذه العقيدة .. ومن ثم يتصل بعضها ببعض؛ ويتناسق بعضها مع بعض؛ ويصعب فصل جزئية منها عن جزئية؛ وتصبح دراسة أى منها ناقصة بدون الرجوع إلى أصلها الكبير الذى تلتقى عنده؛ ويصبح العمل ببعضها دون البعض الآخر غير وافٍ بتحقيق صفة الإسلام؛ كما أنه غير وافٍ بتحقيق ثمار المنهج الإسلامى فى الحياة » . انتهى

وقد جاءت السنة المشرفة مبينة ومفصلة حدود الجوار، وحقوقه، وجاء التطبيق العملى للرسول ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

أولا : حدود الجوار :

« فقد روى الطبرانى عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ رجلٌ فقال : يا رسول الله إنى نزلت فى محلة بنى فلان، وإن أشدهم إلىَّ أذى أقربهم لى جوارًا، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكرٍ وعمرَ وعليًا رضى الله عنهم يأتون المسجد، فيقومون على بابه، فيصيحون ألا إن أربعين دارًا جار، ولا يدخل الجنة

من خاف جارُه بوائقه » أى شروره . أى أن حدود الجوار أربعون جاراً من كل جهة من الجهات .

ثانيًا : حقوق الجار على جاره :

(أ) كف الأذى عن الجار :

إذا كان كف الأذى عن الناس عمومًا أمرًا أوجبه الله عز وجل، وجعله من حُسن الخلق الذى جاء به الإسلام، فإن كف الأذى يزداد وجوبًا فى حق المسلم عمومًا، بل ويزداد أكثر فى حق الجار .

فقد روى الإمام أحمد والطبرانى عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ لأصحابه : ما تقولون فى الزنا؟ قالوا : حرامٌ حرمه الله ورسوله، فهو حرامٌ إلى يوم القيامة، قال : فقال رسول الله ﷺ لأن يزنى الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره، قال : ما تقولون فى السرقة؟ قالوا حرمها الله ورسوله فهى حرامٌ إلى يوم القيامة قال : لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسرُ عليه من أن يسرق من جاره » .

بل إن رسول الله ﷺ نفى كمال الإيمان عن الذى لا يأمن جاره من شره .

فقال ﷺ « والله لا يؤمن .. والله لا يؤمن .. والله لا يؤمن » .

قيل يا رسول الله : لقد خاب وخسر .. من هذا؟ قال : « من لا يأمن جارُه بوائقَهُ » قالوا : وما بوائقُهُ؟ قال : شره » [1] .

بل إن رسول الله ﷺ جاءه رجل ذات يوم يشكو جاره، فقال له : « اطرح متاعك على الطريق » فطرحه، فجعل الناس يمرون عليه ويلعنونه؛ فجاء إلى النبى ﷺ، فقال : يا رسول الله لقيت من الناس .. قال« وما لقيت منهم؟ » قال : يلعنونى، قال : « لقد لعنك الله قبل الناس » فقال : إن لا أعود فجاء الذى شكاه إلى النبى ﷺ، فقال له : « ارفع متاعك فقد كُفيتَ » [2] .

---

(١) رواه البخارى. (٢) رواه الطبرانى والبزار بإسناد حسن بنحوه.

فانظر كيف جعل الرسول ﷺ الرأى العام ضد هذا الرجل حتى لامه كل الناس ولعنوا فعله هذا حتى اضطروه أن يراجع نفسه ويكف أذاه.

بل إن الرسول ﷺ يبين فى حديث أكثر صراحة ووضوحًا أن العبادة مع إيذاء الجار والإصرار على ذلك لا تغنى عن صاحبها شيئًا.

فقد قال رجل: يا رسول الله .. إن فلانةً تكثر من صلاتها وصدقاتها وصيامها .. غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها، قال: «هى فى النار».

قال: يا رسول الله: فإن فلانةً تذكر من قلة صيامها وصلاتها، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذى جيرانها، قال: «هى فى الجنة» (١).

فهذه امرأة صوامةٌ قوامةٌ متصدقةٌ إلا أن عبادتها هذه لم تقوم سلوكها، ولم تهذب أخلاقها، فما أغنت عنها عبادتها، وامرأة أخرى قليلة صلاة النوافل، قليلة صيام التطوع، قليلة صدقة التطوع - بحسب طاقتها - ولكن خلقها حسن، وسلوكها قويم، فقد أثرت فيها عبادتها فلها الجنة.

هذا وللأذى صور متعددة؛ فقد يؤذى الجار جاره بلسانه، بسببه، أو قذفه، أو غيبته، أو تجريحه، أو التشهير به - بدون داعٍ شرعى - وقد يؤذيه ببصره، بأن يتطلع إلى عوراته، وقد يؤذيه بأذنه، بأن يتجسس عليه ليطلع على أسراره، وقد يؤذيه بقلبه بالحقد، والحسد، والكراهية، والضغينة. وقد يؤذيه بهتك عرضه، أو سرقة ماله، أو ترويعه.

وقد يؤذى الجار جاره ببعض الأمور التى لا يظن أنها تؤذيه؛ كأن يرفع الجار صوت مذياعه ليشوش على جاره الذى يذاكر دروسه، أو ليقلق جاره النائم، أو يضايق جاره المريض؛ كل هذه صور من الأذى قد يغفل عنها بعض الناس وقد يؤذى الجار جاره بأن يكتم محاسنه، وينشر مسالبه.

وكان من دعاء داود عليه السلام: اللهم إنى أسألك أربعًا وأعوذ بك من أربعٍ، أسألك لسانًا صادقًا وقلبًا خاشعًا، وبدنًا صابرًا، وزوجة تعيننى على أمر

(١) رواه أحمد والبزار وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد.

دينى ودنياى، وأعوذ بك من ولد يكون علىَّ سيداً، ومن زوجة تشيبنى قبل وقت المشيب، ومن مال يكون مشبعةً لغيرى بعد موتى ويكون حسابه علىَّ فى قبرى، ومن جار سوء إن رأى حسنةً كتمها، وإن رأى سيئةً أذاعها وأفشاها.

(ب) الإحسان إلى الجار:

لا يُكتفى بكف الأذى عن الجار، بل لابد أن يتعدى الجار ذلك إلى درجة الإحسان إليه بكل صور الإحسان فيقول ﷺ: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (١).

ويقول أيضًا: «خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره» (٢).

بل إن الرسول ﷺ ينفى عن الجار كمال الإيمان وتمامه إذا بات شبعانًا وجاره جائع وهو يعلم، فقال ﷺ: «ما آمن بى من بات شبعانًا وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم» (٣).

أى ما آمن إيمانًا كاملاً تامًا يدفع صاحبه إلى الإحسان إلى الجار، وتفقد حاله.

ويقول سفيان الثورى – رحمه الله – من الجفاء أن يشبع الرجل وجاره جوعان لا يطعمه شيئًا.

وروى الخرائطى والطبرانى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال: «من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه، أتدرى ما حق الجار؟ إذا استعان بك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات أتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبنيان

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن.
(٣) رواه الطبرانى والبزار وإسناده حسن.

فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهةً فاهد له منها فإن لم تفعل فادخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده».

وبيَّن رسول الله ﷺ درجات الجوار فيقول: «الجيران ثلاثة جار له حق: وهو المشرك، وجار له حقان: وهو المسلم، له حق الجوار، وحق الإسلام؛ وجار له ثلاثة حقوق: مسلم له رحم، فله حق الجوار، وحق الإسلام والرحم» (١).

وقال مجاهد: كنت عند عبد الله بن عمر، وغلام له يسلخ، فقال: يا غلام: إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى، حتى قال ذلك مراراً. لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل - عليه السلام - يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (٢).

ومن النماذج التى سجلها التاريخ لتشهد للمسلمين بحُسن معاملتهم لأهل الذمة (٣) - مراعاة لحق الجوار - ما روى من أن عبد الله بن المبارك كان له جار يهودى، فأراد أن يبيع داره، فقيل له: بكم تبيع؟ قال بألفين، فقيل له: لا تساوى إلا ألفًا، قال: صدقتم، ولكن ألف للدار، وألف لجوار عبد الله ابن المبارك!! فأخبر ابن المبارك بذلك فدعاه فأعطاه ثمن الدار، وقال: لا تبعها!

ولولا ما لقيه اليهودى من حُسن جوار عبد الله بن المبارك ما نطق بهذه الشهادة.

(جـ) احتمال أذى الجار:

فلا يُكتفى أن تكف أذاك عنه، وتُحسن إليه، بل يجب أن تصبر على أذاه، ففى هذا رفع لدرجاتك عند الله تعالى، فقد روى البزار والطبرانى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أدلكم على ما يرفع الله به

---

(١) رواه الطبرانى عن جابر رضى الله عنه. (٢) متفق عليه.

(٣) أهل الذمة هم رعايا الدولة الإسلامية من أهل الكتاب.

الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك، وتصل من قطعك».

وفى الحديث «ليس حُسن الجوار كف الأذى عن الجار. ولكن حُسن الجوار الصبر على أذى الجار»(١).

ويروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه، فقال له: إن لى جاراً يؤذينى ويشتمنى ويضيق علىَّ، فقال: اذهب فإن هو عضى الله فيك فأطع الله فيه.

* * *

الداعية مع جيرانه

الإنسان بطبيعته أسير الإحسان، فهو يحب الذى يُحسن إليه، ومن ثَم فهو يطيعه عن حب، فالداعية ينبغى أن يدرك ذلك جيداً، وإحسان الداعية إلى جاره ينبغى أن يتميز عن إحسان المسلم العادى إلى جاره، فإحسان الداعية إلى جاره يعنى أن يعيش همومه ومشاكله وأحواله وأحزانه، فيكشف منها ما يعينه الله عليه، ويعيش الباقى معه بقلبه ووجدانه ونصحه وتوجيهه، والداعية الذى يعيش منزوياً عن جيرانه، لا يعرف عن ظروفهم وأحوالهم وهمومهم شيئًا كيف يستطيع أن يوصل لهم دعوته ؟!.

فإحسان الداعية إلى جيرانه يعنى أن يكون بيته قبلة لجيرانه، يقصده الجيران فى قضاء حوائجهم، يقصدونه لحفظ أسرارهم، يقصدونه لإبداء النصيحة والمشورة، يقصدونه لمعرفة أمور دينهم.

وأما أن يعيش الداعية فى برجه العاجى وينتظر أن يقول له الناس سمعنا وأطعنا فهيهات .. هيهات!

* * *

(١) رواه أبو داود والترمذى وحسنه ورواه ابن ماجه.

رابعًا : قضاء الحوائج

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

ففى هذه الآية المباركة يأمر الله عز وجل المؤمنين بالركوع والسجود - كناية عن الصلاة - ثم يأمرهم بالعبادة عمومًا، ثم يقرن الله - عز وجل - بذلك الأمر بفعل الخير الذى يمثل مردود الصلاة والعبادة على معاملات الإنسان، وأخلاقه وسلوكه. ويقول تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

يبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية أن مذاهب الناس فى هذه الحياة مذاهب شتى فهذا يختار الكفر، وهذا يختار الإيمان، وهذا يختار الطاعة، وهذا يختار المعصية؛ وهذا يختار الظلمات، وهذا يختار النور؛ وهذا يعمل لعقيدة ودعوة، وهذا يعمل لشهوة ونزوة؛ وبينما هذه مذاهب الناس فإذا بالله يختار لنا فعل الخيرات والمسابقة إليها، ثم يربط الله - عز وجل - فعل الخيرات بجمع الله لنا لمحاسبتنا، وأن الله بقدرته وعظمته يفعل كل شئ.

يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى - رحمه الله -: «إن غرور الدنيا قد يركب بعض الناس فيظنون أنهم فى منعة من الله وأنهم لن يلاقوه!! نقول لهم إنكم ستفاجأون فى الآخرة حين تعرفون أن الحساب حق، والجنة حق، والنار حق. ستفاجأون بما يحدث لكم .. ومن لم يؤمن ولم يسارع إلى الخير سيلقى الخزى والعذاب الأليم ..

إن الله ينصحنا أن نؤمن، وأن نسارع فى الخيرات لننجوا من عذابه»[1].

قلت: وحينئذ يكون الجزاء من جنس العمل وينفع الله الإنسان بما صنع من

---

(١) تفسير الشعراوى المجلد الأول ص ٦٥٧.

معروف، فقد بين ذلك رسول الله ﷺ فقال: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ فى بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» (١).

ففى هذا الحديث يبين لنا رسول الله ﷺ أن الله عز وجل يتولى بنفسه توفية الشخص بجزاء ما صنع من معروف لأخيه؛ فتفريج الكرب من العبد لأخيه يقابله تفريج الكرب من الله عز وجل للعبد، وتيسير العبد على أخيه يقابله تيسير الله على العبد، ومعاونة العبد لأخيه، ومشيه فى قضاء حوائجه يقابله معاونة الله للعبد.

وفى الصحيحين عن حذيفة وأبى مسعود الأنصارى أنهما سمعا النبى ﷺ يقول: «مات رجل فقيل له: بم غفر الله لك؟

فقال: «كنت أبايع الناس فأتجاوز عن الموسر وأخفف عن المعسر».

فإكرام العبد لأخيه بالتخفيف عنه يقابله إكرام الله عز وجل له بالتجاوز عن سيئاته. وكان ابن عباس – رضى الله عنهما – يقول: «صاحب المعروف لا يقع وإذا وقع وجد متكأ».

* * *

صور من قضاء الحوائج وفعل المعروف

١ – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين

---

(١) رواه مسلم وأبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة» [1].

٢ - كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يحلب للحى أغنامهم، فلما استخلف قالت جارية منهم الآن لا يحلبها. فقال أبو بكر بلى وإنى لأرجو أن لا يغيرنى ما دخلت فيه شئ كنت أفعله.

٣ - رُوى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج فى سواد الليل فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتًا، ثم دخل بيتًا آخر.

فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت؛ فإذا بعجوز عمياء مقعدة! فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت إنه يتعهدنى منذ كذا وكذا، يأتينى بما يصلحنى ويُخرج عنى الأذى!

فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة! أعثرات عمر تتبع!

٤ - فى الحديث «أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن، كسوت عورته، أو أشبعت جوعته، أو قضيت له حاجته» [2].

٥ - بعث الحسن البصرى قومًا من أصحابه فى قضاء حاجة لرجل وقال لهم: مروا بثابت البنانى فخذوه معكم فأتوا ثابتًا فقال: أنا معتكف فرجعوا إلى الحسن فأخبروه فقال: قولوا له يا أعمش أما تعلم أن مشيك فى حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة، فرجعوا إلى ثابت، فترك اعتكافه وذهب معهم.

٦ - يقول مجاهد: صحبت ابن عمر فى السفر لأخدمه فكان يخدمنى، وكان كثير من الصالحين يشترط على أصحابه أن يخدمهم فى السفر.

* * *

(١) متفق عليه. (٢) رواه الطبرانى من حديث عمر مرفوعا.

الدعاة وقضاء الحوائج

كثير من الذين يتصدرون للدعوة إلى الله عز وجل يُقصِرون مفهوم الدعوة على مجرد الوعظ والإرشاد! أو التلقين والحفظ!

وأنا لا أُقلل من أهميـة كل ذلك وضـرورته ولكن ينبـغى أن نتنبـه إلى نقطتين:

الأولى: أننا لا نستطيع توصيل الدعوة من خلال الوعظ فقط أو التعلم فقط إذ ليس كل الناس يُقبل على التعليم والحفظ، ولا على استماع الوعظ والإرشاد فيجب أن ينخرط الدعاة فى خدمة الناس وقضاء حوائجهم فى سائر المؤسسات والهيئات فإن ذلك يعمل على الإتصال بكل أفراد المجتمع وإزالة الحواجز بينهم وبين الدعوة.

الثـانيـة: أن أغلب الناس - إن لم يكن كلهم - تستطيع أن تأسره بالإحسان إليه وقضاء حوائجه فتوجد بذلك المودة والألفة التى تُوجد الصلة القلبية بينك وبينه، وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول: «ما رأيت رجلاً أوليته معروفًا إلا أضاء ما بينى وبينه، ولا رأيت رجلاً أوليته سوءًا إلا أظلم ما بينى وبينه».

ولكن قليل من الناس تستطيع أن تأسره بوعظك وعلمك.

ولذلك تنبهت الحملات التبشيرية (التنصيرية) لأثر الأعمال الخدمية على الناس فتوسعت فى ذلك وخصصت له الأموال الطائلة وذلك اقتناعًا منها بأثر ذلك على الناس.

فبم تفسر قيام إرساليات التنصير بإنشاء المدارس فى البلاد الإسلامية؟ وبم تفسر إقامة المستشفيات؟ وبم تفسر تلطفهم مع فقراء المسلمين؟ وبم تفسر مساعداتهم المادية لفقراء المسلمين؟!.

فهل يبنون المدارس لتعليم المسلمين؟!

وهل يقيمون المستشفيات لمعالجة مرضى المسلمين؟

وهل يتلطفون مع فقراء المسلمين من باب إغنائهم ابتغاء وجه الله؟!

وهل يقدمون المساعدات المالية وتوفير فرص العمل مساعدة منهم فى حل مشاكل المسلمين؟!

أم يفعلون كل ذلك لسواد عيون المسلمين؟!

إنهم يفعلون كل ذلك خدمة لدعوتهم وعقيدتهم؟ وذلك لأنهم لو لم يكسبوا من كل ذلك سوى أن ينزعوا من قلوب المسلمين كراهيتهم لرضوا بذلك.

فكيف إذا تعلق بهم أطفال المسلمين وفقراؤهم؟!

وكيف إذا اكتسب الأطفال منهم سلوكهم وعاداتهم؟!

بل وكيف إذا استطاعوا أن يربوا أجيالاً فى ديار المسلمين صلتهم بالإسلام مبتوتة؟!

ولكن مما يشرح الصدر أن قطاعًا كبيرًا من الدعاة يتفانون فى خدمة الناس وقضاء حوائجهم، فيسهرون ليلهم على حاجة الناس والسعى فى قضائها ليضربوا بذلك النموذج العملى للدعوة إلى الله عز وجل.

* * *

نماذج عملية من الخدمات الدعوية

النموذج الأول: لسيدنا موسى عليه السلام، وهو الموقف الذى ذكره لنا القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤].

فها هو موسى عليه السلام يخرج من مصر طريدًا هاربًا فارًا من ملاحقة

جند فرعون له، فيخرج بلا زاد وبلا دليل إلى طريق مجهول، ويتجه إلى مكان مجهول لا يعرف فيه أحداً؛ يخرج موسى عليه السلام وحيداً إلا من معية الله، وبينما هو جالس فى الحر الشديد، بلا زاد وبلا استعداد إذا به يجد الرجال الرعاة يوزدون أغنامهم لتشرب من الماء؛ ثم نظر موسى فوجد امرأتين تمنعان غنمهما عن الماء، فلم يقبل موسى بفطرته السليمة ،أن يقعد عن تلبية دواعى الفطرة والمرؤة وهو موسى المعروف بالنجدة والمعروف، والذى بالأمس القريب قتل نفسًا – خطأ – من أجل أن استغاث به ضعيف. وأمام هذا الموقف تناسى موسى أنه متعب قد لاقى ما لاقى من الجوع والألم والخوف، فغالب كل هذا وقام فسقى لهما ثم لجأ إلى الله عز وجل يطلب منه المن والعطاء.

وهـذا الموقف لموسى عليه السلام يبين لنا كيف أن كسب ود الناس يكون بقضاء حوائجهم، وكيف أن تفريج الكرب عن الناس يفتح قلوبهم للداعية.

فبمجرد أن وصلت البنتان إلى أبيهما وأخبرتاه بما كان من موسى وكيف أنهما احترمتا فيه شخصيته القوية ونفسه الذكية.

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾

[القصص: ٢٥ – ٢٦]

النموذج الثانى: لسيدنا محمد ﷺ:

لقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى فى التفانى فى قضاء حوائج الناس، حتى صارت حياته كلها هكذا، ونلمس ذلك فنجده واضحًا جليًا فى كلمات خديجة بنت خويلد – رضى الله عنها – لرسول الله ﷺ فى ليلة نزول الوحى عليه لأول مرة، حينما ذهب إلى خديجة قائلاً: زملونى زملونى وأخبرها الخبر، قالت له خديجة «كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم

وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق» [(1)].

وكل هذه الصفات تنم عن شخصية وجدت نفسها فى قضاء حوائج الناس وحُسن إكرامهم.

* * *

خامساً : أدب الحديث

القدرة على الكلام والبيان من أجلّ النعم التى أنعم بها الله على البشر؛ فالبيان من مقومات النجاح فى الحياة والتفاعل مع الغير، فيقول الله تعالى ﴿ **الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾ [الرحمن: ١ - ٤].

إلا أن الناس كثيراً ما يتركون لأنفسهم الحبل على الغارب، فتضرب يميناً وشمالاً، يقول الله تعالى: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ١١٤].

ومن ثَم أوصى الله عباده أن يختاروا من الكلام أحسنه وأنفعه حتى لا ينزغ الشيطان بينهم، فقال تعالى: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا** ﴾ [الإسراء: ٥٣].

ووصف عباده بأنهم يترفعون عن مجاراة الجاهلين بنفس خطابهم، فقال تعالى: ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا** ﴾ [الفرقان: ٦٣].

ويقول تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾ [القصص: ٥٥].

---

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى ص ١٠١.

وأمر الله سبحانه وتعالى الأمم السابقة كذلك بحُسن الخطاب والحوار وأدب الحديث فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣].

بل أمر الله تعالى بمجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن دون سب ولا فُحش.

فقال تعالى: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

والذى يسيح فى رياض السنة المشرفة يجد أنها عالجت آداب الحديث والحوار معالجة تامةً وافيةً ومن هذه الآداب المستنبطة من السنة:

١ - التفكير فى أبعاد الكلام قبل النطق به:

فالمسلم ينبغى له أن يفكر فى الكلمة، فإن كانت خيراً تكلم بها وإن كانت شراً امتنع عنها، وإن كانت لا فائدة منها أمسك عنها، وأما أن يتكلم الإنسان بكل ما يجئ على لسانه فإنه بذلك يعرض نفسه للزلل وهو واقع فيه لا محالة.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه: أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب» (١).

وفى حديث معاذ رضى الله عنه قوله ﷺ: «وهل يكب الناس فى النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم» (٢).

فالإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ثم يحصد يوم القيامة ما زرعه، ويبين لنا رسول الله ﷺ أن الإمساك عن الكلام - إذا كان فى غير الخير -

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى وصححه الألبانى.

من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر، فيقول ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[1].

وقال الحسن البصرى رحمه الله: كانوا يقولون «إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشئ تدبره بقلبه ثم أمضاه، وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا همَّ بشئ أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه».

ويقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: «والله الذى لا إله إلا هو ليس شئ أحوجَ إلى طولِ سجنٍ من لسانى». وكان يقول: «يا لسان قل خيرًا تغنم واسكت عن شرٍ تسلم من قبل أن تندم».

ويقول أبو الدرداء رضى الله عنه: «أنصف أذنيك من فيك، وإنما جُعل لك أذنان وفمٌ واحد لتسمعَ أكثرَ مما تتكلم».

٢ - التثبت من صحة الكلام قبل التحدث به:

فلا ينبغى للمسلم أن يجعل من فيه بوقًا من أبواق نشر الشائعات، والكلام الذى لا أصل له، أو ما زيد فيه فغيَّرَ معناه، يقول الله تعالى: **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾**

[الإسراء: ٣٦]

وروى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أفرَى الفرى أن يُرِىَ الرجلُ عينيه ما لم تريا».

ومعناه أن يقول بلسانه رأيت كذا وكذا دون أن يرى ذلك بعينيه.

وروى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «كفى بالمرء كذبًا أن يُحدِّث بكل ما سمع».

وكذلك يجب على السامع أن يستوثق مما يُنقل إليه - وخصوصًا إذا كان مصدر الكلام غير ثقة - ولا يبنى على ما يسمعه أى عمل أو قول حتى يتبين.

---

(١) متفق عليه.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وكم من أمور تفاقمت وتعقدت بسبب عدم الاستيثاق مما يصل إلى الإنسان من كلام.

٣ - البساطة وعدم التكلف:

فالمسلم دائما لا يحاول أن يخلع على نفسه خلعة مزيفة مزورة فلا تراه يتصنع الفصاحة ولا يتعسف فى كلامه.

وقد روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تُفهم، وإذا أتى على قوم سلم عليهم.. وكان ﷺ يتكلم بكلام فصل لا هزْرَ ولا نزْرَ، ويكره الثرثرة فى الكلام، والتشدق به» أى التكلف والتصنع.

٤ - المخاطبة على قدر الفهم:

فالمسلم فى خطابه لغيره يتكلم بالأسلوب والطريقة التى يفهمها المُخاطَب، لا التى يفهمها هو، فيخاطب الناس من واقع ظروفهم وبيئتهم وثقافتهم. فلا تراه يُشعر الذى أمامه أنه دون ثقافته، ودون مستواه الفكرى، ورُوى أن رسول الله ﷺ قال: «أمرنا معاشرَ الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم» (١).

ويقول علىّ رضى الله عنه: «حَدِثوا الناسَ بما يعرفونهُ، أتحبون أن يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه»!.

وجاء عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: «ما أنت بمُحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنةً».

٥ - إقبال المتحدث على الجلساء جميعًا:

وذلك بأن يُقبل المتحدث على مستمعيه جميعًا فيشملهم بنظراته

(١) رواه الديلمى بسندٍ ضعيف إلا أنه له شواهد كثيرة تجعله يرتقى إلى درجة الحسن لغيره.

وحواراته وابتساماته، فقد كان الرسول ﷺ يُحدث أصحابه فيظن كل واحد منهم أنه أقربهم إليه منزلةً، وأكثرهم حظًا من حبه ﷺ، وذلك من شدة اهتمامه بهم جميعًا، بل إن الرسول ﷺ كان يُقبل بوجهه على شر القوم ليتألفه، فقد روى الطبراني بإسناد حسن عن عمرو بن العاص قال: «كان رسول الله ﷺ يُقبل بوجهه وحديثه على شر القوم يتألفه بذلك. وكان يُقبل بوجهه وحديثه على حتى ظننت أني خير القوم، فقلت يا رسول الله: أنا خير أم أبو بكر؟ فقال: أبو بكر، قلت: يا رسول الله أنا خير أم عمر؟ قال: عمر، قلت: يا رسول الله أنا خير أم عثمان؟ قال: عثمان، فلما سألت رسول الله ﷺ صدعنى، فوددت أنى لم أكن سألته».

٦ - الإصغاء التام إلى المتحدث:

بمعنى أن يُنصت المستمع إنصاتًا تامًا؛ ليعى ما يسمعه.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا حدثهم رسول الله ﷺ كأن على رؤوسهم الطير من المهابة وشدة الاهتمام. وفى المقابل لذلك كان رسول الله ﷺ يُنصت إلى من يكلمه أو يسأله.

فقد روى أبو داود عن أنس رضى الله عنه قال: «ما رأيت رجلاً التقم أذن النبى ﷺ فيُنحى رأسه عنه حتى يكون الرجل هو الذى يُنحى رأسه، وما رأيت رسول الله ﷺ أخذ بيد رجل فترك يده، حتى يكون الرجل هو الذى يَدَع يده».

٧ - التحدث دون خلل ولا ملل:

وذلك بأن يتحدث المتحدث بقدر ما يعطى للكلام حقه دون اختصار يبتر الكلام بترًا ويذهب بجماله وحلاوته ومعناه، ودون استطراد يجلب الملل ويشتت الذهن ويشرد بالفكر.

فقد روى الإمام مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: «كنتُ أُصلى مع النبى ﷺ فكانت صلاته قصدًا، وخطبته قصدًا» أى وسطًا وروى أحمد وأبو داود من حديث حكيم بن حزام رضى الله عنه قال: «شهدتُ مع رسول الله ﷺ

الجمعة – فقام متوكئًا على عصا – أو قوس – فحمد اللهَ وأثنى عليه، فكانت خفيفاتٍ طيباتٍ مباركاتٍ».

٨ – حفظ اللسان وصونه إلا عن خير:

فيجب على المسلم أن يحفظ لسانه ويصونه من كل الآفات.

فيحفظه من السباب لأن رسول الله ﷺ يقول: «سبابُ المسلمِ فسوقٌ وقتالهُ كفرٌ» (١).

ويحفظه من الفُحش والتفَحُش لأن الرسول ﷺ يقول: «إن الله لا يحب كل فاحشٍ مُتفحشٍ» (٢).

ولقوله «إن الله تعالى يُبغض الفاحشَ البذئ» (٣).

ولقوله «ليس المؤمنُ بالطعَّان ولا اللعَّان ولا الفاحش ولا البذئ» (٤).

وحفظ اللسان يكون طبيعة المسلم حتى مع غير المسلمين؛ فقد قيل للرسول ﷺ ادع على المشركين فقال: «إنى لم أُبعث لعانًا ولكن بُعثتَ رحمةً»(٥).

بل إن رسول الله ﷺ ينهانا عن مجرد كثرة الكلام بغير ذكر الله، فيقول: «لا تكثروا الكلامَ بغيرِ ذكرِ الله. فإن كثرةَ الكلامِ بغيرِ ذكرِ الله تعالى قسوةٌ للقلب وإنَّ أبعدَ الناسِ عن اللهِ القلبُ القاسى» (٦).

ويحفظ المسلم لسانه عن عرض المسلم – خصوصًا – لأن لعرضه حُرمة وقداسة، ففى الحديث: «كلُ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ: دمُهُ، ومالُهُ، وعرِضُهُ»(٧).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد والطبرانى ورجاله ثقات.

(٣) رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

(٧) رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

ويجب حفظ اللسان من أن ينقل كلامًا إلى ذى سلطان – لغير مصلحة شرعية – فقال رسول الله ﷺ: «لا يُبلغنى أحدٌ من أصحابى عن أحدٍ شيئًا فإنى أُحبُ أن أخرُجَ إليكم وأنا سليمُ الصدرِ» (١).

٩ – مباسطة الجلساء أثناء التحدث وبعده:

وذلك بأن يقبل المتحدث على مستمعيه بالابتسامة الرقيقة، أو الدعابة الخفيفة، وذلك لأن القلوب تمل وتسأم، فيقول عليُ رضى الله عنه: «إن القلوبَ تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائفَ الحكمة».

وتقول أم الدرداء – رضى الله عنها –: «كان أبو الدرداء إذا حدث حديثًا تبسم، فقلت له: لا: يقول الناس إنك أحمق – أى بسبب تبسمك فى كلامك – فقال أبو الدرداء: ما رأيت أو سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثًا إلا تبسم، فكان أبو الدرداء إذا حدث حديثًا تبسم اتباعًا لرسول الله ﷺ فى ذلك.

١٠ – عدم التناجى بين اثنين دون الثالث:

الإسلام يحافظ على شعور المسلم نحو أخيه، ويحرص على أن تظل أواصر المحبة هى أساس العلاقة بين المسلمين، لذلك فإن كل ما من شأنه أن يجرح الشعور أو يُوجد الريبة فى القلوب فقد نهى عنه الإسلام، وإذا تناجى اثنان دون الثالث فإما أنهما يتناجيان سرًا فى شأن من شئونه هو، أو أنهما يتناجيان سرًا بعيدًا عنه لأنه ليس ثقة وليس أهلاً لأن يشترك فى الحوار وفى كلتا الحالتين فإن ذلك يُوجد فى نفسه شيئًا تجاههما، لذا فإن رسول الله ﷺ يقول: «إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجى اثنان دون الآخرِ حتى تختلطوا بالناس، منْ أجلِ أنَّ ذلك يُحزنه» (٢).

وقد امتثل السلف لأمر الإسلام وحكمه فى ذلك، فها هو عبد الله بن عمر

---

(١) رواه أبو داود والترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.
(٢) أخرجه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن مسعود.

كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد أن يناجيه فلم يفعل حتى دعا رابعًا ليتحدث مع الآخر، ثم ناجى الطالب للمناجاة.

* * *

الدعاة وآداب الحديث

يجب أن يكون للداعية إلى الله صورة تميزه عن غيره، وروح تختلف عن غيره، وأدب في الحديث يترفع عن الدنايا، وهذه الصورة ترسمها آيات القرآن في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾

[فصلت: ٣٣ : ٣٦]

وأفضل ما يُعبر عما بداخلي حول هذه الآيات هو ما قاله شهيد الإسلام سيد قطب – رحمه الله – وإني أرى أن من الخسارة أن أختصر كلامه أو أترك منه شيئًا يفقده حلاوته أو يقلل من درجة الاستفادة به.

فيقول – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾.

إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء. ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة؛ ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات. فتُصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ. ولا على الداعية بعد ذلك أن تتلقى كلمته بالإعراض، أو بسوء الأدب أو بالتبجح في الإنكار. فهو إنما يتقدم بالحسنة. فهو في المقام الرفيع؛ وغيره يتقدم بالسيئة. هو في المكان الدون.

ثم يقول – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ**﴾.

وليس له أن يرد بالسيئة، فإن الحسنة لا يستوى أثرها - كما لا تستوى قيمتها - مع السيئة والصبر والتسامح، والاستعلاء على رغبة النفس فى مقابلة الشر بالشر، يرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة، فتنقلب من الخصومة إلى الولاء، ومن الجماح إلى اللين.

ثم يقول - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

وتصدق هذه القاعدة فى الغالبية الغالبة من الحالات وينقلب الهياج إلى وداعة. والغضب إلى سكينة. والتبجح إلى حياء، على كلمة طيبة، ونبرة هادئة وبسمة حانية فى وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام! ولو قُوبل بمثل فعله ازداد هياجًا وغضبًا وتبجحًا ومرودًا. وخلع حياءه نهائيًا، وأفلت زمامه، وأخذته العزة بالإثم غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح وهو قادر على الإساءة والرد وهذه القدرة ضرورية لتؤتى السماحة أثرها. حتى لا يصور الإحسان فى نفس المسئ ضعفًا. ولئن أحس أنه ضعف لم يحترمه، ولم يكن للحسنة أثرها إطلاقًا.

وهذه السماحة كذلك قاصرة على حالات الإساءة الشخصية. لا العدوان على العقيدة وفتنة المؤمنين عنها. فأما فى هذا فهو الدفع والمقاومة بكل صورة من صورها. أو الصبر حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولاً.

وهذه الدرجة، درجة دفع السيئة بالحسنة. والسماحة التى تستعلى على دفعات الغيظ والغضب، والتوازن الذى يعرف متى تكون السماحة ومتى يكون الدفع بالحسنى.. درجة عظيمة لا يلقاها كل إنسان. فهى فى حاجة إلى الصبر وهى كذلك حظ موهوب يتفضل به الله على عباده الذين يحاولون فيستحقون: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

إنها درجة عالية إلى حد أن الرسول ﷺ وهو الذى لم يغضب لنفسه قط؛

وإذا غضب لله لم يقم بغضبه أحد. قيل له - وقيل لكل داعية فى شخصه - ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

فالغضب قد ينزغ، وقد يلقى فى الروع قلة الصبر على الإساءة أو ضيق الصدر عن السماحة. فالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم حينئذ وقاية، تدفع محاولاته لاستغلال الغضب، والنفاذ من ثغرته.

إن خالق هذا القلب البشرى، الذى يعرف مداخله ومساربه، ويعرف طاقته واستعداده، ويعرف من أين يدخل الشيطان إليه، يحوط قلب الداعية إلى الله من نزغات الغضب، أو نزغات الشيطان. مما يلقاه فى طريقه مما يثير غضب الحليم إنه طريق شاق. طرق السير فى مسارب النفس ودروبها وأشواكها وشعابها، حتى يبلغ الداعية منها موضع التوجيه ونقطة القياد.

* * *

سادسًا: التواصي بالحق

استخلف الله عز وجل هذه الأمة وجعل لها مقومات القيادة والريادة والخيرية فقد قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ولتكون هذه الأمة قوية قادرة على القيام بمهمة القوامة على كل الأمم، تقيم العدل بين الناس، فلا بد أن تكون قوية فى ذاتها، ولتكون كذلك فقد بين الله عز وجل عوامل هذه القوة فى قوله تعالى ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر].

فالإيمان، والعمل الصالح، والتواصى بالحق، والتواصى بالصبر؛ هى عوامل قوة هذه الأمة.

يقول صاحب الظلال – رحمه الله –: «والتواصى بالحق ضرورة. فالنهوض بالحق عسير. والمعوقات عن الحق كثيرة: هوى النفس ومنطق المصلحة، وتصورات البيئة وطغيان الطغاة، وظلم الظلمة، وجور الجائرين .. والتواصى تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى فى الهدف والغاية، والأخوة فى العبء والأمانة فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية، إذ تتفاعل معا فتتضاعف. تتضاعف بإحساس كل حارس للحق أن معه غيره يوصيه ويشجعه ويقف معه ويحبه ولا يخذله .. وهذا الدين – وهو الحق – لا يقوم إلا فى حراسة جماعة متعاونة متواصية متكافلة متضاعفة على هذا المثال.

والتواصى بالصبر كذلك ضرورة. فالقيام على الإيمان والعمل الصالح،

وحراسة الحق والعدل، من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة. ولا بد من الصبر. لا بد من الصبر على جهاد النفس، وجهاد الغير. والصبر على الأذى والمشقة. والصبر على تبجح الباطل وتنفج الشر. والصبر على طول الطريق وبطء المراحل، وانطماس المعالم، وبعد النهاية!

والتواصى بالصبر يضاعف المقدرة، بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف، ووحدة المتجه، وتساند الجميع، وتزودهم بالحب والعزم والإصرار .. إلى آخر ما يثيره من معانى الجماعة التى لا تعيش حقيقة الإسلام إلا فى جوها، ولا تبرز إلا من خلالها .. وإلا فهو الخسران والضياع » انتهى.

ويقول الشيخ محمد الغزالى – رحمه الله – فى كتابه: «نحو تفسير موضوعى لسور القرآن».

يقول: «إن الحق مر والصبر عليه باب للاضطهاد، والتشبث بالإيمان عند البعض رجعية محقورة ولا بد من عزيمة وجلد .. حتى يكسب المؤمنون المعركة» فإذا نظرنا فى السنة المشرفة، وجدنا أن رسول الله ﷺ جعل النصيحة – وهى باب من التواصى بالحق – هى الدين فقال ﷺ: «الدينُ النصيحة» قلنا: لمنْ؟ قال: لله ولكتابِهِ ولرسولِهِ، ولأئمةِ المسلمين وعامتِهِم» [1].

والنصيحة لله: تكون بالاعتقاد السليم والعبادة الصحيحة، وبطاعته والدعوة إلى طاعته وتعظيمه – سبحانه وتعالى – وتعظيم شعائره.

والنصيحة للرسول ﷺ – بعد وفاته – بإتباعه فيما أمر به والدعوة إلى ذلك وتكون كذلك بإحياء سنته والذود عنها، ورد كيد الكائدين وحقد الحاقدين، وتكون كذلك بتقديمه ﷺ على النفس والمال والولد.

والنصيحة لكتاب الله: تكون بتعلمه وحفظه، واتباعه، والتخلق بأخلاقه، والاستقاء من معينه الصافى، والدعوة إلى تحكيمه فى سائر شئون الحياة.

---

(١) رواه مسلم عن تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه.

والنصيحة لأئمة المسلمين: تكون بتأليف الناس عليهم وتأليفهم على الناس، وتحبيبهم إلى الرعية وتحبيب الرعية إليهم، وعدم الخروج عليهم، ووعظهم وإرشادهم وتذكيرهم بالموت والحساب والمسئولية الكاملة أمام الله عز وجل، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والجهر بكلمة الحق عند الجائر منهم، وعدم مداهنتهم، وتكون كذلك بالجهاد معهم وعدم خذلانهم أمام الأعداء.

والنصح لعامة المسلمين: يكون بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ودعوتهم إلى اتباع منهج الله عز وجل، وتكون كذلك بإسداء المعروف لهم والنصح والتوجيه والإرشاد.

يقول جرير بن عبد الله – رضى الله عنه –: «بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم» (١).

يقول ابن رجب الحنبلى رحمه الله فى كتاب «جامع العلوم والحكم».

«وقد أخبر النبى ﷺ أن الدين النصيحة، فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التى ذكرت فى حديث جبريل عليه السلام، وسمى ذلك كله دينا، فإن النصح لله يقتضى القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها وهو مقام الإحسان، فلا يكمل النصح لله بدون ذلك، ولا يتأتى ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة، ويستلزم ذلك الاجتهاد فى التقرب إليه بنوافل الطاعات على هذا الوجه وترك المحرمات والمكروهات على هذا الوجه أيضا». انتهى

* * *

صور من النصح لأئمة المسلمين

١ – نصح الحسن البصرى – رحمه الله – لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: «يا أمير المؤمنين .. الإمام العادل هو قوام كل مائل من الحق، وصلاح كل

---

(١) متفق عليه.

فاسد، وقوة كل ضعيف، والإمام العادل .. يا أمير المؤمنين .. كالراعى الشفيق على ما يرعى، وكالأب الحانى على ولده، وكالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده. والإمام العادل هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرد العيال!!!

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياعك وأنصارك عنده، واذكر إذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، لا تحكم بحكم الجاهلين، ولا تسلك سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين!!!

ولا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدا، وأنت مأسور فى حبائل الموت، وموقوف بين يدى الله، فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١].

٢ - عمر بن عبد العزيز يشترط خمسا لمصاحبته:

قال عمر بن عبد العزيز عندما تولى الخلافة:

من أراد أن يصحبنى فليصحبنى بخمس: يدلنى عن العدل إلى مالا أهتدى إليه، ويكون لى على الخير عونا، ويبلغنى حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ولا يغتاب عندى أحدا، ويؤدى الأمانة التى حملها منى ومن الناس.

٣ - نصح عبد الله بن عبد العزيز العمرى لهارون الرشيد:

حج هارون الرشيد ذات عام وفيما هو يسعى ثم رقى درجات الصفا، فهتف به عبد الله بن عبد العزيز العمرى فقال: يا أمير المؤمنين: انظر بطرفك إلى البيت. فنظر هارون وقال: قد فعلت. قال العمرى: كم من الناس ترى؟

قال الرشيد: ومن يحصيهم إلا الله؟!

قال العمرى: اعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحد من هؤلاء يُسأل يوم القيامة عن نفسه وأنت وحدك مسئول عن الجميع فانظر كيف تكون، فبكى هارون.

٤ - نصح الفضيل بن عياض لهارون الرشيد:

قال الفضيل بن عياض لهارون الرشيد عندما ذهب إليه يطلب منه النصيحة والتذكرة «إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إنى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علىّ. فعد الخلافة بلاءً، وعددتها أنت وأصحابك نعمة. فقال سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك فيها على الموت، وقال محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله غدا فليكن كبير المسلمين لك أبًا، وأوسطهم عندك أخًا، وأصغرهم لك ولداً. فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك. وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله غداً فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك. وإنى لأقول لك هذا وإنى لأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام، فهل معك يرحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا؟!.

فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غشى عليه. فقلت: أرفق بأمير المؤمنين. فقال: يا ابن أم الربيع: قتلته أنت وأصحابك وأرفق به أنا؟ ثم أفاق: فقال زدنى. فقال يا أمير المؤمنين.. إن عباس عم رسول الله ﷺ جاءه فقال يا رسول الله.. أمرنى على إمارة. فقال رسول الله - ﷺ - «يا عباس - عم النبى ﷺ - نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها، إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل» فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً ثم قال: زدنى يرحمك الله. قال يا حسن الوجه أنت الذى يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غش لرعيتك فإن النبى ﷺ قال «ما من عبد يسترعيه الله على رعية يموت.. يوم.. يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه

الجنة »[1] فبكى هارون الرشيد ثم خرج من عنده فقال هارون الرشيد : هذا سيد المسلمين اليوم » .

* * *

الدعاة والتواصى

النماذج السابقة نماذج من نُصح الدعاة لغيرهم، لكن الدعاة إلى الله عز وجل يحتاجون إلى التواصى بالحق والتواصى بالصبر فيما بينهم وذلك لأن مهمتهم شاقة وطريقهم طويل وعقباته كثيرة، ومنعطفاته خطيرة، فقد ينفد الزاد وتلين العزيمة وتضعف الهمّة ولا يستطيع الداعية أن يواصل الطريق وحده إذًا فلا بد من أن يكون الداعية فى بوتقة واحدة مع إخوانه الدعاة ليصهروا جميعًا فيها ويذوبوا، وساعتها يرى أحدهم عيب أخيه فيصلحه، ويراه تعثّر فيأخذ بيده ليقيل عثرته، ويراه نسى فيذكره، وتنضم المجهودات المتواضعة والإمكانيات القليلة المحدودة إلى بعضها ليباركها الله عز وجل وينفع بها .

والداعية الذى يعيش منزويًا بعيداً عن إخوانه من الدعاة، فمن الذى يستنهضه إذا تعثّر؟ ومن الذى يذكّره إذا نسى؟ ومن الذى يعينه إذا ضعف؟ ومن الذى يقوّمه إذا هو اعوج؟ وكيف ينطبق عليه قوله تعالى : ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾؟؟!! .

* * *

---

(١) مسلم من حديث معقل بن يسار (كتاب الإيمان – باب استحقاق الوالى الغاش لرعيته النار) .

سابعا : الإخـــاء

يقول الشيخ عبد الله ناصح علوان «الأخوة: هى رابطة نفسية تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام ..، مع كل من تربطه وإياه من أواصر العقيدة الإسلامية، ووشائج الإيمان والتقوى .. فهذا الشعور الأخوى الصادق يولد فى نفس المسلم أصدق العواطف النبيلة فى اتخاذ مواقف إيجابية من التعاون، والإيثار، والرحمة، والعفو عند المقدرة ... واتخاذ مواقف سليمة من الابتعاد عن كل ما يضر الناس فى أنفسهم وأموالهم وأعراضهم والمساس بكراماتهم ... ولقد حث الإسلام على هذه الأخوة فى الله، وبين مقتضياتها وملتزماتها فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية» [1].

الأخوة العامة: خلق الله – عز وجل – الناس جميعا من أصل واحد ثم تشعبوا وتفرقوا وتعددت ألسنتهم، وتوجهاتهم.

يقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات: ١٣].

فأساس العلاقة بين البشر أنها قائمة على التعارف لا التنافر، على الوئام لا على الخصام، على التعاون لا على التناحر، فما دام الجميع خلق من أصل واحد، ويعيش فى ظل ألوهية إله واحد، فلم التنافر والتخاصم؟! ولم التقاتل والتنازع؟! ولا يمكن أن يعيش الناس حقيقة وحدة الأصل إلا إذا عاشوا أولا حقيقة وحدة الألوهية فأدركوا أن التقوى هى أساس التفاضل بين الناس لا الجنس ولا اللون ولا اللسان، ما دام الجميع من أصل واحد.

أخوة الإيمان (الأخوة الخاصة):

وهى أخوة أوثق رابطة من تلك التى بين الناس فى الإنسانية عموما وذلك

---

(١) تربية الأولاد فى الإسلام جـ١ ص ٣٥٨.

أن الإنسان مفطور على أن يحب أشباهه ونظائره، ولا شئ يجعل الإنسان يرتبط قلبيا بإنسان آخر إلا أن يعتقد عقيدته ويتصور تصوره ويدين بما يدين به.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فهذه هي الآصرة التي تربط المؤمنين، إنها وشيجة العقيدة والإيمان التي ينضوي تحتها أتباعها، فالعقيدة والعقيدة وحدها كفيلة بأن تربط بين أتباعها برباط الأخوة لا الأخوة المزيفة المزورة! ولكن أخوة الحب ... أخوة الإيثار.

وأخوة العقيدة والإيمان هي أقوى من رابطة النسب - بدون العقيدة - وذلك لأن رابطة العقيدة لا تزول بزوال النسب ولكن رابطة النسب تزول بزوال العقيدة.

يقول القرطبي رحمه الله - في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب». انتهى.

وتاريخ هذه العقيدة ليشهد أنها متى استقرت في القلوب واجتمع عليها أصحابها كانت بالفعل أقوى من رابطة النسب، وقد تجلى ذلك في غزوة بدر ومن ذلك:

١ - فقد قتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يومئذ خاله العاص بن هشام بن المغيرة [(١)].

٢ - وبعد انتهاء المعركة مر مصعب بن عمير العبدري بأخيه أبي عزيز بن عمير الذي خاض المعركة ضد المسلمين، مر به وأحد الأنصار يشد يده، فقال مصعب للأنصاري: شد يديك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، فقال

---

(١) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري.

أبو عزيز لأخيه مصعب: أهذه وصاتك بى؟! فقال مصعب: إنه - أى الأنصارى - أخي دونك!!! [1].

وقد جاءت السنة المشرفة لتؤكد هذا المعنى وتبين أن المسلمين جسد واحد، إذا تألم أحد أعضائه تألمت بقية الأعضاء «مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» [2].

وقال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» [3].

* * *

الأُخوّة من أجلّ نعم الله

يقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٣]

ويذكر الله - عز وجل - العرب الذين كانوا بالأمس القريب أعداء يضرب بعضهم رقاب بعض فمنّ الله عليهم بأن ألف بين قلوبهم وجمعهم تحت راية التوحيد، وما كان لهم أن ينسوا العداوات القديمة والدماء التى ما جفت بعد، لولا هذه النعمة التى أنقذتهم من مغبة الطريق الذى كانوا يسيرون فيه.

وتبين الآية السابقة ملمحا هاما من ملامح الأمة الإسلامية وهو أن سر قوة المسلمين لا تمكن فى عددهم، ولا تكمن فى ثرواتهم، ولكن تكمن فى تجمعهم على أساس العقيدة والإيمان، وهو الأمر الذى يعمل الأعداء على ألا يكون.

---

(١) الرحيق المختوم لصفى الرحمن المباركفورى.

(٢) رواه البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير.

(٣) رواه البخارى من حديث أبى موسى الأشعرى (كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً).

لا يزعج أعداء الإسلام أن يلتف المسلمون حول راية العروبة – بعيدا عن الإسلام ولا يزعجهم أن يلتفوا حول قومية من القوميات، بل إن الأعداء أنفسهم يصنعون زعامات لهذه القوميات، فكل راية ينضوى تحتها عدد من المسلمين لتتناحر زعامات هذه القوميات لتكون النتيجة التى نراها على الساحة اليوم.

ولعل الكثير من المنظمات الإسلامية – أو العربية – الموجودة اليوم هى من تدبير أعداء الإسلام وذلك لتحاول أن تملئ الفراغ الذى تعانيه الأمة من جراء غياب الراية التى تجمع المسلمين تحتها وهى راية الخلافة الإسلامية.

فتكون هذه المنظمات بمثابة البدائل التى قدمها لنا الأعداء.

يقول الشيخ محمد الغزالى – رحمه الله: «إن ضعف رباط الأخوة الإسلامية نذير شر وهو ذريعة إلى تدخل غير المسلمين كى يستغلوا الأوضاع المائلة لمصالحهم الخاصة، والإسلام هو الخاسر أولاً وآخرًا» (١).

* * *

من متطلبات الأخوَّة

١ – المناصرة والمؤازرة:

فالأخوة تتطلب أن ينصر الأخ أخاه ويشد من أزره، ونصره له يختلف باختلاف المواقف؛ فنصره له حينما يكون مظلوما يكون بالوقوف إلى جانبه ومساعدته فى إثبات حقه، والعمل على رفع الظلم عنه، ونصره له إذا كان ظالما يكون بكفه عن ظلمه وبأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

وفى الحديث: «انصر أخاك ظالما أو مظلومًا، قال أنصره مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا؟! قال: تحجزه عن ظلمه فذلك نصره» (٢).

يقول الشيخ محمد الغزالى – رحمه الله – «وقد هان المسلمون أفرادا،

---

(١) من كتاب «نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم».
(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد من حديث جابر.

وهانوا أيما يوم وهت أواصر الأخوة بينهم، ونظر أحدهم إلى الأخوة نظرة استغراب وتنكر، وأصبح الأخ ينتقص أمام أخيه فيهز كتفيه ويمضى لشأنه كأن الأمر لا يعنيه [1].

٢ – المشى فى قضاء الحوائج:

فقد جاء في الحديث «إن لله تعالى عبادًا اختصهم بحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله» [2].

وقد روى عن رسول الله – ﷺ – «إن لله عند أقوام نعمًا أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين، ما لم يملوهم، فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم» [3].

٣ – خفض الجناح والتواضع:

يقول الله تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: ٢٩].

فإذا كانوا فيما بينهم فهى الرحمة، والتواضع، والتسامح، وإذا كانوا مع الكفار فهى الشدة والغلظة والقوة.

ويقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾

[المائدة: ٥٤]

فهذه صفات الجيل المنتصر الذى يحقق الله على يديه نصره.

٤ – المواساة بالمال عند الحاجة إلى ذلك:

فلا تقف الأخوة عند حد الكلمات الجوفاء والشعارات الدعائية، بل

---

(١) من كتاب «خلق المسلم».

(٢) رواه الطبرانى عن ابن عمر بإسناد حسن.

(٣) رواه الطبرانى وأحمد والحاكم بإسناد حسن عن ابن عمر.

تتحول إلى واقع عملى يتمثل فى بذل المال لسد حاجة المحتاجين، وأقل ذلك أن تعطيه من فضل مالك وأعلى ذلك أن تؤثره على نفسك.

وحكى أن رجلا أتى صديقا له، فدق عليه الباب، فقال أهلا وسهلا ما جاء بك؟ قال: على أربعمائة درهم دين، فدخل مسرعا وأخرج أربعمائة درهم ثم عاد يبكى فقالت امرأته: لم أعطيته إذ شق عليك ذلك: فقال إنما أبكى لأنى لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتى.

* * *

من نواقض الأخوة

١ - الخذلان وعدم المناصرة والمؤازرة:

ففى الحديث الشريف «قال رسول الله - ﷺ - «لا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره ثلاثة مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» (١).

ويكون هذا على مستوى الأفراد ومستوى الجماعات، فلا يخفى علينا استغاثات واستنصارات الشعوب الإسلامية فى فلسطين، وفى الشيشان، وفى البوسنة والهرسك، وفى كوسوفا، وفى كشمير، وغيرها. فهل هبت الشعوب الإسلامية لتغيث إخوان العقيدة؟! فهل قدمت الشعوب الإسلامية شيئًا تبرهن به على إخوتها للمستنصرين المستجيرين؟!! إن هذا الخذلان، وهذا التقاعس، بل والتواطؤ - أحيانًا - لهو ناقض لرابطة العقيدة.

وفى الحديث: «لا يقفن أحدكم موقفًا يضرب فيه رجل ظلمًا فإن اللعنة تنزل على من حضره حيث لم يدفعوا عنه» (٢).

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة.

(٢) رواه الطبرانى.

ويقول ﷺ – : « من أُذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة » (١).

رجل واحد يضرب ظلمًا تنزل اللعنة على من حضر ذلك ولم يرفع عنه الظلم! فكيف بالألوف التى تذبح !! فكيف بالأطفال التى تقتل!! فكيف بالأعراض التى تهتك؟! كم من اللعنات تنزل؟!

٢ – ترويع المسلم وإخافته :

ألا إن المسلم الحق هو الذى يدفع عن المسلم كل ما يؤذيه، فى نفسه أو ماله أو عرضه . أما أن يزعم الذين بروعون المسلمين ويخيفونهم بأنهم لا زالوا إخوانًا للمسلمين! هيهات!! وفي الحديث الشريف « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُروِّعنَّ مسلما » (٢) وأيضًا « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى وإن كان أخاه لأبيه وأمه » (٣).

ويقول : « من حمل علينا السلاح فليس منا » (٤).

* * *

الدعاة إلى الله وحق الأخوة

إذا كانت هذه حقوق الأخوة بين المؤمنين عمومًا فإن الدعاة إلى الله – عز وجل – يحتاجون إلى تدعيم هذه الحقوق بصورة أعمق وأقوى، إذ أن وعورة الطريق، وكثرة العقبات، كل ذلك يحتاج إلى أن يكون الأخ بجانب أخيه بنفسه وماله ووقته وعقله، إنه الامتزاج التام بين أرواح الدعاة، التكامل الكامل بين الدعاة، التكافل الكافل لحاجات الدعاة، التعاون المعين على أعباء الدعوة الجسام.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده وقال السيوطى فى الجامع الصغير إسناده حسن.
(٢) رواه الطبرانى فى الكبير وقال السيوطى إسناده حسن.
(٣) رواه مسلم فى الأدب، ورواه الترمذى فى الفتن، كلاهما عن أبى هريرة.
(٤) رواه أحمد والبخارى والنسائى وابن ماجة عن ابن عمر ورواه مسلم عن أبى هريرة.

قال على بن الحسن - رضى الله عنه - لرجل: هل يُدخِلُ أحدكم يده فى كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه؟ قال: لا. قال: فلستم بإخوان!

وقضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لأحد إخوانه، فجاءه بهدية. فقال ابن شبرمة: ما هذا؟ قال له أخوه: لما أسديته إلىَّ، قال له: خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يُجهِد نفسه فى قضائها فتوضأ للصلاة وكبِّر عليه أربع تكبيرات وعده فى الموتى!!!

ألا إن المهمة التى تنتظر الدعاة مهمة شاقة لا يصلح لها صف مهلهل!! ولا يصلح لها صف لا يسوده الإيثار فضلاً عن نقائه من أهل الأثرة! لا بد أن يعلم الفرد أنه وحده لا شئ؛ وبإخوانه كل شئ؛ لا بد أن يعى الداعية جيداً أنه إن لم يكن بإخوانه فلن يكون بغيرهم وهم إن لم يكونوا به فسيكونون بغيره، وليعلم الدعاة جميعاً أن أدنى مراتب الأخوة سلامة الصدر، وأعلاها الإيثار.

* * *

ثامنا : الإيثـــــار

الإيثار معناه: أن يقدم الإنسان حاجة غيره على حاجته، رغبةً فى الأجر والثواب، فتراه يجود بماله لأخيه مع حاجته إليه، ويجود بوقته لقضاء حاجة أخيه، مع احتياجه الشديد إليه.

يقول الله تعالى – واصفًا عباده الأبرار – ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** ﴾ [الإنسان: ٧ – ١٠].

يقول صاحب الظلال – رحمه الله – «وهى صورة وضيئة شفافة لقلوب مخلصة جادة عازمة على الوفاء لله بتكاليف العقيدة، مع رحمة ندية بعباده الضعاف، وإيثارًا على النفس، وتحرج وخشية لله، ورغبة فى رضاه، وإشفاق من عذابه تبعثه التقوى والجد فى تصور الواجب الثقيل».

ويقول فى قوله تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾.

وهى تصور شعور البر والعطف والخير ممثلا فى إطعام الطعام، مع حبه بسبب الحاجة إليه. فمثل هذه القلوب لا يقال عنها إنها تحب الطعام الذى تطعمه للضعاف المحاويج على اختلاف أنواعهم إلا أن تكون فى حاجة هى إلى هذا الطعام، ولكنها تؤثر به المحاويج».

ويقول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر: ٩].

فهذه الآية الكريمة المباركة ترسم صورة صادقة للأنصار الذين تبوءوا المدينة قبل المهاجرين، كما تبوءوا فيها الإيمان، فاتخذوه منزلاً لهم ودارًا!

هؤلاء الأنصار - في مجموعهم - يمثلون صفحة مشرقة فى التاريخ بلغت من إشراقها وعظمتها حداً لولا أن القرآن أخبرنا بها، وصحيح السنة؛ لقلنا إن هذا من نسج الخيال !! فكما تروى لنا كتب السيرة أن حب الأنصار لإخوانهم المهاجرين بلغ حداً عظيمًا، إذ ما نزل مهاجرى على أنصارى إلى بقرعة! وذلك لأن عدد الراغبين فى الإيواء، المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين!

ولولا أن القرآن نزل فزكى هؤلاء وأخبرنا عن دواخلهم الطاهرة، لقلنا بأن القوم يريدون أن يتجملوا ليشهد لهم الناس بالكرم والسخاء!

أو لقلنا إنهم يريدون أن يسجل التاريخ لهم مآثرهم!

ومن المواقف التى يقف الإنسان أمامها مشدوهًا: موقف سعد بن الربيع الأنصارى مع أخيه - فى الله - عبد الرحمن بن عوف المهاجرى، فقد روى البخارى أنهم لما قدموا المدينة آخى رسول الله - ﷺ - بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال لعبد الرحمن: إنى أكثر الأنصار مالاً فأقسم ما لى نصفين، ولى امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لى، أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك فى أهلك ومالك، وأين سوقكم؟ فدلوه على سوق بنى قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو، ثم جاء يومًا وبه أثر صفرة، فقال النبى ﷺ: مهيم؟ قال تزوجتُ قال: كم سُقتَ إليها؟ قال نواة من ذهب» (١).

فسعد يعرض على أخيه المال والزوجة!!

المال الذى يتقاتل عليه الأخوة أبناء الصلب الواحد، والبطن الواحد والثدى

---

(١) صحيح البخارى. باب إخاء النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار.

الواحد!!! يعرضه سعد على أخيه عبد الرحمن! والزوجة التى ربما تقاتل الأخوان للتنافس عليها! يتنازل عنها سعد لأخيه عبد الرحمن!

ولا تجد أعجب من موقف سعد إلا موقف أخيه عبد الرحمن الذى ضرب المثل الأعلى فى العفة والقناعة، فلا يسيل لعابه إلى المال ولا إلى الزوجة ولكن يقول لأخيه: بارك الله لك فى أهلك ومالك.

فإذا كان الأنصار ضربوا المثل فى الإيثار فإن المهاجرين ضربوا المثل فى العفة والقناعة، أليسوا جميعًا تربية محمد - ﷺ -؟! أليس المهاجرون هم الذين تركوا أموالهم وديارهم وخرجوا ينصرون الله ورسوله؟! أليس الأنصار هم الذين قطعوا كل الوشائج ووصلوا رابطة العقيدة بينهم وبين إخوانهم المهاجرين؟!

فإذا كانت هذه بعض النماذج من الإيثار فإنه من الممكن أن تتكرر هذه النماذج إذا استقت من نفس المنبع ونهلت من نفس المنهل الذى استقى منه ونهل أولئك الأنصار، فالمنهج موجود ويستطيع أن يُخرِّج الكثير من نماذج الإيثار.

* * *

صـــور من الإيثار

١ - جاء رجل إلى النبى - ﷺ - فقال: يا رسول الله: إنى مجهود - أى شديد الجوع - فأرسلَ إلى بيت إحدى زوجاته يسألها: هل عندك شئ من الطعام؟ فقالت: لا. والذى بعثك بالحق، ما عندى إلا ماء. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: من يضيف هذا الليلة يرحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار، وذهب به إلى بيته ودخل على زوجته فقال: «أكرمى ضيف رسول الله» وفى رواية: أنه سألها هل عندكِ شئ من الطعام؟

فقالت ما عندى إلا قوت صبيانى.

فقال علليهم، فإذا أرادوا الطعام فنوميهم! فإذا كان الليل، فضعى الطعام

بين يدى الضيف ! ثم قومى إلى السراج فأصلحيه، ثم أطفئيه ! وأريه أنا نأكل حتى يأكل الضيف ويشبع.

ففعلت ما أشار به زوجها، فنومت أطفالها على الجوع، ووضعت الطعام بين يدى الضيف؟ ثم قامت إلى السراج فأطفأته، وهى تظهر أنها تريد إصلاحه وجلست مع زوجها، وضيفها على الطعام.

وتظاهرا أنهما يأكلان - ولا يأكلان - حتى أكل الضيف وشبع وحمد الله تعالى فنزل جبريل عليه السلام، وأخبر النبى - ﷺ - بما فعل الأنصارى وزوجته مع الضيف ! ولما كان الصباح التفت النبى - ﷺ - إلى الأنصارى وقال له : « إن الله تعالى عجب من صنيعكم بضيفكما البارحة [1] (أى رضى عنكما كل الرضا).

٢ - وفى معركة اليرموك قدم الماء لعكرمة وأصحابه فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل، أحوج ما يكون إلى الماء، فيرده الثانى إلى الثالث، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم، ولم يشربه أحد منهم « رضى الله عنهم » [2].

٣ - قال ابن عمر - رضى الله عنهما - أهدى لرجل من أصحاب رسول الله - ﷺ - رأس شاه فقال : أخى فلان أحوج إليه فبعث به إليه، فبعثه ذلك إلى آخر، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداول سبعة [3].

٤ - بعث معاوية بن أبى سفيان بثمانين ألف درهم إلى عائشة، وكانت صائمة، وعليها ثوب خَلِق فوزعت هذا المال من ساعتها على الفقراء والمساكين

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى (تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٣٨).
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٣٨ .
(٣) إحياء علوم الدين جـ ٢ ص ١٧٢ .

ولم تبق منه شيئًا. فقالت لها خادمتها: يا أم المؤمنين، أما استطعت أنا تشترى لنا لحمًا بدرهم تفطرين عليه: فقالت يا بنية: لو ذكرتينى لفعلت » [1].

٥ - عوتب عبد الله بن جعفر - رحمه الله - لكثرة عطائه وسخائه فقال: إن الله عودنى عادة، وعودت خلقه عادة فأخاف أن أقطع العادة فتنقطع العادة.

* * *

قمـــــة الإيثـــــار

وأعلى قمة للإيثار أن يؤثر العبد رضى الله على رضى غيره، وإن عظمت فيه المحن واشتد فيه البلاء.

يقول ابن القيم - رحمه الله - « فمن آثر رضى الله فلا بد أن يعاديه رذالة العالم وسقطهم، وجهالهم وأهل البدع والفجور منهم، وأهل الرياسات الباطلة، وكل من يخالف هديه هديه فما يقدم على معاداة هؤلاء إلا طالب الرجوع إلى الله » [2].

* * *

صور من الإيثار المذموم

هذه الصور ليست فى حقيقتها إيثارًا بالمعنى الصحيح ولكنها إيثار فى نظر أصحابها. ومن ذلك:

١ - أن يؤثر الإنسان غيره بماله كله، ويقعد كلاً مضطرًا، مستشرفًا للناس أو سائلاً.

٢ - أن يؤثر الإنسان غيره بما يقطع عليه طريقه للوصول إلى الله، مثل أن يؤثر جليسه على ذكره لله، وتوجهه وجمعيته على الله، فيكون قد آثره على الله، وآثر بنصيبه من الله ما لا يستحق الإيثار.

(١، ٢) تهذيب مدارج السالكين.

٣ – الإيثار بما يفسد على المؤثر وقته، أو يؤثر بأمر قد جمع قلبه وهمَّه على الله فيفرق قلبه عليه بعد جمعيته ويشتت خاطره .

٤ – الإيثار بالقُرب : كمن يؤثر بالصف الأول – فى الصلاة – غيره ويتأخر هو، أو يؤثر غيره بقربه من الإمام يوم الجمعة، أو يؤثر غيره بالأذان والإقامة .

* * *

إيثـــــار الدعاة إلى الله – عز وجل –

وإيثار الدعاة إلى الله – عز وجل – يتطلب منهم :

١ – التجرد الكامل لدعوة الله تبارك وتعالى، وبذل النفس والنفيس فى سبيل تبليغ دعوة الله – عز وجل – إيثاراً لما عند الله، وإيثاراً لرضى الله على رضى غيره، فإذا كان الداعية كذلك فلا بد من المِحَن التى تقابله وتعترض طريق إيثاره لله – عز وجل – .

يقول ابن القيم – رحمه الله – (والمحنة تعظم على صاحب هذا الإيثار ليتأخر من ليس من أهله، فإذا احتملها وتقدم، انقلبت تلك المحن منحًا . وصارت تلك المؤن عونًا . وهذا معروف بالتجربة الخاصة والعامة، فإنه ما آثر عبد مرضاة الله – عز وجل – على مرضاة الخلق، وتحمل ثقل ذلك ومؤنته، وصبر على محنته إلا أنشأ الله من تلك المحنة والمؤنة نعمة ومسرة، ومعونة بقدر ما تحمل من مرضاته . فانقلبت مخاوفه أمانًا، ومظانّ عطبه نجاة، وتعبه راحة، ومؤنته معونة، وبليَّته نعمة، ومحنته منحة، وسخطه رضى، فيا خيبة المتخلفين، ويا ذلة المتهيبين) [١] .

٢ – التفانى فى حماية القيادات الدعوية، إيثارا لسلامتها على سلامة الفرد، إذ أن فى سلامة القيادة الدعوية تبقى الدعوة وتنتشر، وهذا ينبثق من التجرد الكامل للدعوة . ومن هذه الصور :

---

(١) تهذيب مدارج السالكين .

(أ) موقف على بن أبى طالب ليلة الهجرة إذ نام مكان الرسول – ﷺ – مضحيا بنفسه، مؤثرًا لحياة رسول الله – ﷺ –، لأن فى بقاء الرسول بقاء للدعوة.

(ب) خرجت امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله – ﷺ – فقالت ما فعل رسول الله – ﷺ –؟

قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين! قالت: أرونيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت: كل مصيبة بعده جلل» [1].

(جـ) رفع المشركون خبيبا – رضى الله عنه – على الخشبة ونادوه يناشدونه: أتحب أن محمدا مكانك؟ قال: لا والله العظيم ما أحب أن يفدينى بشوكة يشاكها فى قدمه فضحكوا منه» [2].

(د) ترس أبو دجانة يوم أحد على رسول الله – ﷺ – بظهره والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك» [3].

٣ – أن تسود روح الإيثار صف الدعاة إلى الله – عز وجل – فالإيثار أعلى درجات الحب، وهذه الدرجة العليا من الحب وإن كانت مندوبة بين المسلمين عموما فإنها يشتد ندبها بين الدعاة إلى الله – عز وجل –، إذ أنهم معرضون للشدائد والمحن فإذا ما كانت روح الإيثار هى السائدة فى هذا الصف، فإن الأفراد يتسابقون فى أيهم يجوع ليشبع أخوه! وأيهم يتعب ليستريح أخوه! وأيهم يسهر لينام أخوه! وأما إذا كانت الأثرة والأنانية سائدة بين أفراد هذا الصف فإنه ينهار عند أول شدة، إذ يتنازع الأفراد فيما بينهم على أيهم يأكل ليجوع الآخر! وأيهم يستريح ليتعب الآخر! وأيهم ينام ليسهر الآخر!!

ومن هنا فقد تحتم على الدعوة أن تربى أبناءها على الإيثار، ونبذ الأثرة.

---

(١) رواه ابن إسحاق، ورواه البيهقى مرسلاً.
(٢) البداية والنهاية جـ ٤ ص ٦٣.
(٣) زاد المعاد جـ ٢ ص ١٣٠.

تاسعا : الاتحــــاد

الخطاب الإلهى موجه إلى الجماعة لا إلى الأفراد :

يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾ [الحج : ٧٧ – ٧٨] .

ففى هاتين الآيتين يوجه الله – عز وجل – الخطاب للامة المؤمنة فيأمرها بالركوع والسجود والعبادة وفعل الخير ليرجوا الفلاح، ويكون ذلك استعدادا وتهيئة جماعية للأمة لتقوم بتكاليفها العظام المتمثلة فى الجهاد – وهو جماعى لإقامة العدل بين الأمم، لأن الله عز وجل جعل الرسول شاهدا عليهم ليقرر لهم المعايير والموازين التى تصلحهم ثم يقررون هم بدورهم المعايير والموازين التى تحكم الأمم لتضمن الأمن والأمان والعدل والسلام بين الناس، ومن ثم فهو عبء ثقيل يحتاج إلى تضافر الجهود .

ويقول تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾ [الفاتحة : ٥ – ٧] .

فلا يتوجه العبد إلى ربه بصيغة المفرد، حتى ولو كان يصلى وحده – بل يتحدث بلسان الجماعة، فنراه ينوب عن الجماعة فى التوجه إلى الله بالعبودية والاستعانة، ويطلب من الله عز وجل الهداية للجماعة كلها .

والمتأمل جيدا فى القرآن والسنة يجد أنهما يغرسان فى نفس المسلم الشعور بالجماعة فى كل أحكامه وفى كل تعاليمه . ففى الصلاة شرعت الجماعة، وشدد فى إقامتها .

فقد روى عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – «إن الله تبارك وتعالى ليعجب من الصلاة فى الجمع» (١).

وعن أبى الدرداء – رضى الله عنه – قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: «ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» (٢).

وكذلك شرعت الجمعة، والعيدان، والأذان والمساجد.

فعن ابن مسعود – رضى الله عنه –: أن النبى – ﷺ – قال لقوم يتخلفون عن الجمعة «لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم» (٣).

وحتى فى صلاة الجماعة – فى المسجد – يكره للمسلم أن يصلى وحده خلف الصف، لما فى ذلك من الظهور بصورة الانفراد أو الشذوذ عن الجماعة ولو من جهة المظهر الشكلى فقط..

فقد روى وابصة بن معبد – رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – رأى رجلا يصلى خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة» (٤).

والمقصود من كل ذلك هو إظهار حرص الإسلام على الوحدة والجماعة شكلا ومضمونا، جوهرا ومظهرا.

وفى الصيام لا يصوم المسلم وحده ولا يفطر وحده، بل يصوم يوم يصوم الناس ويفطر يوم يفطر الناس، تأكيدا على روح الجماعة.

---

(١) رواه أحمد عن عمر بن الخطاب – مرفوعا – بإسناد حسن، وكذلك الطبرانى من حديث بن عمر – مرفوعا – بإسناد حسن، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائى، وابن خزيمة، وابن حبان، فى صحيحيهما والحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب.

(٣) رواه مسلم. (٤) رواه أبو داود والترمذى وحسنه، وابن ماجة.

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله - ﷺ - «الفطر يوم يفطر الناس والأضحى يوم يضحى الناس» (١).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه: أن النبى - ﷺ - قال: صومكم يوم تصومون، وفطركم يوم تفطرون، وأضحاكم يوم تضحون» (٢).

وفى الوقوف بعرفه لا يقف الحاج وحده ولا يصح ذلك منه - بل يقف الحجاج جميعًا. وتأكيدًا لكل ذلك يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥١ - ٥٤].

فهذا خطاب من الله - تعالى - إلى كل الرسل وكأنهم موجودون فى مكان واحد وفى زمان واحد - على تباعد الزمان والمكان - فيأمرهم الله - عز وجل - بالعمل الصالح فى صورة الجماعة رغم أنهم لم يجتمعوا!!.

ثم تأكيد على وحدة الأمة ووحدة الربوبية، فتفرق الناس بعد الرسل أحزابًا وشيعًا ففرح كل حزب بما لديهم من غى وضلال !! والمقصود بالأمة فى الآية السابقة هى الدين.

* * *

اتباع الهوى ومتابعة البغى هو سبب التفرق

قلنا بأن الرسل جميعًا جاءوا بدين واحد وأمروا الناس باتباعه فاتبع الكثير من الناس أهواءهم.

يقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا

(١) رواه الترمذى وقال السيوطى فى الجامع الصغير «صحيح».
(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجة والترمذى وصححه.

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾

[الشورى: ١٣ – ١٤]

ما دام شرع الله الذى شرعه لنا هو نفسه الذى وصى به نوحًا، وهو نفسه الذى وصى به إبراهيم وموسى وعيسى، فلمَ الاختلاف إذًا؟! ولمَ يتقاتل أتباع موسى وأتباع عيسى؟! ولم يتقاتل أتباع عيسى مع أتباع محمد ﷺ؟! ولم تتقاتل الفرق داخل أتباع النبى الواحد؟! ما دفعهم إلى ذلك إلا أنهم كبر عليهم أن يتجردوا من الهوى والغى، فليس الجهل هو الذى دفعهم لذلك وليس أى شئ إلا الهوى والبغى.

يقول صاحب الظلال – رحمه الله – «فهم لم يتفرقوا عن جهل؟ ولم يتفرقوا لانهم لا يعرفون الأصل الواحد الذى يربطهم، ويربط رسلهم ومعتقداتهم. إنما تفرقوا بعد ما جاءهم العلم. تفرقوا بغيا بينهم وحسدا وظلما للحقيقة ولأنفسهم سواء. تفرقوا تحت تأثير الأهواء الجائرة، والشهوات الباغية، تفرقوا غير مستندين إلى سبب من العقيدة الصحيحة والمنهج القويم. ولو أخلصوا لعقيدتهم، واتبعوا منهجهم ما تفرقوا، بل إن الله – عز وجل – يقول: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣] أى وما اختلف فى الكتاب المنير المنزل لإزالة الاختلاف والتفرق فى الدين إلا الذين أتاهم الله الكتاب، فهم قد عكسوا الأمر حيث جعلوا ما أنزل لإزالة الاختلاف والتفرق سببا فى ترسيخ هذا الاختلاف واستحكامه.

* * *

الاختلاف في الدين انفصال عنه

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فهي البراءة الكاملة، والانفصال التام بين الذين فرقوا دينهم واختلفوا فيه وبين محمد - ﷺ - رمز الدين الذي ارتضاه الله للناس ولن يقبل منهم غيره.

ويقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥].

فيبين الله سبحانه وتعالى أن الاعتصام بحبل الله - القرآن والسنة - هو العصمة من الزلل والأمان من الاختلاف والتفرق، وأما في حالة التخلي عن حبل الله - عز وجل - فيكون التقاتل والتطاحن كما قال - ﷺ -: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[١].

يقول الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله -:

وهذا يدلنا على أن الذي يوحِّد الأمة ويجمع شتاتها وجود منهج موحَّد تعتصم به، وترجع إليه، وهو هنا حبل الله: الإسلام والقرآن، ووجود رسالة مشتركة تشتغل بها وتجعلها أكبر همها، وهو هنا الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أما إذا قعدت الأمة عن الرسالة، أو فقدت المنهج، فإن السبل ستتفرق بها عن يمين وشمال، والشياطين ستتجاذبها من شرق وغرب وهو

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة من حديث جرير بن عبد الله.

ما حذر منه القرآن بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] (١).

وحرصًا على وحدة الأمة وسلامتها من الاختلاف والتفرق؛ يحذرنا القرآن من دسائس غير المسلمين الذين يكيدون لهم ليفرقوا كلمتهم، ويمزّقوا وحدتهم، كما فعل ذلك اليهود في الإيقاع بين الأوس والخزرج بعد أن جمعهم الله على الإسلام، فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

* * *

الخروج عن إجماع الأمـــة

متى استقرت أحوال الأمة، واجتمعت كلمتها - على الحق - وتوحّدَ صفها وتوجهت نحو أداء مهمتها والقيام برسالتها، فإن خروج فئة أو حتى خروج فرد من الأمة على هذا الإجماع يعد تعطيلاً للأمة وتضييعًا لجهدها وجهادها وإيجادًا للذريعة التي يتذرع بها الأعداء للكيد والدسيسة بين صفوف الأمة، ومن ثَمَّ فقد شدد القرآن على ذلك فقال عز من قائل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ويقول - ﷺ -: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية» (٢).

وقال: «من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي بعهد ذي عهدها فليس مني ولست منه» (٣).

---

(١) من كتاب (ملامح المجتمع المسلم).
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.

وليس المقصود بالخروج على الجماعة هو مجرد الاختلاف فى الرأى فى المسائل الاجتهادية أو القضايا الطارئة على الأمة، ولكنه الخروج الذى يجعل الأمة تنقسم إلى أحزاب وفِرَق يضرب بعضها بعضاً فتضيع مقدَّرات الأمة. وهذا ما يبينه الحديث السابق.

* * *

التنازع يؤدى إلى الفشل والهزيمة

يقول الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله -:

«إن الشقاق يضعف الأمة القوية، ويميت الأمم الضعيفة.. ولذلك جعل الله أول عظة للمسلمين - بعد ما انتصروا فى معركة بدر - أن يوحِّدوا صفوفهم، ويجمعوا أمرهم. لما تطلعت النفوس الضعيفة للغنائم، تشتهى حظها وتتنافس على اقتسامها، نزل قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾

[الأنفال: ١]

ثم أفهمهم أن الاتحاد فى العمل هو طريق النصر المحقق والقوة المرغوبة ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٤٦] [١].

ولعل سبب الشدة التى لحقت بالمسلمين فى أُحد هو اختلاف الرماة على أميرهم عبد الله بن جبير، ومخالفتهم بذلك تعليمات الرسول - ﷺ - وذلك أن التنازع يجعل كل فريق يتبع هواه، ويتأثر وينتصر لرأيه ولشخصه فتتشتت الجهود، وتتفرق القلوب، ويحكم الهوى فيضيع النصر.

* * *

---

(١) من كتاب (خلق المسلم).

الخلاف فى الفروع لا يوجب الشقاق والتناحر

كلامنا السابق خاص بالاختلاف المذموم وهو الاختلاف فى الأصول والعقائد، أما الخلاف فى المسائل الفرعية، التى تخضع لإعمال العقول، فمن الطبيعى أن يختلف فيها المجتهدون، إذ أن العقول تتفاوت، والظروف والأحوال تتباين، ومن ثَمَّ فمن اجتهد – وكان من أهل الاجتهاد – فأصاب فله أجران، أجر على اجتهاده، وأجر على إصابته، ومن اجتهد فأخطأ، فله أجر واحد وهو أجر اجتهاده، وذلك لأنه استفرغ طاقته وعمل بكل إمكاناته ولم يتبع الهوى.

وكما جاء فى الحديث «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر» (١).

وقد كان الصحابة – رضوان الله عليهم – يختلفون فى فهم النصوص الشرعية الظنية الدلالة، ومن ذلك موقفهم فى غزوة بنى قريظة، فبعد أن رجع النبى – ﷺ – من غزوة الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام فقال «قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه، فاخرج إليهم قال: فإلى أين؟ قال: ههنا، وأشار إلى بنى قريظة، فخرج النبى – ﷺ – إليهم» (٢).

ونادى – ﷺ – فى المسلمين: «ألا لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة» فسار الناس، فأدرك بعضهم العصر فى الطريق، فقال بعضهم لا نصلى حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلى، ولم يُردْ منا ذلك فذكروا ذلك للنبى – ﷺ – فلم يُعنّف أحداً منهم (٣).

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى «وفى اختلاف الصحابة فى فهم كلام رسول الله – ﷺ –: «ألا لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة» على النحو السابق، مع عدم تعنيف النبى – ﷺ – أحداً منهم أو معاتبته، دلالة هامة

---

(١) رواه البخارى.
(٢) متفق عليه وهذا لفظ البخارى.
(٣) رواه البخارى.

على أصل من الأصول الشرعية الكبرى، وهو تقرير مبدأ الخلاف فى مسائل الفروع، واعتبار كل من المتخالفين معذوراً ومثاباً، سواء قلنا أن المصيب واحد أو متعدد كما أن فيه تقريراً لمبدأ الاجتهاد فى استنباط الأحكام الشرعية، وفيه ما يدل على أن استئصال الخلاف فى مسائل الفروع التى تتبع من دلالات ظنية، أمر لا يمكن أن يتصور أو يتم (١).

قلت: لو أراد الله – عز وجل – من الناس الإتفاق فى جميع الفروع لجعل لكل الأدلة قطعية الدلالة !! ولكن حكمة الله – تعالى – اقتضت أن تكون الأغلبية الساحقة من الأدلة الشرعية (الكتاب أو السنة) ظنيه الدلالة (٢).

وذلك حتى تتحقق صفة المرونة للتشريع الإسلامى والتى تؤهله للصلاحية لكل زمان ومكان. ونخلص مما سبق إلى أن الله عز وجل جعل بعض الأحكام ذات وجه واحد وبعض الأحكام ذات أوجه متعددة؛ فالأحكام التى ذات وجه واحد لا يقبل الله إلا هذا الوجه، وذلك مثل آيات المواريث، فهى قطعية الثبوت – كسائر القرآن – وقطعية الدلالة؛ إذ لا مصلحة – للناس فى أن تكون هذه الآيات ظنية الدلالة وأما عن الأحكام المتعددة الأوجه، فيقبل الله – عز وجل – منها أى وجه وذلك تيسيراً على الأمة ودفعاً للحرج عنها.

يقول الدكتور يوسف القرضاوى – حفظه الله –: «وقد عرفنا فى عصرنا أناساً يجهدون أنفسهم، ويجهدون الناس معهم، ظانين أنهم قادرون على أن يصبوا الناس فى قالب واحد يصنعونه هم لهم، وأن يجتمع الناس على رأى واحد، يمشون فيه وراءهم، وفق ما فهموه من النصوص الشرعية، وبذلك تنقرض المذاهب، ويرتفع الخلاف، ويلتقى الجميع على كلمة سواء!!

---

(١) من كتاب (فقه السيرة النبوية).

(٢) ظنى الدلالة: أى أنه يحتمل أكثر من تأويل تبعاً لقواعد اللغة العربية وأوجه الإعراب، وتبعاً للعرف والمصلحة وذلك مثل قوله تعالى ﴿**والمطلقات يتربصن بأنفسهم ثلاثة قروء**﴾ فمن العرب من يسمى الحيض قرءاً ومنهم من يسمى الطهر قرءاً ومنهم من يجمعهما جميعاً فيسمى الطهر مع الحيض قرءاً.

ونسى هؤلاء أن فهمهم للنصوص ليس أكثر من رأى يحتمل الخطأ، كما يحتمل الصواب، إذ لم تضمن العصمة لعالم فيما ذهب إليه، وإن جمع شروط الاجتهاد كلها، كل ما ضمن له هو الأجر على اجتهاده، أصاب أم أخطأ ولهذا لم يزد هؤلاء على أن أضافوا إلى المذاهب المدونة مذهبًا جديدًا! ومن الغريب أن هؤلاء ينكرون على أتباع المذاهب تقليدهم لأئمتها، على حين يطلبون من جماهير الناس أن يقلدوهم ويتبعوهم»[1].

* * *

اتحاد الدعاة إلى الله - عز وجل -

العمل الجماعى واجب يفرضه الدين:

١ - يقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٢ - ويقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالخطاب فى الآية الأولى موجه إلى الأمة جميعًا بصفتها الجماعة التى اختارها الله - عز وجل - وفضلها على سائر الأمم بما لها من خصائص الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله.

وفى الآية الثانية يُوجب الله - عز وجل - الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على فئة من الأمة - على سبيل فرض الكفاية.

٣ - ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦].

---

(١) من كتاب «الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف».

وهل الموالاة إلا الحب والمناصرة وربط المصير بالمصير؟! وهل يمكن ذلك إلا أن يكون داخل الجماعة التى تمثل حزب الله فى الأرض؟!

٤ - ويقول: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهذه الآية تبين أن سبيل الدعوة هو سبيل الرسول والذين اتبعوه بإحسان؛ وهل كان الرسول إلا مؤسس جماعة تقوم بواجب الدعوة إلى الله؟!

٥ - ويقول تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

فهذه الصفات، من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله هى؛ الصفات التى تفرق بين جماعة المؤمنين وجماعة المنافقين؛ لأن الله تعالى يقول فى صفات المنافقين: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧].

إذًا فهناك حزبان: حزب للجماعة المؤمنة يضمهم جميعًا بما لهم من مواصفات، وحزب للمنافقين يضمهم بما لهم من مواصفات، فلا بد للمسلم أن يكون فى حزب الجماعة المؤمنة، مواليًا لها ومناصرًا ورابطًا مصيره بمصيرها.

أما أن يكون المسلم على الحياد بين الحزبين فلا!!

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - للذين يكتفون بأمور العبادة الفردية ويتهربون من التكاليف الجماعية والتى من أهمها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يقول عنهم «هؤلاء فى نظر العلماء من أقل الناس دينًا، فأى دين وأى خير فيمن يرى محارم الله تُنتهك. وحدوده تُضاع ودينه يُترك، وسنة رسوله - ﷺ - يُرغب عنها، وهو بارد القلب ساكن اللسان؟ شيطان أخرس. وهل بليَّة الدين إلا

من هؤلاء الذين سلمت لهم مآكلهم، ورياساتهم، فلا مبالاة بما يجرى على الدين وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم، قوبلوا فى الدنيا بأعظم بليّه، وهم لا يشعرون وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى. وانتصاره لدين الله أكمل» [1].

٦ – يقول تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ – ٧٩].

وهذه الآية تبين أن سبب لعن بنى إسرائيل هو تركهم لواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٧ – ويقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]

وهذه الآية تبين أن عدم فعل المنكر، أو عدم الظلم ليس كافيًا لنجاة الإنسان بل لابد وأن ينهى الناس عن المنكر وعن الظلم.

٨ – ويقول تعالى: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وتبين الآية أن النجاة فى النهى عن المنكر، وأن الهلاك فى فعله.

والآية تعقيب على أصحاب السبت الذين تحايلوا على شرع الله، فنهتهم الجماعة المؤمنة فلم ينتهوا.

٩ – ويقول تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر].

---

(١) من كتاب (أعلام الموقعين).

وما دام الإنسان عمومًا فى خسران إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، فتكون هذه الأربعة واجبة، ولا يكون التواصى بالحق والتواصى بالصبر إلا إذا كان ذلك داخل الجماعة.

١٠ – وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس: إنى قمت فيكم كما قام رسول الله – ﷺ – فينا، فقال: أوصيكم بأصحابى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف، ويشهد الشاهد ولا يُستشهد، ألا لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة» (١).

ويظهر من الحديث أن حاجة الناس إلى الجماعة تشتد كلما طغى الفساد وانتشر.

١١ – عن أبى موسى عن النبى – ﷺ – «والذى نفسى بيده لتأمرونَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر ولتأخذنَّ على أيدى المسئ، ولتأطرنَّه على الحق إطراً أو ليضربنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم» (٢).

والفعل الذى يؤدى تركه إلى اللعن لا شك أن فعله يكون واجبًا، وكذلك مما لا شك فيه أن هذه الأمور الواردة فى الحديث لا يمكن أن يقوم بها الفرد وحده فعينت الجماعة.

١٢ – عن العرس بن عميرة قال: قال رسول الله – ﷺ – «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى تعمل الخاصة بعمل تقدر العامة على أن تغيره، ولا تغيره، فذاك حين يأذن الله فى هلاك العامة والخاصة» (٣).

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
(٢) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.
(٣) رواه الطبرى ورجاله ثقات.

وفى الحديث:

أن المعصية الفردية؛ أى التى يعملها آحاد الناس ولا يجهرون بها، لا يرجع عقابها على سائر الأمة، أما إذا استساغت الأمة معصية الخاصة وألفتها ولم تمجها مع القدرة على ذلك فإن العقوبة حينئذ تشمل العامة والخاصة.

العمل الجماعى ضرورة يحتمها الواقع:

كل الآيات السابقة والأحاديث، وغيرها، يصرفها بعض الدعاة إلى الجزئيات والفروع، فيجعلون من المسائل الفرعية الجزئية قضايا مصيرية!!

فيبذلون قصارى جهدهم ووقتهم ومالهم فى معالجة هذه القضايا الثانوية، ونسوا أن هناك المنكر الأكبر، يجب أن يُزال، وهناك المعروف الأكبر يجب يُؤمر به! فكيف توجد الفروع والأصول مفقودة؟!

والمنكر الأكبر الموجود هو غياب منهج الله عن الحياة، وغياب الخلافة الإسلامية التى ينضوى تحتها المسلمون؛ ومن ثَمَّ فوجب تكريس جُل الجهود لإزالة هذا المنكر، وللأمر بالمعروف الأكبر؛ وهو التمكين لمنهج الله فى الأرض لتكون شريعة الله مهيمنة على كل جوانب الحياة، ولا يعنى هذا ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى سائر المسائل الفرعية: كلا!

ولكن أعنى بأن يأخذ كل شئ حجمه الطبيعى بلا تضخيم ولا تهويل ولا تهوين.

وإذا كانت المسائل الفرعية تصلح فيها المجهودات الفردية، فهل يصلح الفرد وحده أن يأمر بالمعروف الأكبر ويحقق ذلك؟! وهل يستطيع الفرد وحده أن ينهى عن المنكر الأكبر؟! بلا شك أن الواقع يشهد أنه للقيام بالأمر بالمعروف الأكبر والنهى عن المنكر الأكبر لا يمكن أن يتم إلا من خلال جماعة وذلك للأسباب الآتية:

١ - أن أعداء الإسلام يعملون فى نظام وتنظيم، فى صورة جمعيات سرية، أو فى صورة جمعيات علنية تلبس ثوباً آخر غير ثوبها.

فهل يعمل أعداء الإسلام فى دقة ونظام وتخطيط ونحن لا زلنا تختلف فى مدى شرعية العمل الجماعى؟! وإذا كان العمل الجماعى غير واجب! فكيف نواجه تكتلات الأعداء؟! وكيف نواجه تنظيماتهم السرية؟! بل والعلنية؟!

يقول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الأنفال: ٧٣].

فهل يُعقل أن ينصر الكافرون بعضهم بعضًا، ويحاربوننا مجتمعين ونحن نواجههم فرادى؟! أم أن الحل ألا نواجههم بالمرة؟! فالله - عز وجل - يبين لنا إلا نفعله مثلهم - فى تجمعهم ومناصرتهم لبعض - تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير. وهل هناك فتنة وفساد أكبر من تنحية منهج الله عن الحياة؟!

٢ - ما دامت مواجهة الأعداء واجبة، ولا يمكن ذلك إلا من خلال جماعة فتكون الجماعة واجبة إذ أن وسيلة الشئ تأخذ حكمه أى أن «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

٣ - أن مجهود الفرد - أيًا كانت قدراته - لا يمكن أن يقيم أمة تستعيد عزتها وكرامتها ومقدساتها، لكن أن تنضم المجهودات الفردية إلى بعضها فتكون بناءً قويًا، اللبنة القوية فيه تزداد قوة وتماسكًا، واللبنة الضعيفة تتقوى بأخواتها.

يقول الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - «والاتحاد قوة .. وليس ذلك فى شئون الناس فقط، إنه قانون من قوانين الكون، فالخيط الواهى إذا انضم إليه مثله أصبح حبلاً متينًا يجر الأثقال، وهذا العالم الكبير ما هو إلا جملة ذرات متحدة» [١].

٤ - الجماعة تنظم مجهودات الأفراد وتوجهها، وتنسق بينها وتوزع الأدوار فى الدعوة بحسب القدرات والطاقات فتنسجم مع بعضها وتتكامل، وبذا فإنها

---

(١) من كتاب (خلق المسلم).

تستغل كل الطاقات التى لو تركت دون توجيه لأهملت، أو لأخرجت فى غير فائدة.

٥ - الجماعة تشحذ عزم الأفراد وتصقل أرواحهم دائما، وتوجد لهم الأنشطة الدعوية التى يمارسونها.

٦ - الجماعة تعصم الأفراد من الشطط والزلل الذى يمكن أن يقع فيه الفرد بعيدا عن الجماعة.

٧ - الجماعة تجعل مجهودات الأفراد موجهة وجهة واحدة دون أن يهدم الفرد ما يبنيه غيره.

٨ - الجماعة بما لقيادتها على أفرادها من السمع والطاعة تمنع الخلاف الذى قد ينشب بين الأفراد.

فروى أبو هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - قال «إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم» [1].

فإذا كانوا ثلاثة وجب عليهم أن يُنصّبوا منهم أميرًا عليهم وذلك لحل مسائل الخلاف وتنظيم الأمور، فما بالك بالذين يعملون لإحياء أمة؟! ألا يحتاجون إلى من يتولى قيادهم؟!

يقول عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - «لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة».

٩ - الجماعة تحافظ على أفرادها من التساقط والضياع.

وكم شهدت الساحة الإسلامية من أفراد علت أصواتهم، وكان لهم ما لهم من الصيت، ثم فجأة خفيت أصواتهم!!

وكم من الشباب قطعوا أشواطًا فى الطريق ثم لم يجدوا من يحتويهم ويوجههم الوجهة الصحيحة ويضعهم ضمن لبنات البناء، فذابوا وتفتتوا!!! وأخذتهم الريح فألقت بهم فى مكان سحيق!!

---

(١) رواه ابن ماجة والطبرانى وهو حسن.

عاشراً : الإحســـان

الإحسان هو أن ينشد الإنسان الكمال في كل شئ :

١ – ففي باب المعاملات والعلاقات الشخصية لا يكتفى بالعدل بل يتعداه إلى الفضل وهو الإحسان .

يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل : ٩٠] .

يقول ابن كثير – رحمه الله – « يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة ويندب إلى الإحسان كقوله : ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ** ﴾ [النحل : ١٢٦] .

وقوله : ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾

[الشورى : ٤٠]

وقوله : ﴿ ... **وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ** ﴾

[المائدة : ٤٥]

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شريعة العدل والندب إلى الفضل » [١] .

ويقول صاحب الظلال – رحمه – « وإلى جوار العدل .. الإحسان .. يلطف من حدة العدل الصارم الجازم، ويدع الباب مفتوحًا لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثاراً لود القلوب، وشفاء لغل الصدور، ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوي جرحًا أو يكسب فضلاً . والإحسان أوسع مدلولاً، فكل عمل طيب إحسان، والأمر بالإحسان يمثل كل عمل وكل تعامل،

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٨٢ .

فيشمل محيط الحياة كلها فى علاقات العبد بربه، وعلاقاته بأسرته، وعلاقاته بالجماعة، وعلاقاته بالبشرية جميعًا » انتهى.

٢ – وفى باب الأموال: يكون الإحسان بُحسن التصرف فى المال؛ وذلك بإخراج حق الله فيه ثم تعدى ذلك إلى الإنفاق فى سبيل الله، فى الجهاد وغيره، ثم إحسان الظن بالله أنه سيخلف عليه خيرًا مما أنفقه، فيكون ذلك قد أحسن إلى نفسه فلم يعرضها للتهلكة الناتجة عن ترك الإنفاق والجهاد فى سبيل الله.

يقول الله تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [البقرة: ١٩٥].

والإنفاق فى السراء والضراء – مع كظم الغيظ والعفو عن الناس – من الإحسان الذى يحبه الله.

يقول تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وفى باب العمل: يكون الإحسان بإتقانه فى أحسن صورة، بأن يعمل الإنسان العمل لغيره كما يحب أن يعمله غيره له، فإعطاء العمل حقه، بلا غش ولا تدليس، وأداء العمل بلا خمول ولا استهتار، لهو الإحسان الذى يحبه الله.

يقول رسول الله – ﷺ – «إن الله كتب الإحسان على كل شئ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» [١].

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال «مر رسول الله – ﷺ – على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته، وهى تلحظ إليه ببصرها، قال: «أفلا قبل هذا؟ أو: تريد أن تميتها موتات؟!» [٢].

---

(١) رواه مسلم من حديث شداد بن أوس، ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجة.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب.

وفى رواية الحاكم: «هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها» (وقال صحيح على شرط البخارى).

فإذا كان هذا التعامل مع الحيوانات!! فكيف يكون التعامل مع بنى البشر؟!

ويقول الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - «إن الدين إذا لم يكن ارتفاعا بمستوى الإنسان فما يكون؟ وفى هذه الأيام العجاف أرى جماهير من المسلمين، أبعد أهل الأرض عن حقيقة الإحسان! بيوتهم رديئة، وطرقهم رديئة، وسيرهم ردئ وإذا صنعوا سلعة خرجت من بين أيديهم دون غيرها مما يصنع الناس، وإذا أرادوا عملا استغرق الكثير من الأوقات والجهود، ولم يبلغوا به درجة الاكتمال التى يحققها من بذل جهدا أضعف ووقتا أقل!! كأنهم من طينة غير طينة البشر خلقوا! هؤلاء الناس فى انتمائهم الدينى ريب كبير، ولكى يعود إلى الإسلام يجب أن يعاد تشكيلهم العقلى والخلقى حتى إذا باشروا عملا ما أقبلوا عليه بقواهم المادية والأدبية كلها، فخرج سليما كريما .. لا سيما ونحن فى حضارة صناعية تقاس فيها الأبعاد «بالمليمتر» أو بما دونه، ولا تقبل فيها المجازفات والمساهلات والمصادفات العمياء» (١).

٣ - والإحسان فى تمثيل الإسلام يكون بتجسيد الإسلام تجسيداً عمليا فى صورة المعاملات والأخلاقيات، بأن يكون الذين يمثلون الإسلام فى صورة المعاملات والأخلاقيات، بأن يكون الذين يمثلون الإسلام هم أسوة لغيرهم من الناس فى جميع المجالات.

يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى - رحمه الله - «لو أن التمثيل السياسى للأمم الإسلامية فى البلاد غير الإسلامية المتحضرة قد أخذ بمبادئ الإسلام لكان أسوة حسنة. وانظر إلى عاصمة واحدة من عواصم الدول الغربية

---

(١) من كتاب المحاور الخمسة للقرآن الكريم.

تجد فيها أكثر من ثلاث وستين سفارة إسلامية، وكل سفارة يعمل فيها جهاز يزيد على العشرين هب أن هؤلاء كانوا أسوة إسلامية فى السلوك والمعاملات فى عاصمة غير إسلامية، حينئذ يجد أهل ذلك البلد جالية إسلامية ملتزمة ولم تفتنها زخارف المدنية: لا يشربون الخمر، ولا يراقصون، ولا يترددون على الأماكن السيئة السمعة، ولا تتبرج نساؤهم، بالله ألا يلفت النظر سلوك هؤلاء؟!

ثم يقول «إذن الإحسان من المسلمين أكبر دعاية ودعوة إلى دين الإسلام» [1].

* * *

جـزاء الإحسـان

١ – يقول تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

فمن أسلم وجهه لله وأخلص ذاته بكلياته وجزئياته لله – عز وجل – فاستسلم استسلامًا مطلقًا، ثم اتبع ذلك بالإحسان فى العمل، فيكون قد جمع بين العقيدة والعمل بمقتضاها، فهؤلاء لهم أجرهم عند ربهم كامل غير منقوص، سواء كان ذلك فى الدنيا أو فى الآخرة.

٢ – يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

فهؤلاء الذين آمنوا وعملوا فأحسنوا العمل لا يضيع الله عملهم بل: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١].

---

(١) تفسير الشعراوى المجلد الثانى.

٣ - يقول الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

فهل يجازى الذين أحسنوا العمل إلا أن نحسن لهم الجزاء؟!

قال القرطبى - رحمه الله - «قال عكرمة: أى هل جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة؟!

وقال ابن عباس: ما جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة.

وقال ابن زيد: هل جزاء من أحسن فى الدنيا إلا أن يحسن إليه فى الآخرة (١).

٤ - ويقول تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

يقول ابن كثير - رحمه الله - «يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل فى الدنيا بالإيمان والعمل الصالح: الحسنى فى الدار الآخرة كقوله تعالى ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ وقوله ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هى تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضا ويشمل ما يعطيهم الله فى الجنان من القصور والحور والرضا عنهم وما أخفاه لهم من قرة أعين وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يستحقونها بعملهم بل بفضله ورحمته، وقد روى تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبى بكر الصديق وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس وسعيد ابن المسبب ومجاهد وعكرمة والضحاك والحسن والسدى وغيرهم» (٢).

ويقول ابن رجب الحنبلى رحمه الله: وقد ثبت فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى فى الجنة، وهذا مناسب لجعله جزاء

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٧.
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢.

لأهل الإحسان، لإن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه فى الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه فى حال عبادته فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عياناً فى الآخرة (١).

* * *

إحسان الدعاة إلى الله - عز وجل -

إذا كان الإحسان مندوباً فى حق عامة المسلمين فإن ندبه يزداد أهمية فى حق الدعاة إلى الله عز وجل، إذ أنهم لا يليق بهم أن يرغبوا الناس فى الفضل ويكتفوا هم بالعدل! وأعنى بذلك أن يجعل الداعية نفسه مجالاً للتجربة قبل أن يطلب من الناس فعل الفضل والإحسان، إذ أن حديثه حينئذ يكون حديث الذى ذاق حلاوة الفضل والإحسان، لا حديث الذى يعيش فى الخيال بعيداً عن الواقع، ولا تؤتى الدعوة إلى الإحسان والفضل ثمرتها إلا إذا كان الداعية نفسه من أهل الفضل والإحسان، فلا يصح أن يطلب الداعية من الناس معالى الأمور، ولا يتعالى عن سفاسفها!! وقد تجد بعض الدعاة يطلب الكمال وينشده فى المجالات التى لا تكلفه جهداً ولا مالاً!! فإذا ما كان تاجراً مثلاً، تراه يغالى فى أسعاره، شأنه فى ذلك شأن باقى الناس إن لم يكن أكثر منهم مغالاة!! وتراه كثيراً ما تشغله تجارته عن أعماله الدعوية، بل والتعبدية المحضة!! وفى هذا المجال الذى ينبغى عليه أن يتعامل بالفضل تراه يذهب يلتمس الرخص والمعاذير!

فإذا ما كان الأمر بعيداً عنه نراه يطالب الناس بالفضل والإحسان!

وبعض الدعاة إذ ما وقع فى محك عملى يتطلب منه العفو والصفح تراه يُعرض عن الفضل والإحسان، شأنه فى ذلك شأن عامة الناس! وعموماً فإن المطلوب من الداعية أن يمارس الإحسان والفضل فى مجال عمله بالدرجة الأولى، فالداعية الحق من كان فى مجال عمله مثالاً يحتذى، فى انضباطه وفى إتقانه؟

---

(١) من كتاب (جامع العلوم والحكم).

وفى إخلاصه، أما أن يكون الداعية نموذجًا سيئًا فى عمله، فنراه فوضويًا، غير متقن لعمله، غير متورع عن الشبهات!!! فهذا يكون قد فشل فى أول اختبار تطبيقى عملى فيحتاج إلى مراجعة دقيقة ومحاسبة شديدة لنفسه وليجعل مجال تحديه لنفسه مجال عمله. وعلى الدعوة أن تربى أفرادها على أن يكون الإحسان متأصلاً فيهم فالتسامح والتسامى وترك بعض الحقوق عن طواعية واختيار، ومما هو جدير بالذكر أن هناك بعض المواقف تتطلب من الداعية الشدة ولا يُجدى معها التسامح، فهذه تقدر بقدرها.

* * *

الفصل الرابع

(١) حفظ القلب
(٢) حفظ الفرج
(٣) حفظ اللسان
(٤) حفظ السمع والبصر
(٥) حفظ البطن واليد
(٦) الصدق
(٧) الأمانة
(٨) التواضع
(٩) الوفاء
(١٠) الشجاعة
(١١) العدل
(١٢) الشكر
(١٣) الصبر
(١٤) العزة
(١٥) القناعة
(١٦) الحياء
(١٧) الإنفاق والسخاء
(١٨) الرحمة
(١٩) الحلم

(١) حفظ القلب

منزلة القلب فى الجسد :

القلب فى الجسد كالملك فى جنوده، تعليماته منفذة، وأوامره مطاعة، وطلباته مجابة . يقول رسول الله ﷺ : « ألا إنَّ فى الجسد مُضغة إذا صلحتْ صلح الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فسدتْ فَسَدَ الجَسدُ كلُّهُ ألا وهى القلبُ » (١) .

يقول ابن رجب الحنبلى – رحمه الله –: « فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتقائه للشبهات بحسب صلاح قلبه فإن كان قلبه سليما ليس فيه إلا محبة الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقى الشبهات حذرا من الوقوع فى المحرمات، وإن كان القلب فاسدا قد استولى عليه اتباع الهوى وطلب ما يحبه ولو كرهه الله فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعث إلى كل المعاصى والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب » (٢) .

ويقول رسول الله ﷺ : « إنَّ الله لا ينظرُ إلى أجسامِكم ولا إلى صورِكم ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم » (٣) .

ولما علم إبليس أن القلب ملك الجوارح أجلب عليه بالشهوات والشبهات .

● **أقسام القلوب :**

أولا : القلب السليم :

جعل الله عز وجل أساس النجاة فى الآخرة هو سلامة القلب، فقال تعالى

---

(١) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه،
(٢) من كتاب جامع العلوم والحكم .
(٣) رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه

على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٧ – ٨٩].

وسلامة القلب تعنى سلامته من العلل التى محلها القلب، كالشرك والنفاق والكبر والحسد والحقد، والعجب، والغرور، والرياء، والشح، وحب الدنيا، وحب المال والجاه، والبغضاء، والغضب وغيرها.

يقول صاحب الظلال – رحمه الله –: «فليست هناك من قيمة فى يوم الحساب إلا قيمة الإخلاص. إخلاص القلب كله لله وتجرده من كل شائبة، ومن كل مرض، ومن كل غرض، وصفائه من الشهوات والانحرافات. وخلوه من التعلق بغير الله فهذه سلامته التى تجعل له قيمة ووزنا ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾، ولا ينفع شئ من هذه القيم الزائلة، التى يتكالب عليها المتكالبون فى الأرض؛ وهى لا تزن شيئا فى الميزان الأخير!

ويقول الإمام ابن القيم – رحمه الله –: «سلامته من خمسة أشياء: من الشرك الذى يناقض التوحيد ومن البدعة التى تناقض السنة، ومن الشهوة التى تخالف الأمر، ومن الغفلة التى تناقض الذكر، ومن الهوى الذى يناقض التجريد والإخلاص» انتهى.

إذا فالقلب السليم هو الذى سلم من الشبهات والشهوات التى ألقى بها الشيطان إليه، فعبوديته لله خالصة، خوفا ورجاء، ومحبة، وإنابة وتوكلا، وإخباتا وخشية، فهو إن أحب فلله، وإن أبغض فلله، وإن أعطى فلله، وإن منع فلله.

علامة سلامة القلب:

هناك علامات يستدل بها على صحة القلب وسلامته منها:

١ – كثرة ذكر الله والطمأنينة بذلك: فاللسان دائما يعبر عما فى القلب، فالقلب الممتلئ بحب الله عز وجل لا يجد الحلاوة إلا فى ذكر محبوبه.

يقول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨].

يقول صاحب الظلال : « تطمئن بإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره، والأمن في جانبه وفي حماه، تطمئن من قلق الوحدة أو حيرة الطريق، بإدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير. تطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضرر ومن كل شر إلا بما شاء، مع الرضى بالابتلاء والصبر على البلاء وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة. ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله يعرفونها، ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها، لأنها لا تنقل بالكلمات، إنما تسرى في القلب فيستروحها ويهش لها ويندى بها ويستريح إليها ويستشعر الطمأنينة والسلام، ويحس أنه في هذا الوجود ليس مفردا بلا أنيس فكل ما حوله صديق، إذ كل ما حوله من صنع الله الذى هو في حماه. وليس أشقى على وجه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس بالله وليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتوت الصلة بما حوله في الكون، لأنه انفصم من العروة الوثقى التي تربطه بما حوله في الله خالق الكون. ليس أشقى ممن يعيش لا يدرى لم جاء؟ ولم يذهب؟ ولم يعانى ما يعانى في الحياة؟ ليس أشقى ممن يسير في الأرض يوجس من كل شئ خيفة لأنه لا يستشعر الصلة الخفية بينه وبين كل شئ في هذا الوجود ليس أشقى في الحياة ممن يشق طريقه فريدا وحيدا شاردا في فلاة، عليه أن يكافح وحده بلا ناصر ولا هاد ولا معين وإن هناك للحظات في الحياة لا يصمد لها بشر إلا أن يكون مرتكنا إلى الله، مطمئنا إلى حماه، مهما أوتى من القوة والثبات والصلابة والاعتداد .. ففي الحياة لحظات تعصف بهذا كله، فلا يصمد لها إلا المطمئنون بالله : ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ هؤلاء المنيبون إلى الله، المطمئنون بذكر الله، يحسن الله مآبهم عنده، كما أحسنوا الإنابة إليه، وكما أحسنوا العمل في الحياة » انتهى.

٢ – لا يمل من الطاعة: لأنه يجد في الطاعة حلاوة اتصاله بالله عز وجل.

يقول الإمام ابن تيمية – رحمه الله –: «إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة» وقد كان رسول الله ﷺ يصلى حتى تتورم قدماه فيقال له فى ذلك فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً» (١).

٣ – أن يشتاق إلى الطاعة: فالقلب الذى خالط الإيمان بشاشته يتوق إلى الطاعة، لأنه يجد فيها حياته وصحته، فتراه يحض صاحبه عليها حضاً.

٤ – إذا دخل فى الطاعة ذهب عنه همه وغمه: يقول ﷺ: «وجُعلت قُرةُ عينى فى الصلاة»(٢).

٥ – أن يكون شحيحاً بوقته أن يذهب فى غير طاعة: وذلك لأنه يعلم أن وقته هو رأس ماله، وأن كل لحظة مضت عليه دون ذكر لله تحسر عليها يوم القيامة، فهو يريد أن يغتنم كل لحظة فى عمل يقربه إلى ربه، يقربه إلى الجنة، يباعده عن الشيطان، يباعده عن النار، يقول رسول الله ﷺ: «مَنْ قال سبحانَ الله العظيم وبحمده غُرست له نخلةٌ فى الجنة» (٣).

٦ – أن يتحسر على الطاعة إذا فاتته.

٧ – أن يأنس بالله ويستوحش من غيره.

٨ – أن يكون كلام الله عز وجل أحب شئ إلى قلبه.

يقول ابن مسعود – رضى الله عنه –: «من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله فيعرض نفسه على القرآن، فإن أحب القرآن فهو يحب الله فإنما القرآن كلام الله».

---

(١) رواه البخارى والترمذى والنسائى.
(٢) رواه النسائى وأحمد وحسنه الألبانى.
(٣) رواه ابن حبان والترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى الصحيحة.

ثانيًا: القلب المريض:

وهو القلب الذى استطاع الشيطان أن يصل إليه ببعض الشبهات والشهوات إلا أنه لا يزال به بعض الحياة.

ففيه من محبة الله ومن محبة الشهوات، وفيه من الحسد والعجب والكبر.

علامات مرض القلب:

١ - أن يقدم العبد حظه وشهوته على طاعة الله ومحبته، وذلك أنه اتخذ إلهه هواه، يقول تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً**﴾ [الفرقان: ٤٣]

٢ - لا يتألم من ارتكاب المعاصى: فتراه يتبع السيئةَ بالسيئة، حتى يألفها ويحبها ولا يجد غضاضة فى ارتكابها، وذلك أنه بالمواظبة عليها وعدم الاستغفار والتوبة اسودَّ القلب وأظلم، يقول تعالى: ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [المطففين: ١٤].

وفى الحديث: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتَتْ فى قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر اللهَ وتاب، صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الران الذى ذكر اللهُ فى كتابه ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [(١)].

٣ - يترك صاحبه الدواءَ ويُقبلُ على الداء: وذلك أنه مُلئ بحب الشهوات فهو يقبل عليها وإن علم أن فيها هلاكه، إلا أنه تعلق بها، فإذا كان الله عز وجل حبب الإيمان وزينه فى القلوب السليمة، فإن أصحاب القلوب المريضة حبِّب إليهم الفسوق والعصيان.

---

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة وقال: حديث حسن صحيح.

يقول تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات: ٧].

ويقول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين» (١).

٤ - أن يرغب فى الدنيا ويرغب عن الآخرة: وذلك لأنه لم يتذوق حلاوة الطاعة فهو راغب عنها، وزُينتْ له المعصية فاغنته عن الطاعة.

* * *

دواء القلب المريض

دواء القلب المريض يكون بإقباله على الله عز وجل بالتوبة النصوح، ولكن ليعالج الإنسان قلبه لا بد أن يعرف أولاً أنه مريض؛ بأن يشعر بحرارة المعصية تحرقة فتفيقه وتوقظ ضميره.

يقول ابن عطاء الله فى حكَمه: «ربما فتح الله لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وربما قَدَّرَ عليك المعصية فكانت سببًا في الوصول، معصية أورثت ذلاً لله وانكسارًا، خيرٌ من طاعة أورثت عجبًا واستكبارًا».

فإذا ما أقبل العبد على الله عز وجل وطلب منه العون على الشفاء، أعانه الله عز وجل.

يقول إبراهيم الخواص رحمه الله: «دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين» وكلها لا يقبل عليها إلا شخص جاد فى معالجة قلبه قبل موته.

* * *

---

(٢) متفق عليه.

ثالثا : القلب الميت

وهو القلب الذى لم يعالجه صاحبه إذا ظهرت عليه علامات المرض، حتى استفحل الداء، واستطاع الشيطان أن يسيطر عليه بالكلية، فَمُلىء بحب الشهوات، فصار لا يهوى إلا الشهوات، فإن أحب فللشهوات وإن أبغض فللشهوات، وإن أعطى فللشهوات وإن منع فللشهوات وإنما يصل القلب إلى هذه الحالة بتناوله سموم القلوب وهى المعاصى.

يقول عبد الله بن المبارك :

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوبَ　　وقد يورثُ الذلَ إدمانُها
وتَركُ الذنوب حياةُ القلوب　　وخيرٌ لنفسك عصيانُها

وحُكى عن شقيق البلخى أنه قال : كان إبراهيم بن أدهم يمشى فى البصرة فاجتمع إليه الناس فقالوا : ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا؟ وإن الله تعالى يقول : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر : ٦٠].

فقال : يا أهل البصرة قد ماتت قلوبكم بعشرة أشياء، فكيف يستجاب لكم؟

١ - عرفتُم اللهَ ولم تؤدوا حقَه.　　٢ - قرأتم القرآنَ ولم تعملوا به.

٣ - ادعيتم حُبَ الرسولِ وتركتم سنته.

٤ - ادعيتم عداوةَ الشيطانِ وأطعتموه.

٥ - ادعيتم دخولَ الجنةِ ولم تعملوا لها.

٦ - ادعيتم النجاة من النارِ ورميتم فيها أنفسكم.

٧ - قلتم الموت حق ولم تستعدوا له.

٨ - اشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم.

٩ - دفنتم الأموات ولم تعتبروا.

١٠ - أكلتم نعمة الله ولم تشكروه عليها.

الدعاة وحفظ القلوب

الدعاة إلى الله عز وجل هم أطباء القلوب، الذين يصفون لها الدواء، ويشرفون بأنفسهم على تعاطيه، إلا أن هناك بعض الأمراض التى تتعرض لها قلوب الدعاة منها:

١ – تحول القلوب على المدعوين: فقد يتعرض الداعية لإيذاء من آحاد الناس – أو حتى من كل الناس – مما يدفعه إلى حب الانتقام والثأر!!

ولكن هناك أمر يجب على الداعية أن يُدَرِكَهُ تمامًا، وهو أنه إنما ضحى بوقته وبماله، وبنفسه، انطلاقًا من حبه لهؤلاء الناس، ومن خَوفه عليهم من عذاب الله تعالى، فَهَبَّ لينقذهم وليأخذ بأيديهم من الظلمات إلى النور، فهل يُضحى الداعية بكل ذلك لإنقاذهم ثم بعد ذلك يتمنى لهم الهلاك والانتقام؟!

وها هو سيد الدعاة – محمد ﷺ – يرجع من الطائف بعد أن أغروا به سفاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أن رِجْلَيَ رسول الله ﷺ لتدميان، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج فى رأسه عدة شجاج.

ولكن رغم ذلك فهو لا يتمنى لهم الهلاك، ولا يرضى أن ينتقم الله منهم.

فقد روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها: أنها قالت لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَ من يوم أُحد؟

فقال: لقد لقيتُ من قومك، وكان أشد ما لقيتُ منهم يومَ العقبة إذ عرضتُ نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يُجبنى إلى ما أردتَ، فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهى، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعتُ رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرتُ فإذا فيها جبريل فنادانى فقال: إنَّ الله عز وجل قد سَمِعَ قولَ قومك لك وما ردوا عليك وقد بَعَثَ إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئتَ. قال: فنادانى مَلَكُ الجبال وسَلَّمَ عليَّ ثم قال: يا محمد إنَّ الله قد سمع قول قومك

لك، وأنا مَلَكُ الجبال، وقد بعثنى ربُك إليك لتأمرنى بأمرك فما شئتَ؟ إن شئتَ أن أطبقَ عليهم الأخشبين. فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يُخرِجَ اللهُ منْ أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا».

فالداعية لا يتمنى هلاك قومه لأنهم ميدانه الذى يجاهد فيه؟

وربما إذا صدوا الآن عن الدعوة، ربما غداً يكون من ذريتهم من يحمل مشاعل الدعوة!.

ترى لو أهلك الله عز وجل أهل مكة بأن أطبق عليهم الأخشبين بناءً على طلب محمد ﷺ فكيف كان الإسلام يَعزُ بخالد بن الوليد! وعكرمة بن أبى جهل! وعمرو بن العاص! وسُهيل بن عمرو! وغيرهم كثير من الذين حملوا رسالة الإسلام وأوصلوها إلى ربوع الأرض. وهكذا فالداعية إذا خسر جولة، يستعد لأن يكسب جولة أخرى.

٢ - اختلاف القلوب بسبب اختلاف المدارس الفكرية:

فد تجد بعض المتصدرين للدعوة يتورع الواحد منهم عن أكل لقمة فيها أدنى احتمال للشبهة فى الحرمة، لكن لا يتورع أن يأكل لحم أخيه الذى يعمل معه فى نفس ميدان الدعوة، وقد يحمل نفس هَمِّ الدعوة مثله أو أكثرَ وقد يكون له يد بيضاء على الدعوة، وقد يكون يسعى لنفسْ هدفه، إلا أنه لا ينتمى إلى مدرسته الفكرية! فهل كونه لا ينتمى لمدرسته الفكرية يكون هذا مبرراً لأنْ يُجرحَه ويُحقِّرَ من شأنه! وقد يكون ذلك بحجة أنه يقول كلمة الحق!!

ألا فلنتق الله فى إخواننا الذين يحملون معنا همَّ الدعوة ويسعون لنشرها ويضحون فى سبيلها، وإن اختلفوا معنا فى بعض المسائل الفرعية.

أقول: الذين يقومون بأعمالهم الدعوية ليس عندهم من الوقت ما يجعلهم يُجَرِّحون غيرهم، وهل فرغوا من الحديث عن كل المسائل الشرعية، فلم يبق إلا الحديث عن نقاط الخلاف بين الدعاة؟!

ولكن الذين أُصيبوا بهذا الداء، حتى ولو وجدوا غيرهم مثلهم فى كل شئ إلا أنه لا ينتمى لمدرستهم الفكرية فسيجَرّحونَه أيضا!!

والدعاة الصادقون هم الذين يُصححون أخطاءَ غَيرِهم بدلاً من أنْ يهدموا ما بناهُ غيرهم!!

٣ - إعجاب الداعية بنفسه: بسبب التفاف الناس حوله أو قبوله لدى الناس وهذا داء عضال يجب أن يحذره الدعاة إلى الله.

٤ - الإفلاس الروحى للدعاة: ويصاب به بعض الدعاة نتيجة إهماله لأعمال اليوم والليلة، وتقصيره فى مصادر التزود الروحى فيؤثر ذلك على القلب فيجعله قاسيًا مما يكون مؤشر خطرٍ على الداعية.

*　*　*

(٢) حفظ الفــــرج

يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾

[المؤمنون: ٥ – ٧]

تبين هذه الآيات صفة عظيمة من صفات المؤمنين، وهى صفة طهارة الفرج وحفظه عن الدنس والخبث، ذلك أن الله – عز وجل – إنما خلق الإنسان، وغرس فيه نزوات وشهوات، وشرع له طرقًا نظيفة راقية لإشباع هذه الشهوات، ذلك أن تكريم الله للإنسان يستدعى أن يشبع هذه الرغبات بطريقة تليق بتكريم الله له.

يقول صاحب الظلال. (رحمه الله):

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ وهذه طهارة الروح والبيت والجماعة. ووقايه النفس والأسرة والمجتمع. بحفظ الفروج من دنس المباشرة فى غير حلال، وحفظ القلوب من التطلع إلى غير حلال، وحفظ الجماعة من انطلاق الشهوات فيها بغير حساب، ومن فساد البيوت فيها والأنساب. والجماعة التى تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة معرضة للخلل والفساد. لأنه لا أمن فيها للبيت ولا حرمة بها للأسرة. والبيت هو الوحدة الأولى فى بناء الجماعة، إذ هو المحضن الذى تنشأ فيه الطفولة وتتدرج، ولا بد له من الأمن والاستقرار والطهارة، ليصبح محضنًا ومدرجًا، وليعيش فيه الوالدان مطمئنًا كلاهما للآخر، وهما يرعيان ذلك المحضن ومن فيه من فراخ! والجماعة التى تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة قذرة هابطة فى سلم البشرية، فالمقياس الذى لا يخطئ للارتقاء البشرى هو تحكم الإرادة الإنسانية وغلبتها. وتنظيم الدوافع الفطرية فى صورة مثمرة نظيفة لا يخجل الأطفال معها من الطريقة التى جاءوا بها إلى هذا العالم، لأنها طريقة نظيفة معروفة، يعرف فيها كل طفل أباه. لا كالحيوان الهابط الذى تلقى

الأنثى فيه الذكر للقاح، وبدافع اللقاح، ثم لا يعرف الفصيل كيف جاء ولا من أين جاء! والقرآن هنا يحدد المواضع النظيفة التى يحل للرجل أن يودعها بذور الحياة) انتهى.

* * *

آفات الفــرج

فإذا انحرف الإنسان عن الطريق الذى رسمه له الله - عز وجل - لإشباع شهواته فإنه قد يقع فى واحدة من هذه الآفات.

(أولا) الزنا **(ثانيا) اللواط** **(ثالثا) الاستمناء**

(رابعا) السحاق **(خامسا) إتيان المرأة فى دبرها**

* * *

أولاً: الزنـــــا

أسبابــه:

١ - ضعف الإيمان فى القلب وعدم الخوف من الله عز وجل:

ذلك أن القلب إذا كان عامرًا بالإيمان والمراقبة والخوف من الله عز وجل، كَفَّ الجوارح عن المعاصى وخصوصًا الكبائر، فضلاً عن إيمان العبد وخوفه من الله يبعده عن أن يسير فى خطوات الشيطان التى توصله إلى الفاحشة. وفى الحديث (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) [١] وزاد النسائى (فإذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، فإن تاب تاب الله عليه).

٢ - عدم القدرة على الزواج: وذلك أن المغالاة فى المهور، والمبالغة فى الأثاث، والشروط التى يشترطها ولى الأمر، كل هذا جعل الشباب ينصرفون عن

---

(١) رواه الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى.

الزواج باحثين عن الطريق الأخرى لإشباع هذه الشهوات! ومن جانب آخر فإن هذه التعقيدات أدت إلى ظهور مشكلة أخرى وهى مشكلة العنوسة (العزوبة) وعدم الزواج.

٣ - سهولة الوصول إليه: ذلك أن سهولة الوصول للفاحشة، وعدم وجود عقبات فى طريق الوصول إليها مع عدم تجريم القانون لهذه الفاحشة، كل هذه االعوامل أغرت الشباب وأوقعتهم فى الفاحشة.

٤ - كثرة دواعيه من الاختلاط والتبرج: وذلك أن القلب المريض يطمع فى المرأة إذا ما رأى فيها ما يفتنه، فالاختلاط المذموم بين الجنسين أزال الحواجز بينهما وأمات الحياء فيهما، ورفع التكليف بينهما، فصارا يتعاملان معا وكأنهما بنو جنس واحد، لذا فإن الله - عز وجل - حرم التبرج والاختلاط.

فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾

[الأحزاب: ٥٣]

يقول ابن كثير - رحمه الله - (أى وكما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب) [١].

وفى الحديث أن رسول الله - ﷺ - قال «إياكم والدخولَ على النساء، فقال رجل من الأنصار: افرأيتَ الحمو؟ قال: الحمو الموت» [٢].

والحمو هو قريب الزوج، وذلك لأن دخوله البيت فى غياب الزوج يكون أمرًا عاديًا لذا فإن خطورته أعظم. وقال - ﷺ - «لا يخلوَنَّ أحدكم بامرأة إلا مع ذى مِحْرِمَ» [٣].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٥٠٥.
(٢) رواه البخارى ومسلم عن عقبة بن عامر.
(٣) متفق عليه من حديث ابن عباس.

وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلُوَنَّ بامرأة ليس معها ذو محرم منها فإن ثالثهما الشيطان» [1].

ودخلت نسوة من بنى تميم على عائشة – رضي الله عنها – وعليهن ثياب رقاق، فقالت عائشة «إن كنتن مؤمنات فليس هذا بثياب المؤمنات».

وأُدخلت عليها امرأة عروس عليها خمار رقيق شفاف فقالت «لم تؤمن بسورة النور امرأة تلبس هذا» ويقول – ﷺ –: «أيما امرأة أستعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية» [2].

٥ – **استساغة المجتمع للمنكر وعدم محاربته**: وذلك أن الاختلاط بين الجنسين فى المدارس والجامعات، والشوارع، والبيوت، أصبح أمرًا عاديًا فى المجتمع، ولا يجد المجتمع غضاضة فى أن يجلس الشاب بجوار الفتاة ويتجاذبان الحديث!!

بل أصبح ذلك من علامات المدنية والتقدم والرقى!!!

والمنادون بفصل الجنسين هم الرجعيون! المتخلفون! المتعصبون! المتزومتون!

ونفس الأمر فى التبرج فقد ألِفَ المجتمع العُرى والسفور، وجعلهما من علامات الرقى والثقافة! والعجيب أن تجد الرجل مصليًا، صوامًا، قوامًا، حاجًا، معتمرًا، ثم تجد ابنته متبرجة! وزوجته متبرجة، وعلى هذا فالمجتمع لا ينكر هذه المظاهر، والتى تعتبر المقدمات الأساسية للزنا، إذ أن الزنا بين الرجل والمرأة لا يتم إلا بعد تعارف وتآلف بينهما وإعجاب، بالمظهر والجمال!

لذا فإن استساغة المجتمع للمعصية يجعله شريكًا لأصحابها فى الذنب والمسئولية.

---

(١) رواه أحمد عن عامر بن ربيعة.

(٢) رواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم.

يقـول – ﷺ – « لا تزال أمتى بخير ما لم يَفشُ فيهم ولدُ الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذاب » [(١)].

وذكر ابن أبى الدنيا عن إبراهيم عن عمرو الصنعانى قال « أوحى الله إلى يوشع بن نون : إنى مهلك من قومك أربعين ألفًا من خيارهم وستين ألفًا من شرارهم، قال يا رب : هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال : إنهم لم يغضبوا لغضبى، وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم ».

٦ – السفر الطويل دون الزوجة : فقد يترك الرجل زوجته ويسافر ويغيب عنها مدة طويلة، يتلاعب به الشيطان فى سفره فيوقعه فى الفاحشة – إن لم يعصمه الله – ويتلاعب بها الشيطان فيوقعها فى الفاحشة – إن لم يعصمها الله .

وبينما عمر بن الخطاب يحرس المدينة، فمر بامرأة فى بيتها وهى تقول :

تطاولَ هذا الليل وأسوَّدَ جانبه — وطالَ علىَّ أن لا خليلَ الاعبه
والله لولا خشية الله وحده — لحُرِّك من هذا السرير جوانبه
ولكن ربى والحياء يكفنى — وأكرم بَعلى أن تُوطأ مراكبه

فسأل عنها عمر، فقيل له : هذه فلانة، زوجها غائب فى سبيل الله . فأرسل إليها تكون معه، وبعث إلى زوجها فاقفله (أرجعه) ثم دخل على حفصة، فقال : يا بنية : كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت : سبحان الله! مثلك يسأل مثلى؟ فقال لولا أنى أريد النظر للمسلمين ما سألتك . قالت : خمسة أشهر .. ستة أشهر . فوقَّت للناس فى مغازيهم ستة أشهر .. يسيرون شهراً، ويقيمون أربعة أشهر ويسيرون راجعين شهراً » [(١)].

قلت : إذا كان ذلك فى عهد عمر، والمجتمع يلفظ المنكر، ويحاربه، وتقام

---

(١) رواه الإمام أحمد بإسناد حسن عن ميمونة رضى الله عنها .

الحدود، ولا تبرج، ولا اختلاط، ولا مغريات، ورغم ذلك يحدد عمر أكبر مدة يغيبها الزوج عن زوجته ستة أشهر!! فكيف بالذين يسافرون ويتركون زوجاتهم سنة وسنتين وثلاثة؟! وفى مجتمع لا يحارب الرذيلة! ودواعى الفاحشة تحيط بالمرأة من كل جانب!.

٧ - **عدم تطبيق حد الزنا**: إذ أن القانون لا يعتبر الزنا فى حد ذاته جريمة، ما دام قد تم بموافقة الطرفين!! وليس من حق أحد أن يرفع دعوى الزنا إلا الزوج! فإن رضى الزوج بالزنا فلا شئ!! وعلى هذا فإذا زنا الشاب والفتاة الغير متزوجين فلا جريمة ولا عقوبة! والعقوبة فقط إذا تم الزنا غصبًا!! ولو طُبق حد الزنا لقلل من وقوع الفاحشة، إذ أن من الناس من لا يردعه إلا العقاب البدنى.

* * *

أثر الزنا على المجتمع

١ - **الزنا يسبب هلاك المجتمع وجلب الكوارث على الأمة**: قالت السيدة عائشة رضى الله عنها: يا رسول الله «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثُر الخبث».

والهلاك هنا قد يكون بسبب الأمراض التى يسلطها الله عز وجل على الزناة كالإيدز، والزهرى، والسيلان، وغيرها من الأمراض التى تتعدى الزناة إلى غيرهم بالعدوى.

وذكر ابن أبى الدنيا عن أنس بن مالك «أنه دخل على عائشة هو ورجل آخر فقال لها الرجل يا أم المؤمنين: حدثينا عن الزلزلة، فقالت: إذا استباحوا الزنا وشربوا الخمور، وضربوا بالمعازف، غار الله - عز وجل - فى سمائه فقال للأرض: تزلزلى بهم فإن تابوا ونزعوا وإلا أهدمها عليهم، قال يا أم المؤمنين أعذابًا لهم؟ قالت: بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالاً وعذابًا وسخطًا على الكافرين، قال أنس ما سمعت حديثًا بعد رسول الله - ﷺ - أنا أشد فرحًا منى بهذا الحديث».

وفي الحديث «ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله» (١).

وذلك أن الزنا يبدد الأموال، ويهتك الأعراض، ويقتل الذرية والأبناء، ويؤدى إلى اختلاط الأنساب، فيُفضى بذلك بالأمة إلى الهلاك والدمار.

ففى الحديث «ما ظهرت الفاحشة في قوم قط، يُعمل بها فيهم علانية، إلا ظهر فيهم الطاعون، والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم (٢).

٢ - الزنا يضر باقتصاد الأمة: إذ أن تبديد الأموال فى فعل هذه الفواحش، فضلاً عن الأموال الطائلة التى تنفقها الدولة فى معالجة الأمراض السرية، وضعف الزناة عن العمل والإنتاج، كل هذا يضرب اقتصاد الأمة فى مقتل. وفى الحديث: «الزنا يُورث الفقر» (٣).

٣ - الزنا يعمل على التفكك الأسرى: إذ أن الرجل الذى يترك زوجته، ويذهب ليزنى بامرأة أخرى لا شك أنه بذلك يكون قد دمَّرَ أسرتين، دمَّرَ أسرته ودمَّرَ أسرة المرأة التى زنا بها!! وإعراض الرجل عن زوجته إلى امرأة أخرى فى الحرام، يدفعها هى الأخرى إلى أن تبحث عن خليل يعوضها عن زوجها! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول الشافعى - رحمه الله -.

عفوا تعف نساؤكم فى المحرم	وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
إن الزنا دين إن أقرضته	كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
من يزن يزن به ولو بجداره	إن كنت يا هذا لبيبا فافهم
يا هاتكا حرم الرجال وقاطعا	سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حرا من سلالة طاهر	ما كنت هتاكا لحرمة مسلم

(١) رواه أبو يعلى بإسناد حسن.

(٢) من حديث رواه ابن ماجة والطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما.

(٣) رواه البيهقى.

٤ - الزنا قد يؤدى إلى جرائم القتل :

إذ قد يتصارع اثنان على الزنا بامرأة فيقتتلان فيقتل أحدهما الآخر، وقد يقتتل الزانى وزوج الزانية أو أبوها أو أخوها، بل قد يقتل أحد الزانيين الآخر إخفاء لأثر الجريمة حتى يموت بما يعرفه من أسرار!!.

٥ - الزنا يجلب غضب الله على الأمة :

إذ أن الأمة التى تبارز الله بالمعاصى، ولا تأمر بالمعروف، ولا تنهى عن المنكر، وصارت تألف الفاحشة، ولا تحاربها، ولا تضرب على أيدى المفسدين، ولا تقيم حدود الله، لا شك أنها تجلب غضب الله عز وجل عليها، وهو الأمر الذى لا تستطيع الأمة مواجهته.

* * *

منهج الإسلام لتطهير المجتمع من الزنا

لا شك أن الإسلام كمنهاج كامل شامل وضع منهجا لتطهير المجتمع من المستنقعات العفنة!! ومن وسائل الإسلام للتطهير:

١ - شرع الإسلام أساليب الوقاية ومنها :

(أ) الأمر بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة إلا للأزواج وللمحارم :

يقول الله تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ**

عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

ويقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٥٩]

(ب) اعتبر الإسلام السمع والبصر والقلب أمانات يجب على الإنسان أن يحفظها:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وفى الحديث: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة: العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه» [(١)].

(ج) أمر الإسلام المرأة بالاحتجاب عن الرجل:

فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾

[الأحزاب: ٥٣]

وتقول أم سلمى - رضى الله عنها - كنتُ عند رسول الله - ﷺ - وعنده ميمونة فاقبل ابنُ أم مكتوم وذلك بعد أن أُمرنا بالحجاب، فقال النبى ﷺ «احتجبا منه، فقلنا يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟! فقال النبى ﷺ: افعمياوان أنتما؟! ألستما تبصرانه؟! [(٢)].

---

(١) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة واللفظ لمسلم.

(٢) رواه الترمذى وأبو داود.

(د) حرم الله الخطوات إلى الزنا:

يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾

[الإسراء: ٣٢]

فلم يقل الله «ولا تزنوا»! ولكن قال «ولا تقربوا الزنا».

أى أن الله – عز وجل – قد نهانا عن مجرد الاقتراب من أى طريق، أو وسيلة توصلنا إلى الزنا، فحرم الخلوة بالأجنبية، والاختلاط معها، فقال ﷺ «لإن يُطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» (١).

(هـ) شرع الله عز وجل الزواج ورغب فيه: بل جعله الله عز وجل من آياته ونعمه فقال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الروم: ٢١].

وفى الحديث «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد فى سبيل الله، والمكاتب يريد الأداء، والناكح يريد العفاف» (٢).

ويقول – ﷺ –: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (٣).

ويقول عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه –: «لو لم يبقى من أجلى إلا عشرة أيام، وأعلم أنى أموت فى آخرها، ولى طَولُ النكاح فيهن، لتزوجت مخافة الفتنة»!!

بل ويسر الإسلام فى الزواج وأمر بالتيسير والبساطة. فعن عائشة – رضى

---

(١) رواه البيهقى والطبرانى عن معقل بن يسار.

(٢) رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٣) رواه الجماعة عن عبد الله بن مسعود.

الله عنهـا – أن النبى – ﷺ – قـال «إن أعظم النكـاح بركـة أيسـره مـؤنة» وقـال «يُمنُ المرأة خفة مهرها، ويسر نكاحها، وحسن خلقها. وشؤمها غلاء مهرها، وعسر نكاحها، وسوء خلقها».

(٢) شرع الله أساليب العلاج: ومنها:

(أ) شرع الإسلام التوبة من الزنا:

يقول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠]. ولا شك أن فتح باب التوبة أمام الزناة ليشجعهم على ترك الفاحشة والرجوع إلى الله عز وجل.

(ب) شرع الإسلام حد الزنا:

وقد شرع الله الجلد – مائة جلدة – للزاني الغير مُحصَن، فقال الله تعالى ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾

[النور: ٢]

وشرع الله – عز وجل – الرجم للزاني المحصن، وكان حكم الرجم قد ثبت بالقرآن تلاوة وحكمًا، ثم نُسِخَ تلاوة وبقى حكمًا، وجاءت السنة المشرفة مبينة حكم الزانى المُحصن كذلك، فكما ثبت فى الصحيح أن رسول الله – ﷺ – رجم ماعز بن مالك حتى الموت، لمّا أقرَّ على نفسه بالزنا، وكذلك رجم الغامدية لمّا أقرَّت على نفسها بالزنا وثبوت حد الرجم على الزانى المحصن (والزانية) محل اتفاق بين الفقهاء.

الزنا الموجب للحد: يتحقق الزنا الموجب للحد بتغييب الحَشَفَة أو قدرها من مقطوعها فى فرج مُحَرَّم مُشتهى بالطبع من غير شبهة نكاح، ولو بدون إنزال

أما الاستمتاع بالمرأة فيما دون الفرج، فلا يُوجِب الحد، ولكن فيه التعزير، وهو عقوبة غير مقدرة ولكن يحددها ويقدرها القاضى.

* * *

ثانيًا: اللــواط

المقصود باللواط: أن يُجامِعَ الرجلُ الرجلَ؛ بالإيلاج فى دبره.

وهذا الداء من أخطر مظاهر مرحلة المراهقة، وقد تتعدى هذه المرحلة لتكون سلوكًا دائمًا بعد ذلك. والعياذ بالله.

أسباب الوقوع فى هذه العادة السيئة:

١ – الميوعه والتخنث الذى أُبتلى به بعض الشباب والصبيان، مثل إطالة الولد لشعره متشبهًا بالنساء، ولبس البنطلون الضيق الواصف للبدن والخضوع فى الكلام.

٢ – الخلوة التى تكون بين الصبيان فى تلك المرحلة وخصوصًا عند النوم، إذ أن الشيطان للاثنين أقرب منه إلى الثلاثة.

٣ – اطلاع كلا الذكرين على عورة الآخر: وفى الحديث «لا ينظرُ الرجلَ إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجلُ إلى الرجل فى ثوب واحد، ولا تفضى المرأةُ إلى المرأة فى الثوب الواحد» (١).

٤ – حرمان الأولاد من بعض الحاجات: فقد يدفع حرمانُ الولد من حاجة معينة إلى فعل هذه الفاحشة فى مقابل حصوله على حاجته التى حُرِم منها.

٥ – جهل الأولاد بهذه الفاحشة وبحرمتها وأثرها: إذ أن كثيرا من الأولاد يجهلون تمامًا حرمةً هذا الفعل، فهم يظنونه من باب الأشياء العادية (العيب فقط) وليست حرامًا!!.

---

(١) رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

٦ – ضعف الوازع الدينى عند الأولاد: إن أن الخواء الروحى عند الأولاد، وعدم تربيتهم على مراقبة الله – عز وجل – وعلى الحياء، كل ذلك يجعلهم قابلين لأن يقعوا فى براثن الفاحشة وغيرها.

* * *

أثر اللواط على المجتمع

١ – لا يزال المجتمع بخير ما لم يقبل هذا الشذوذ، فإذا تقبله واستساغه ولم يحاربه، ولم يحارب مظاهره، بل أصبح للشواذ جمعيات رسمية تحميهم، وتنظم عملهم القبيح!! بل إن الكثير من الدول جعلته وسيلة قانونية للاستمتاع، فأباحوا زواج الرجل بالرجل!! ولا حول ولا قوة إلا بالله!! عند ذلك لا بد وأن يتحمل المجتمع كله نتيجة سلبيته فى مواجهة هذا الانحراف. وقد قص القرآن الكريم لنا قصة قوم لوط – عليه السلام – ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ [النمل: ٥٤ – ٥٥].

فماذا فعل الله بالمجتمع الذى قبل هذا الانحراف ولم يقاومه؟

يقول تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**﴾

[هود: ٨٢ – ٨٣]

وفى الحديث «إذا استحللت أمتى ستًا فعليهم الدمار: إذا ظهر فيهم التلاعن، وشربوا الخمور، ولبسوا الحرير، واتخذوا القيان، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء»[1].

٢ – لا شك أن اللواط له آثار الزنا – أو أكثر – وأعظم، فهو يُنشئ جنسًا

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط.



الوسائل العلاجية :

١ – التوبة إلى الله عز وجل، والتضرع إليه وطلب العون منه، ولا بد من البعد عن رفاق السوء، وعن كل الوسائل التى تشده إلى الفاحشة .

٢ – تطبيق عقوبة اللواط :

ففى الحديث « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعلَ والمفعولَ به » (١) .

وقد نُقلَ عن أبى بكر الصديق، وعلى بن أبى طالب، وعبد الله بن الزبير، وهشام بن عبد الملك، نُقلَ عنهم جميعًا إحراق من تَلبَّسَ بهذه الجريمة . وقتلهما أفضل من استقبالهما مع الجلد والتعزير، إذ أن فى قتلهما تطهيراً للمجتمع من دنسهما .

* * *

ثالثا : الاستمنـــــاء

والمقصود به أن يُنزلَ الرجلُ المنىَّ بيده، وهو ما يسميه البعض (بالعادة السرية) .

أسباب الوقوع فيها :

١ – يتعلم الأولاد فى آخر مرحلة الطفولة المتأخرة وأول مرحلة المراهقة هذه العادة السيئة عن طريق رفقاء السوء، أو عن طريق القراءة عنها فى أى كتاب، ثم يدفع الأولاد حبُّ الاستطلاع إلى ممارستها .

٢ – قد يفعلها ويمارسها بعض الأولاد والشباب نتيجة الفراغ الذى يملىء حياتهم، ولا يجدون منفذاً لتفريغ طاقتهم .

٣ – قد يمارسها بعض الأولاد والشباب نتيجة الاضطرابات النفسية، بسبب الحرمان، والاضطهاد، والخلافات الأسرية .

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الإسناد .

٤ - الخلوة التى تكون بين الأولاد فيتحدثون فيها عن معلوماتهم فى هذا المجال فيدفعهم ذلك إلى الممارسة العملية.

حكمها: هذه العادة السيئة يكون لها أثر بالغ على الأولاد نفسيًا، وبدنيًا، وقد تكون ذريعة للوقوع فى اللواط والزنا، لذا فقد ذهب الشافعى ومالك وغيرهما إلى الحكم بتحريمها مستدلين بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧].

علاجها: يكون العلاج بالوقاية منها وأيضا بمعالجتها كما يلى:

١ - تقوية الصلة بالله عز وجل وتربية الولد على مراقبة الله له، وأن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء.

٢ - هجر رفقاء السوء وعدم الاختلاط بهم.

٣ - شغل أوقات الفراغ لدى المراهقين بممارسة الأنشطة الرياضية منها والثقافية.

٤ - ترويض الأولاد على الصيام، فإن فيه تقوية للعزيمة والإرادة لدى الأولاد.

٥ - توعية الشباب والمراهقين بخطورة ممارسة هذه العادة.

٦ - المراقبة المستمرة من الأب لأولاده، والأحاديث التى تدور بينهم.

* * *

رابعًا: مساحقة النساء

والمقصود به مباشرة المرأة للمرأة، واستمتاع كل منهما بالأخرى دون إيلاج.

أسبابه: هى نفسها أسباب الوقوع فى عادة الاستمناء (العادة السرية).

حكمه: متفق على تحريمه بين الفقهاء للأدلة السابقة التى قصرت الاستمتاع المباح على الزوجة وما ملكت اليمين.

علاجه: يكون بنفس معالجة الاستمناء واللواط.

* * *

خامسًا: إتيان المرأة فى دبرها

يقول الله تعالى: ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

ومعنى الآية: السماح للأزواج بإتيان زوجاتهم من القبل أو من الدبر ولكن الوطء والإيلاج لا يكون إلا فى محل الحرث، وهو محل الولد أى القبل.

وفى الحديث «لا تأتوا النساء فى أدبارهن» (١).

وقال فى الذى يأتى المرأة فى دبرها «هو اللوطية الصغرى» (٢).

* * *

دور الدعاة إلى الله - عز وجل - فى معالجة هذه الآفات

ينبغى على الدعاة ألا يُقصروا اهتمامهم بالكبار، ويُهملوا الأولاد والمراهقين والشباب، بل ينبغى أن ينال هؤلاء القسط الأوفر من اهتمام الدعاة، إذ لا بد أن يدرك الدعاة جيداً أن شبابنا مُستهدَفٌ من قِبَل الأعداء، لذا فيجب العمل على احتواء الشباب والعمل على توجيه طاقاتهم توجيهًا حسنًا، والعمل على إشباع حاجاتهم إشباعًا مشروعًا، لذا فيجب على الدعاة إلى الله عز وجل:

١ - العمل على ربط هؤلاء الشباب بالمساجد، إذ فيها يتربون تربية إسلامية صحيحة.

---

(١) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة.

(٢) رواه أحمد والنسائى.

٢ – تربية هؤلاء الشباب على مراقبة الله – عز وجل – والخوف منه .

٣ – العمل على شَغل أوقات الفراغ ببعض الأنشطة الثقافية مثل :

إجراء المسابقات الشفوية والتحريرية للشباب، عمل حلقات الحفظ وتعليم القرآن الكريم .

٤ – يمكن تنظيم دورات رياضية لهم، ورصد بعض الجوائز للفريق الفائز .

٥ – تنمية روح العمل الجماعى لديهم، إذ أن هذا كفيل بأن يُخرجهم من وحدتهم وفراغهم الذى يعانونه، ومن أمثلة الأعمال الجماعية التى يمكن أن يمارسها الشباب صيام يوم وعمل إفطار جماعى لهم، عمل رحلات جماعية لهم .

٦ – الاقتراب منهم ومعرفة مشكلاتهم النفسية والأسرية والعمل على حلها .

تثقيفهم ثقافة جنسية من المنظور الإسلامى، والعمل على توعيتهم التوعية الكاملة التى تحميهم من الوقوع فى براثن الفاحشة .

* * *

(٣) حفـظ اللســـــان

فضل الصمت:

١ - الصمت مطردة للشيطان: يقول رسول الله - ﷺ - «عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك» [(١)].

٢ - الصمت فيه النجاة: قال عقبة بن عامر رضى الله عنه: يا رسول الله: ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك» [(٢)].

٣ - الصمت أيسر العبادة: قال الرسول - ﷺ - لأبى الدرداء: ألا أدلك على أيسر العبادة وأهونها على البدن؟ قال: بلى يا رسول الله، فقال: «عليك بالصمت وحسن الخلق فإنك لن تعمل مثلهما» [(٣)].

مكانة اللسان بين الأعضاء: فى الحديث «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا» [(٤)]. فاللسان وزير القلب فى الإنسان، فهو يعبر عما يريده القلب.

خطورة اللسان على الإنسان: يقول رسول الله - ﷺ - «إن العبد ليتكلم بالكملة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب» [(٥)].

ويقول أيضا «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى جهنم» [(٦)] ويقول - ﷺ - «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» [(٧)].

---

(١) رواه الحاكم عن أبى ذر وصححه. (٢) رواه الترمذى.
(٣) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى وأبو يعلى وسنده.
(٤) رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى.
(٥) رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه.
(٦) رواه البخارى عن أبى هريرة.
(٧) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث أبى موسى.

ومعنى الحديث: أن المسلم الحق هو الذى يكُف أذاه بلسانه ويده عن المسلمين.

وفى الحديث: «أن المسلم الحق هو الذى يكف أذاه بلسانه ويده عن المسلمين.

ويقول الرسول - ﷺ - «من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» (١).

ومعنى الحديث: أن أكثر الأعضاء خطورة على الإنسان: اللسان والفرج فمن حفظ لسانه وحفظ فرجه دخل الجنة، لأن سلامة اللسان والفرج من سلامة القلب وصحته ومدى صلته الوثيقة بالله عز وجل.

وقد سأل سفيان بن عبد الله الثقفى رسول الله - ﷺ - قال: «يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علىَّ؟ قال: هذا وأخذ بلسانه» (٢).

والحديث يبين أن أخطر شئ على الإنسان هو اللسان، وذلك لكثرة آفاته.

وقال - ﷺ - «وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» (٣).

فضول الكلام:

الكثير من كلام الإنسان لا يعود عليه بفائدة، هذا إن لم يكن يجلب عليه الهلاك!

يقول الله تعالى: **﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [النساء: ١١٤].

---

(١) رواه البخارى والترمذى عن سهل بن سعد.

(٢) رواه الترمذى وقال حسن صحيح، وابن ماجة، وصححه الألبانى، ورواه الدارمى والحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجة، والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى وصححه الألبانى.

ويقول تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

وفي الحديث: «طوبى لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله» (١).

ويقول علي - رضي الله عنه - «من كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار».

وقال أيضا: «المرء مخبوء تحت لسانه فإذا ما تكلم ظهر».

وقال: «لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه». وحدث محمد ابن سوقة - أحد علماء الكوفة وعبادها - جماعة من زواره قال: «ألا أسمعكم حديثا لعله ينفعكم كما نفعني؟ قالوا: بلى. قال نصحني عطاء بن أبي رباح ذات يوم فقال: يا ابن أخي: إن الذين من قبلنا كانوا يكرهون فضول الكلام. فقلت: وما فضول الكلام عندهم؟

فقال: كانوا يعدون كل كلام فضولا ما عدا كتاب الله عز وجل أن يقرأ أو يفهم، وحديث رسول الله - ﷺ - أن يروى ويدرى، أو أمرا بمعروف أو نهيا عن المنكر، أو علما يتقرب به إلى الله تعالى أو أن تتكلم بحاجتك؛ ومعيشتك التي لا بد لك منها، ثم حدق إلى وجهي وقال: أتنكرون «وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين»، أن مع كل منكم مليكه» عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد «ثم قال: أما يستحي أحدنا لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره فوجد أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا من أمر دنياه» (٢).

---

(١) رواه الطبراني.
(٢) من كتاب صور من حياة التابعين جـ ١ ص ١٦ : ص ١٩.

من آفات اللسان :

١ - الوقوع فى أعراض الناس :

يقول رسول الله - ﷺ - « لما عُرج بى مررتُ بقوم لهم أظفار من نُحاس يخمشون وجوههم وصدورهم : فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » (١) .

ويقول - ﷺ - « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » (٢) والحديثان يبينان حرمة الخوض فى أعراض الناس .

٢ - الانشغال بعيوب الناس :

فكثير من الناس ينسى عيوب نفسه - وما أكثرها - ويذكر عيوب غيره ويبالغ فى إظهارها وتكبيرها .

ولله در القائل :

مــعــيب على الإنســان ينسى عــيــوبه
ويذكــر عــيــبًــا فى أخــيــه قــد اخــتــفى
فلو كــان ذا عــقل مــا عــاب غــيــره
وفــيــه عــيــوب لو رآها بهــا اكــتــفى

وصدق الشافعى حين قال :

إذا شئتَ أن تحيا سليمًا من الردى ... ودينك مــوفــور وعــرضك صين
لسانك لا تذكــر به عــورة امــرئ ... فكلك عــورات وللناس ألسن
وعــينك إن أبدتْ إليك مــساويًا ... لقــوم فــقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... ودافع ولكن بالتى هى أحــسن

---

(١) رواه أبو داود عن أنس بن مالك رضى الله عنه .
(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣ – الكلام فيما لا يعنى:

يقول رسول الله – ﷺ – «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» [(١)] فمن كمال الإسلام وتمامه أن يترك الإنسان الأقوال التى لا تعنيه ولا تفيده.

يقول سهل بن عبد الله: من تكلم فيما لا يعنيه حُرِم الصدق.

٤ – الغيبة:

قال رسول الله – ﷺ – لأصحابه «أتدرون ما الغيبة؟» «قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» [(٢)].

وبيَّن الله – عز وجل – أن مثل الذى يغتاب الناس كمثل الذى يأكل لحومهم أمواتاً.

فيقول تعالى: ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحجرات: ١٢].

٥ – النميمة:

ويقصد بها نقل الكلام بين الناس لقصد الإفساد بينهم وإيقاع العداوة.

وفى الحديث «لا يدخل الجنة نمام» [(٣)].

أى لا يدخل الجنة ابتداءً ولكن لا بد من عقابه أولاً.

٦ – مدح الإنسان بما ليس فيه:

فمدح الإنسان بما ليس فيه يدفع المادح إلى الكذب والنفاق ويوقعه فيهما، ويُدخل فى الممدوح الكبر والإعجاب بالنفس.

وفى الحديث «واحثوا فى وجه المداحين التراب» [(٤)].

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجة وصححه الألبانى.

(٢) رواه أبو والترمذى والدارمى، عن أبى هريرة رضى الله عنه وروى مسلم نحوه.

(٣) رواه الشيخان والترمذى وأبو داود عن حذيفة.

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذى.

وكان علي – رضي الله عنه – إذا أثنى عليه أحد يقول « اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون » .

٧ – الفحش والسب والبذاءة :

ففي الحديث « ليس المؤمن بالطعَّان ولا اللعَّان ولا الفاحش ولا البذيء » [١] .

٨ – الغناء الذي يحض على العشق والخلاعة والتكسر والميوعة .

٩ – المزاح الكثير، أما القليل منه في غير كذب فمباح .

١٠ – السخرية والاستهزاء، فقد نهى عنهما الله سبحانه وتعالى .

١١ – إفشاء السر، وإخلاف الوعد، والكذب في القول واليمين .

* * *

الدعاة وحفظ اللسان

لا شك أن الدعاة لهم نصيب كذلك من آفات اللسان، ولكنها تتعلق أكثر ما تتعلق بالأعمال الدعوية ومن هذه الآفات :

١ – عدم الموضوعية في الحوار:

فلا شك أن الداعية يتعرض لبعض الحوارات بينه وبين الناس، المتحامل منهم على الدعوة والدعاة، والذي يهاجم الدعوة والداعية جاهلاً بها، فيجب على الداعية أن يُفسح صدره أثناء حواراته مع هؤلاء وهؤلاء، وأن يُسلِّم بنقاط الصحة في كلام الغير لتكون نقطة اتفاق ينطلق منها الحوار، فلا يجب على الداعية أن ينكر كل ما يقوله خصمه، كما يجب عليه ألا يتوتر أثناء الحوار وألا يخرج عن شعوره لأن الحق يضيع في هذا الجو، فقد يقصد المحاور أن يُخرج الداعية عن شعوره فتضيع الفكرة من عقله، وبذلك يفقد حجته .

---

(١) رواه الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وابن حبان والحاكم (كلهم عن ابن مسعود) وقال السيوطي (في الجامع الصغير) صحيح .

ومما يجب التذكير به أن الداعية لا يخرج فى كلامه من الحوار العلمى إلى التجريح فى الأشخاص، فإن ذلك ليس من منهج الدعاة الصادقين.

٢ - تجريح الأشخاص والهيئات :

فمعركة الداعية مع غيره ليست معركة أشخاص ولكنها معركة مناهج وأفكار، فهذا ما ينبغى أن يركز عليه الداعية فى كلامه فهو يفند الآراء والأفكار ويبطلها بالحجة والدليل دون التعرض لمهاجمة أشخاص ولا هيئات.

٣ - الجحود والتنكر للسابقين على طريق الدعوة :

فقد نجد بعض الذين يتصدرون للدعوة ويُحسَبون عليها فى عداد الدعاة، قد نجد الواحد منهم يكون عمره فى الدعوة سنة أو سنتين أو ثلاثة أو أكثر قليلاً، ثم تراه يتطاول على الذين سبقوه على الطريق، وأقاموا للدعوة صروحًا شامخة، تراه يقلل من جهادهم وتضحياتهم، بل ربما رماهم بما هم منه براء، وقد نسى أو تناسى قول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠].

يقول الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله «وفى ميدان التدين خاصة استغرب أن يتصدر للفتوى من لا فقه له، وأن يتقدم للرياسة من لا ثقافة له، وأن يتطوع بالرأى فى شئون العامة من لا يُؤمَن على إدرارة دُكان!!».

وفى تاريخنا القريب والبعيد وجدتُ من هؤلاء من يطعن الأئمة ويناوش القمم، وقد روى ابن مردويه أن رجلاً من الخوارج نظر إلى سعد بن أبى وقاص وقال: هذا من أئمة الكفر! فقال له سعد: كذبتَ، أنا قاتلت أئمة الكفر! فإذا وغد آخر يظاهر زميله يقول عن سعد: هذا من الأخسرين أعمالاً! فقال سعد: كذبتَ .. «أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه» وسعد بن أبى وقاص هو القائد الذى قوض دولة الفرس، وكانت نصف الدنيا وانتصر فى معركة القادسية

التى محت تاريخًا وأثبتت تاريخًا. وقد نهض البطل بأعباء القيادة وهو مريض يُرسل بأوامره من على فراشه للفرق المشتبكة مع عمالقة الأرض، فما غلبه الألم على فكر حتى أدال الله للمسلمين، واكتسحوا الميدان، ومع ذلك كله، فإن فتى غره أن قرأ شيئًا من القرآن أو نظر فى بعض كتب السنة، أو صلى ركعتين فى جوف الليل أو فى أوله يحسب أن ذلك يمنحه الجرأة على تصغير الكبار وتكبير الصغار!!! إنى أنصح العاملين فى ميدان الصحوة الإسلامية أن يزدادوا علمًا وأن يزدادوا تواضعًا لله وللناس وأن يعطوا كل ذى فضل فضله، وأن يريدوا الله بأعمالهم، وأن يدركوا حقيقة قد تغيب عن كثيرين: «أن من يسرق مكانة ليست له، شر من سرق البضائع والأموال» [1] (انتهى).

٤ - الخوض فى المسائل التى لا ينبنى عليها عمل:

كالخوض والتعمق فى البحث عن المبهمات كأسماء أصحاب الكهف، أو اسم القرية التى كانت حاضرة البحر فى بنى إسرائيل! واسم الرسولين اللذين أرسلهما الله إلى القرية فى قوله تعالى ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ** ﴾ [يس: ١٣ - ١٤].

فكل هذه المسائل وغيرها، الجهل بها لا يضر والعلم بها لا ينفع فلا داعى أن يُضيع الدعاة فيها أوقاتهم بخوضهم فيها.

٥ - الحديث عن النفس:

عندما يُجرى الله خيرًا للإسلام على يد داعية من الدعاة عليه أن يُرجع الفضل فى ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ولا يُرجعه لنفسه أو إلى تخطيطه وكفاءته، وعليه كذلك ألا يتحدث عن نفسه وإنجازاته فى حقل الدعوة، أو عن

---

(١) من مقال بعنوان أبجديات لنجاح الدعوات نشر فى مجلة لواء الإسلام عدد غرة صفر ١٤١٠ هـ الموافق ١٥ سبتمبر ١٩٨٩م.

(٤) حفظ السمع والبصر

لا شك أن السمع والبصر من النعم العظيمة التى أنعم الله – عز وجل – بها على الإنسان.

يقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

وإنما جعل الله – عز وجل – هذه النعم للإنسان ليتمكن العبد من عبادة الله – عز وجل – فالسمع يسمع به كلام الله، والبصر ليبصر به آيات الله المقروءة والمنظورة، والأفئدة وهى وسائل الإدراك فى الإنسان: العقل والقلب، ليدرك الإنسان بعقله وقلبه – أوامر الله – عز وجل – ففى الحديث القدسى: إن الله تبارك وتعالى قال: «منْ عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقربَ إلىَّ عبدى بشئ أحبَّ إلىَّ مما افترضته عليه، وما يزالُ عبدى يتقربُ إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذى يسمع به، وبصَرَه الذى يبصر به، ويدَه التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شئ أنا فاعله، ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته» (١).

ومعنى الحديث: أن العبد لا يزال يواظب على فعل الفرائض، والمندوبات والنوافل، حتى يصل إلى درجة محبة الله – عز وجل – له، فإذا أحبه الله وفق أعضاءه إلى فعل الخيرات، فوفق الأذن لأن تسمع ما يرضى الله، والعين لأن تبصر ما يرضى الله، وهكذا سائر الجوارح.

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة – رضى الله عنه –.

شُكر نعمة السمع:

يتحقق شكرُ اللهِ على نعمةِ السمعِ بأمرين:

الأمــر الأول: باستخدام هذه النعمة فى الغرض الذى أراده الله - عز وجل -، من استماعٍ لكلامِ اللهِ، واستماعٍ لكلامِ رسولِ الله ﷺ، واستماعٍ إلى كل ما يفيد الإنسان فى دنياه وآخرته.

الأمر الثانى: ويكون بصونِ السمعِ عن الآفاتِ التى قد يتعرضُ لها ومنها:

١ - التجسس: وهو البحث عن سيئات المسلمين وسوءاتهم، والاجتهاد فى كشف ما ستره الله من معايبهم ومثالبهم.

لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾ [الحجرات: ١٢].

٢ - استماع اللغو: وهو ما لا فائدةَ فيه من الكلام، لأنَّ فى استماعه تضييعًا للوقت، وتفويتًا لأعمالٍ أخرى كالذكر وغيره، فضلاً عنْ أنَّ استماعه يُفضى إلى استماع المحرم من الكلام، ومنْ صفات عباد الرحمن: ﴿**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾ [الفرقان: ٧٢] وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ**﴾ [قصص: ٥٥].

٣ - استماع الغناء الماجن: لأنَّ القلبَ إذا امتلأ بحبِ الغناء، لم يَعُد يُحبُ القرآن فحبُ الغناء وحبُ القرآنِ لا يجتمعان فى قلبٍ واحدٍ، فترى صاحبَ الغناء يتبرمُ من سماعِ القرآن.

يقول عبد الله بن مسعود: الغناء يُنبت النفاقَ فى القلبِ كما يُنبتُ الماء البقل».

أما الغناء المتمثل فى الأناشيد الحماسية التى تحض على الجهاد وتثير فى الإنسان الهمَّةَ، فهى من الأمورِ المباحة، وقد كان الصحابة ينشدونها وهم يحفرون الخندق منها:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

ومنها قول عبد الله بن رواحة – رضى الله عنه :

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينةً علينا ... وثبتْ الأقدامَ إنْ لاقينا
إنَّ الذين قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنةً أبينا

٤ – **استماع الفاحش البذئ من الكلام**، واستماع الغيبة والنميمة، واستماع الخوض فى الباطل؛ كل هذه آفات يجب على المسلم أن يحفظ سمعه عنها.

شكر نعمة البصر : ويكون شكر هذه النعمة بأمرين هنا :

الأول : استخدام هذه النعمة فى الغرض الذى جعلها الله – عز وجل – من أجله وهو تطويعها لعبادة الله – عز وجل – بالنظر فى كتاب الله تلاوته والتعبد به، والنظر فى ملكوت الله – عز وجل – للاعتبار.

يقول الله تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ** ﴾ [ق : ٦ – ٨].

وتطويعها كذلك فى خدمة الإنسان وإعانته على أمر دنياه.

الثانى : بحفظها من الآفات التى قد تتعرض لها ومنها :

١ – النظر إلى النساء (ونظر النساء إلى الرجال) :

فالعين مفتاح القلب، والنظر رسول الفتنة وبَريدُ الزنا، وفى الحديث «العينان تزنيان وزناهما النظر» (١).

ولكن إذا وقع فجاةً نظرُ أحد الجنسين على الآخر، يجب أن يصرفه.

---

(١) من حديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود وأحمد كلهم عن أبى هريرة.

لحديث جابر – رضى الله عنه – قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال: «اصرف بصرك»[١].

هذا فى النظر الفجأة؟ فكيف بالذين يُديمون النظر إلى المتبرجات فى المسلسلات والأفلام؟! وكيف بالمرأة التى تنظر إلى الرجال أشباه العرايا فى الأفلام والمسلسلات أيضًا؟!

٢ – نظرُ الرجلِ إلى عورةِ الرجلِ والمرأةِ إلى عورةِ المرأةِ:

فقد نهى النبى ﷺ عن النظر إلى العورات، ولو كان مِنْ رجلٍ لرجلٍ أو مِنَ امرأة لامرأةٍ، بشهوةٍ أو بغيرِ شهوةٍ، ففى الحديث «لا ينظرُ الرجلُ إلى عورةِ الرجلِ، ولا تنظرُ المرأةُ إلى عورةِ المرأةِ»[٢].

٣ – النظر إلى عورات الناسِ فى بيوتهم:

بمعنى النظر فى بيوت الناس – بغير إذنهم – لمعرفة أسرارهم وأحوالهم، ففى الحديث المتفق عليه من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه –: «مَنْ اطلعَ فى بيتِ قوم بغيرِ إذنهم، فقد حَلَّ لهم أن يفقأوا عينه».

٤ – النظر إلى الأمرد: وهو الشاب – أو الفتى – الجميل الذى لا لحية له، يقول ابن حجر الهيتمى فى كتاب «الزواجر عن اقتراف الكبائر».

«دخل سفيان الثورى – وناهيك به معرفةً وعلمًا وزهدًا وتقدمًا – الحمام فدخل عليه صبىٌّ حسنُ الوجه فقال: أَخرجوه عنى أَخرجوه عنى فإنى أرى مع كل امرأةٍ شيطانًا ومع كل صبى بضعةَ عشرَ شيطانًا».

ويقول: «وجاءَ رجلٌ إلى الإمام أحمد – رضى الله عنه – ومعه صبىٌّ حسنُ الوجه فقال له الإمام: مَنْ هذا منك؟ فقال ابنُ أختى، فقال: لا تجئ به إلينا مرةً أخرى، ولا تمشى معه فى طريق لئلا يظن مَنْ لا يعرفُك ويعرفُه سوءا».

---

(١) رواه مسلم والترمذى والدارمى وأحمد.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى.

الدعاة وحفظ السمع والبصر

هناك أمور خطيرة تتعلق بالدعاة فى هذا الموضوع منها:

استماع بعض الدعاة إلى من يسيرون بالغيبة والنميمة بين صف الدعاة إلى الله فهذا من شأنه أن يُوقِعَ العداوةَ والبغضاء فى الصف، ومن ثَمَّ الشقاق والاختلاف، فيجب على صف الدعاة إلى الله أن يلفظوا هذا السلوك، وينبذوه من بينهم، انطلاقًا من الثقة المتبادلة بين أفراد الصف، وعملاً بقوله تعالى: ﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ** ﴾ [النور: ١٢].

والصف الذى تسوده الثقة، لا يمكن أن يخترقه أعداؤه.

* * *

(٥) : حفظ البطن واليد

أولاً: حفظ البطن: لا شك أن البطن هى يَنبوعُ الشهوات ومنبتُ الأدواءِ والأمراضِ، إذ تنشط شهوةُ الفرجِ بإشباع شهوةِ البطنِ، وهل أُخرج آدمُ من الجنة إلا بسببِ شهوةِ البطنِ؟!

ولكى يحفظ الإنسان بطنه يكون ذلك بأمرين:

الأمر الأول: عدم أكْل الأموال التى حرمها الله تعالى (أو شُربها).

يقول الله تعالى: ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وفى الاية نهىٌ عن تناول كل الأموال المحرمة، ومن صور الأموال المحرمة:

١ - **السرقة**: يقول تعالى: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣٨].

٢ - **الربا**: يقول تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

٣ - **أكل أموال اليتامى ظلماً**: يقول تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾ [النساء: ١٠].

٤ - الخمر والميسر (القمار): يقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ**

تُفْلحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١].

٥ – الذبائح والأطعمة الخبيثة: يقول تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].

٦ – الرشوة: يقول – ﷺ –: «لعنةُ اللهِ على الراشي والمُرتَشي في الحكم» [١].

وعن ثوبان قال: لعنَ رسولُ الله – ﷺ – «الراشي والمرتشي والرائش» [٢] (والرائش هو الوسيط بين الراشي والمرتشي).

٧ – الهدايا إلى الحكام: رُوي عنه – ﷺ –: «مَنْ استعملناهُ على عملٍ فرزقناهُ رزقًا فما أخذهُ بعد ذلك فهو غُلُولٌ» [٣].

٨ – الغش: يقول – ﷺ –: «مَنْ غَشنا فليسَ منا» [٤].

٩ – تطفيف الكيل والميزان: يقول تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١ – ٦].

١٠ – النَجَش في البيع والشراء: ومعناه أن يُعطي في السلعة أكثرَ من ثمنها وليسَ في نفسه اشتراءٌ ليقتدي به غَيرُه، يقول – ﷺ –: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يَبعْ بعضكمْ على بيعِ بعضٍ، وكونوا عبادَ

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن حبان.
(٢) رواه أحمد والحاكم.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) رواه مسلم.

الله إخوانًا، المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى ها هنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كلُ المسلم على المسلم حرامٌ، دمُهُ ومالُهُ وعرضُهُ » (١).

١١ – بيع الأشياء المحرمة: وبيع الغرر، والاحتكار ، والاستغلال والخداع، كل هذه صور من الأموال المحرمة.

١٢ – شراء المسروقات: إذ أن فى ذلك تشجيعًا على السرقة وترويجًا لها. يقول – ﷺ –: « مَنْ اشترى سَرِقَةً – أى مسروقًا – وهو يعلمُ أنها سرقةٌ فقد اشتركَ فى إثمها وعارها » (٢).

١٣ – الأموال المكتسبة من أعمال مُحرمة: كأموال الراقصات والمغنيات والأموال المكتسبة من قول وشهادة الزور، وعدم إتقان العمل، وغيرها.

* * *

شبهة يثيرها بعض الناس

يقول بعض الذين يعيشون على بعض هذه الصور من الأموال المحرمة، يقولون: إن هذا رزقنا ولا رزق لنا سواه، وللرد على هذه الشبهة:

يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى – رحمه الله –: « إن الله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب، ولا يظن إنسان أن عمله هو الذى سيرزقه، إنما يرزقه الله بسبب هذا العمل: فإن انتقل من عمل الباطل إلى عمل آخر حلال فلن يضن الله عليه بعمل حق ورزق حلال. وقد عالج الحق سبحانه وتعالى هذه القضية حينما أراد أن يحرم بيت الله فى مكة على المشركين، لقد كان هناك أُناس يعيشون على ما يأتى به المشركون فى موسم الحج، وكان أهل مكة يبيعون فى هذا الموسم الاقتصادى كل شئ للمشركين الذين يأتون للبيت، وحين يحرم الله على المشرك أن يذهب إلى البيت الحرام فماذا يكون موقف هؤلاء؟ إن أول ما

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة.

(٢) رواه البيهقى.

يخطر على البال هو الظن القائل من أين يعيشون؟ ولنتأمل القضية التي يريد الله أن ترسخ في نفس كل مؤمن. قال الحق: «إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» ثم يأتي للقضية التي تشغل بال الناس فيقول: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ﴾ [التوبة: ٢٨].

وهكذا نرى أن هذه القضية لم تَخْفَ على الله، فلا يقولن أحد إن العمل الباطل الحرام هو مصدر رزقي، ولن أستطيع العيش لو تركته، سواء كان تلحيناً، أو عزفاً، أو تأليفاً للأغاني الخليعة، أو الرقص، أو نحت التماثيل، نقول له: لا. لا تجعل هذا مصدراً لرزقك والله يقول لك: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ وأنت عندما تتقي الله - سبحانه وتعالى - فهو يجعل لك مخرجاً.

«ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب» وعليك أن تترك كل عمل فيه معصية لله وانظر إلى يد الله الممدودة لك بخيره) انتهى [١].

الأمر الثاني: عدم الإسراف في تناول المباحات:

فالله تعالى يأمرنا بالاعتدال في الطعام والشراب، فيقول تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

ويأمرنا الله بالوسطية في الإنفاق فيقول: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

ومن صفات عباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

ويقول الرسول - ﷺ -: «ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن

(١) تفسير الشعراوي جـ ١ ص ٨١٤: ص ٨١٥.

آدم لقيمات يُقمنَ صلبه، فإن كان لا محالةَ فثلثُ لطعامه، وثلثٌ لشرابه وثلثٌ لنفسه» (١).

ويقول: «المؤمنُ يأكل في معيٍ واحدٍ والكافرُ يأكل في سبعةِ أمعاءٍ» (٢).

ثانيًا: حفظ اليد: فاليد نعمة من نعم الله عز وجل، ومَنَّ بها على الإنسان وأوجب عليه شكرها، ويكون ذلك بأن يستخدم الإنسان يده في طاعة الله عز وجل، وفي فعل الخيرات، وفي كسبٍ لقوته بالطريقة التي شرعها الله وكذلك يكون شكر نعمة اليد بكفها وحفظها من الآفات التي قد تصيب اليد ومنها:

١ – البطش والتعدي على عباد الله ظلمًا وافتراءً، وذلك بالقتل أو الضرب.

٢ – مدها لتناول المحرمات من الأطعمة والأشربة.

٣ – مدها إلى امرأة لا تحل له.

٤ – استخدامها لإعانة ظالمٍ على ظلمه.

يقول – ﷺ –: «صنفان من أهلِ النار لم أرهما: قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقرِ يضربون بها الناسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخُلنَ الجنة ولا يجدنَ ريحَها وإن ريحَها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» (٣).

٥ – تعذيب الحيوانات: يقول – ﷺ –: «عُذبتْ امرأةٌ في هرةٍ حبستها حتى ماتَتْ ودَخَلَتْ فيها النار، لاهي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» (٤).

* * *

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجة والحاكم ،صححه، ووافقه الذهبي وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري عن ابن عمر، ورواه مسلم عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه –.

(٤) متفق عليه.

الدعاة وحفظ البطن واليد

الدعاة إلى الله تعالى، إذ يطالبون الناس بحفظ البطن عن الحرام فهم يتعدون ذلك إلى حفظها عن مجرد الشبهات، بل يصونون بطونهم عن أن تمتلئ بالطعام الحلال! بل أنهم يُروضون أنفسهم على تحمل الجوع والعطش، إذ أنهم مُعرضون لذلك بين لحظة وأخرى فليكونوا مروضين على ذلك، وليكن شعار الداعية إلى الله – عز وجل – «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»(1).

يقول الحسن: «ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام؟

وقال الثورى: «إنما سموا المتقين لأنهم اتقوا ما لا يُتقى».

وقال ابن عمر: «إنى لأحب أن أدع بينى وبين الحرام سترة من الحلال لا أخرقها»

وقال سفيان بن عيينة: «لا يُصيبُ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتى يجعلَ بينه وبينَ الحرامِ حاجزاً من الحلالِ وحتى يدعَ الإثمَ وما تشابه منه».

* * *

(1) رواه النسائى والترمذى وقال حسن صحيح.

(٦) الصــدق

● **فضيلة الصدق :**

١ - الصدق من صفات النبوة :

يقول تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا** ﴾ .

[مريم : ٤١]

ويقول تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا** ﴾ [مريم : ٥٤].

ويقول تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا** ﴾ .

[مريم : ٥٦]

٢ - الصدق فى القول يؤدى إلى الصدق فى العمل والصلاح فى الأحوال :

يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١].

٣ - الصدق يهدى الإنسان إلى البر والخير :

يقول ﷺ : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتَبَ عند الله صديقاً » (١) .

والبر الذى يهدى إليه الصدق هو الذى بَيَّنه الله - عز وجل - فى قوله تعالى :

﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ**

(١) رواه البخارى عن عبد الله بن مسعود .

بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

٤ - الصدق فيه النجاة :

يقول الله تعالى : ﴿ **قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [المائدة : ١١٩] .

أى أن صدقهم فى الدنيا ينفعهم فى الآخرة .

وفى الحديث : « تحروا الصدقَ وإنْ رأيتُمْ أنَّ الهَلَكَةَ فيه ، فإنَّ فيه النجاة »(١) .

٥ - الصدق فيه الربح والفوز :

يقول **ابن عباس** - رضى الله عنهما - : « أربع من كن فيه ربح : الصدق ، والحياء وحسن الخلق ، والشكر » .

وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال : « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حِفظُ أمانة ، وصِدقُ حديث ، وحُسن خليقة ، وعفةٌ فى طعمة » (٢) .

● **حقيقة الصدق ومراتبه :**

لفظ الصدق يستعمل فى عدة معان : صدق فى القول، وصدق فى النية والإرادة، وصدق فى العزم ، وصدق فى الوفاء بالعزم ، وصدق فى العمل ، وصدق فى مقامات الدين .

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت عن منصور بن المعتمر مرسلا ، وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير .

(٢) رواه الطبرانى والحاكم وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير .

أولا : الصدق فى القول : ويعنى الإخبار بحقيقة الأمور ، ويدخل فيه الوفاء بالوعد والعهد ، ويجب على المسلم أن يتجنب الإكثار من المعاريض فإنها ذريعة إلى الكذب .

ثانيا : الصدق فى النية والإرادة : ويتحقق ذلك بألا يقصد العبد من عمله إلا الله – عز وجل – ، فإن مازَجَ ذلك شئٌ من حظوظ النفس بطل ادعاء الصدق .

ثالثاً : الصدق فى العزم والوفاء به : وذلك كأن يقول العبد إن رزقنى الله مالاً لأتصدقَنَّ ولأكونَنَّ من الصالحين ، فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهى عزيمة جازمة صادقة ، وقد يكون فى عزمه ضعف وتردد يضاد الصدق فى الوفاء بالعزم والإخلاص فى الوفاء به .

فقد روى أنس بن مالك قال : غاب عمى أنس بن النضير عن قتال « بدر » فقال : يا رسول الله غبتُ عن أول قتالٍ قاتلتَ فيه المشركين !! لئن أشهدنى اللهُ مع النبى قتالَ المشركين ليَرَيَنَّ ما أصنع !!! فلما كان يوم أُحد انكشف المسلمون، فقال : اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعنى أصحابه – وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء – يعنى المشركين – ثم تقدم . . فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد ابن معاذ : الجنة وربِّ النضر إنى لأجد ريحها من دون أُحد !! قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، ثم تقدم .

قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ما بين ضربةٍ بالسيف وطعنةٍ بالرمح ورميةٍ بسهم ، ووجدناه وقد مَثَّلَ به المشركون ، فما عرفه إلا أخته ، بشامة فيه ، أو ببنانه .

قال أنس : كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

وروى الإمام مسلم عن سهل بن حنيف – رضى الله عنه – أن النبى – ﷺ

– قال : «مَنْ سألَ اللهَ تعالى الشهادةَ بصدقٍ بَلَّغَهُ اللهُ منازلَ الشهداءِ وإنْ ماتَ على فراشه» .

رابعا : الصدق في الأعمال : وذلك بأن تستوى سَرِيرةُ العبد وعلانيته .

خامسا : الصدق في مقامات الدين : وذلك كالصدق في الخوف والرجاء، والتوكل .

صدق الدعاة إلى الله

إذا كان الصدق فضيلة من الفضائل التى يتصف بها المسلم عموماً ، فإنه فى حق الدعاة إلى الله عز وجل آكد ، لأن الدعوة تحتاج إلى أناسٍ صادقين يحملونها ويبلغونها إلى الناس ، أو يورِّثونها للأجيال اللاحقة ، وأدنى درجات صدق الدعاة إلى الله – عز وجل – صدق الأعمال ، وذلك لأن الصدق فى القول حتماً ولابد أن يكون موجوداً فى الداعية ، فهذا أمر بديهى ، وإلا !!!

والمقصود بصدقهم فى الأعمال أن يكونوا أول من يأتمر بالأمر ، وأول من ينتهى عن النهى ، يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف : ٢ ، ٣] .

يقول عبد الواحد بن زيد : كان الحسن إذا أمر بشىء كان من أعمل الناس به؛ وإذا نهى عن شىء كان من أترك الناس له. ولم أر أحداً قط أشبه سَريرةً بعلانيةٍ منه .

وهناك درجة أعلى من ذلك وهي درجة الوفاء بالبيعة (العهد) مع الله عز وجل يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ [الحجرات: ١٥] .

ويقول تعالى : ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ .

[الحشر: ٨]

ومن هؤلاء الدعاة الذين وَفَّوا ببيعتهم لله ورسوله : مصعب بن عمير؛

مصعب هذا الذى كان مثلاً للشباب الذى يعيش حياة الترف والرفاهية ؛ فيلبس أفضل الثياب، ويأكل أحسن الأطعمة، ويتعطر بأغلى الروائح!! ثم إذا به يترك كل هذا مضحياً فى سبيل الله – وفاءً بعهده مع الله عز وجل – يرسله رسول الله – ﷺ – سفيراً إلى يثرب ليقوم بنشر الدعوة هناك، فأدى مهمته على خير وجه، وتمضى الأيام ويهاجر الرسول – ﷺ – إلى المدينه؛ وتكون غزوة بدر، ثم تكون غزوة أُحد فاختار الرسول – ﷺ – مصعب لحمل الراية ، ثم احتدم القتال وخالف الرماة أمر الرسول، فكان ما كان من المحنة للمسلمين، فانتشرت الفوضى وعم الذُعرُ صفوف المسلمين، وركَّزَ المشركين على رسول الله – ﷺ – لينالوه. وأدرك مصعب الخطر فأخذ يصول ويجول محاولاً لفت أنظار المشركين إليه لينصرفوا عن رسول الله – ﷺ – ، فصار يحمل الراية بيد ويحمل السيف باليد الأخرى، ولكن الأعداء أرادوا أن يقتلوه ليعبروا على جثته إلى رسول الله – ﷺ – .

يقول ابن سعد : (حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أُحد فلما جال المسلمون ثبت به مصعب فاقبل ابن قُميئةَ وهو فارس ، فضربه على يده اليمنى فقطعها، ومصعب يقول : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه، فضرب يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأخذه واندق الرمح، ووقع مصعب، وسقط اللواء) يقول الأستاذ خالد محمد خالد فى كتاب «رجال حول الرسول».

وبعد انتهاء المعركة المريرة: وجد جثمان الشهيد الرشيد راقدا، وقد أخفى وجهه فى تراب الأرض المضمخ بدمائه الذكية – لكانما خاف أن يبصر وهو جثة هامدة رسول الله يصيبه السوء ، فأخفى وجهه حتى لا يرى هذا الذى يحاذره ويخشاه ... !!

أو لكانه خجلان إذ سقط شهيداً قبل أن يطمئن على نجاة رسول الله ، وقبل أن يؤدى إلى النهاية واجب حمايته والدفاع عنه !! .

لك الله يا مصعب .. يا من ذكرك عطر للحياة .

ثم يقول - رحمه الله - وقف الرسول - ﷺ - عند مصعب بن عمير وقال - وعيناه تلفانه بضيائهما وحنانهما ووفائهما - : « منْ المؤمنين رِجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليهِ » ثم ألقى فى أسى نظرة على بردته التى كفن فيها وقال لقد رأيتك بمكة ، وما بها أرق حُلة ، ولا أحسن لمة منك « ثم هأنتذا شعث الرأس فى بُردة » ؟!

وهتف الرسول عليه السلام وقد وسعت نظراته الحانية أرض المعركة بكل من عليها من « رفاق مصعب » وقال : « يا أيها الناسُ زوروهمْ وأتوهمْ ، وسلّموا عليهم ، فوالذى نفسى بيده ، لا يُسَلّمُ عليهم مُسَلّمٌ إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه السلام » السلام عليك يا مصعب .. السلام عليكم معشر الشهداء .

* * *

(٧) الأمانة

مفهوم الأمانة : الأمانة هى كل ما ائتمن الله عز وجل الإنسان عليه ، من أمر ونهى لإصلاح الدنيا والآخرة .

أى أن دين الله كله أمانة أُئتمن الله عليها الأمة .

يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** ﴾ .

[الأحزاب : ٧٢]

يقول القرطبى – رحمه الله – : « والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور » .

ويقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ [النساء : ٥٨] .

يقول صاحب الظلال – رحمه الله – : (هذه هى تكاليف الجماعة المسلمة؛ وهذا هو خلقها : أداء الأمانات إلى أهلها ، والحكم بين الناس بالعدل . على منهج الله وتعليمه . والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى .. الأمانة التى ناط الله بها فطرة الإنسان ؛ والتى أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان . أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه . فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة . فكل ما عدا الإنسان ألهمه ربه الإيمان به ، والاهتداء إليه ومعرفته ، وعبادته ، وطاعته ، وألزمه طاعة ناموسه بغير جهد منه ولا قصد ولا إرادة ولا اتجاه . والإنسان وحده هو الذى وُكِلَ إلى فطرته ، وإلى عقله وإلى معرفته ، وإلى إرادته ، وإلى جهده الذى يبذله للوصول إلى الله ، بعون من الله « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وهذه

أمانة حملها وعليه أن يؤديها أول ما يؤدى من الأمانات . **ومن هذه الأمانات :** أمانة التعامل مع الناس ، أمانة المعاملات والودائع المادية ، وأمانة النصيحة للراعى وللرعية ، وأمانة القيام على الأطفال الناشئة ، وأمانة المحافظة على حرمات الجماعة وأموالها وثغراتها . . وسائر ما يجلوه المنهج الربانى من الواجبات والتكاليف فى كل مجال الحياة على وجه الإجمال . فهذه من الأمانات التى يأمر الله أن تؤدى ؛ ويجملها النص هذا الإجمال) . . . . انتهى .

ويقول الشيخ محمد الغزالى – رحمه الله – فى كتاب خلق المسلم : «والأمانة فى نظر الشارع واسعة الدلالة ، وهى ترمز إلى معان شتى ، مناطها جميعاً شعور المرء بتبعته فى كل أمر يوكل إليه وإدراكه الجازم بانه مسئول عنه أمام ربه ، على النحو الذى فصله الحديث الكريم : « كلكم راعٍ وكلكم مسئول عَنْ رعيته فالإمام راعٍ ومسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راعٍ وهو مسئول عن رعيته » [1] .

● **من صور الأمانة :**

١ – الولايات والأعمال العامة أمانة :

فقد قال أبو ذر – رضى الله عنه – يا رسول الله : ألا تستعملنى ؟ قال : فضرب بيده على منكبى ثم قال : « يا أبا ذر : إنك ضعيفٌ ، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا مَنْ أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » [2] .

وعلى هذا فكل عمل له مؤهلاته الخاصة به ، ولا يُكتفى بعنصر التقوى والورع لتولى مهام الأمة !! بل لابد من توافر شرطى القوة والأمانة ، فشرط القوة يمثله المؤهلات العلمية والبدنية ، والعقلية التى تجيد الابتكار والإبداع ، وحُسن التخطيط والتنظيم ، وشرط الأمانة يمثله الجانب الخُلقى الخاص بتقوى الله – عز

---

(١) رواه البخارى عن ابن عمر .

(٢) رواه مسلم .

وجل – ومن هنا فأبو ذر – رضى الله عنه – افتقد شرط القوة ، فلم يعد صالحاً لأن يستعمله – رسول الله ﷺ – .

يقول الله تعالى على لسان ابنة شعيب : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦] . (تقصد موسى عليه السلام) .

ويقول ﷺ : « مَنْ استعمل رجلاً على عصابة وفيهم مَنْ هو أرضى لله منه فقد خانَ اللهَ ورسولَه والمؤمنين » [١] .

ويقول : « مَنْ وَلِيَ مِنْ أمر المسلمين شيئاً فأمَّرَ عليهم أحداً محاباةً فعليه لعنةُ الله ، لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم » [٢] .

بل إن الرسول ﷺ يعتبر إسناد الأمور لغير المؤهلين لها تضييعاً للأمانة ينذر بقيام الساعة ، فقد « جاء رجل يسأل رسول الله – ﷺ – متى تقوم الساعة؟ فقال له : « إذا ضُيّعت الأمانةُ فانتظر الساعة ! فقال : وكيف إضاعتُها ؟! قال : إذا وسِّدَ الأمرُ لغيرِ أهله فانتظر الساعة » [٣] .

٢ – الرعية أمانة : فكما ذكرنا فى الحديث « فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته » فالراعى الأمين على رعيته هو الذى يُخيف رعيته فى الله ، ويخافُ اللهَ فى رعيته ؛ يأخذ بأيديهم لتقوى الله ، ويتقى الله فيهم ؛ يذكرهم بالله ، ويذكر الله فيهم ؛ يشعرهم برقابة الله ، ويراقب الله فيهم ؛ يأمرهم بالمعروف ، ويأتمر به فيهم؛ وينهاهم عن المنكر وينتهى عن المنكر فيهم ؛ ويقيم العدل فيهم ، ويكون على وجَلٍ من الله – عز وجل – .

يقول عبد الرحمن بن عوف : قدمت رفقة من التجار نزلوا المصلى فقال لى عمر : هل لك أن تحرسهم الليلة ؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما .

---

(١) رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه السيوطى .
(٢) رواه الحاكم .   (٣) رواه البخارى .

فسمع عمر بكاء صبى ، فتوجه نحوه فقال لأمه : اتقى الله وأحسنى إلى الصبى ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه ، فعاد إلى أمه ، فقال : اتقى الله وأحسنى إلى صبيك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه، فقال: ويحك لأراك أم سوء ، مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟!

قالت : يا عبد الله قد أبرمنى منذ الليلة (أى أضجرنى) إنى أريغه (أحوله) عن الفطام فيأبى .

قال عمر : ولم ؟ قالت لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم .

قال : وكم له ؟ قالت : كذا وكذا شهراً . قال : ويحك لا تعجليه ؛ فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلم قال : يا بؤساه لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين ؟! ثم أمر منادياً فنادى : أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام وكتب بذلك إلى الآفاق » (١) .

٣ - الحديث أمانة : فالحديث الذى يدور بين الأصحاب والجيران هو أمانة، فيجب عدم إفشاء ما قيل فى المجلس من أسرار ، ويجب عدم تحريف أو تغيير الكلام ليفيد معنى غير الذى قيل ، فإن فى هذا خيانة للأمانة.

ففى الحديث «إذا حَدَّثَ رجلٌ رجلاً بحديثٍ ثم التَفَتَ فهو أمانة» (٢) .

أما ما كان فيه من التعاون على الإثم والعدوان فيكون من الأمانة إفشاء هذه الأسرار وذلك من باب تغيير المنكر والتعاون على البر والتقوى ، وفى الحديث : «المجلسُ بالأمانةِ إلا ثلاثة مجالس: مجلسُ سفكِ دمٍ حرامٍ ، أو فَرج حرام ، أو اقتطاع مالٍ بغيرِ حقٍ» (٣) .

٤ - الأسرار الزوجية أمانة : كثير من الناس يرى أن من علامات الفحولة والرجولة أن يتحدث أمام الناس عما يدور بينه وبين أهله من المعاشرة الجنسية!!

---

(١) من كتاب «مواقف تاريخية حاسمة» للأستاذ/أنور الجندى .
(٢) رواه أبو داود وأحمد والترمذى عن جابر وصححه السيوطى فى الجامع الصغير .
(٣) رواه أبو داود عن جابر وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير .

فتراه يجلس بين رفاقه فيخوض فى الحديث عن التفاصيل الدقيقة للمعاشرة الجنسية مع أهله !!

فعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله – ﷺ – والرجال والنساء قعدوا عنده ، فقال : « لعَلَّ رجلاً يقول ما فعل بأهله ، ولعَلَّ امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها ؟ فأزمَّ القوم – سكتوا وجلين – فقلت : أى والله يا رسول الله . إنهم ليفعلون ، وإنهن ليفعلن !! قال : فلا تفعلوا ، فإنما مثل ذلك شيطان لقى شيطانة فغشيها والناس ينظرون » (١) .

ويقول ﷺ : « إنَّ مِنْ أعظمِ الأمانةِ عند اللهِ يوم القيامةِ : الرجل يُفضى إلى امرأته وتُفضى إليه ثم ينشرُ سرَّها » (٢) .

٥ – الجوارح أمانة : استودع الله – عز وجل – الجوارح وائتمن الإنسان عليها وأمره أن يؤدى أمانتها ، فمن استعملها فيما أمر الله – تعالى – به وكفها عما ينهى الله عنه فقد أدى الأمانة فيها ، ولكن من بارز الله بالمعاصى ، وجعل من جوارحه أدوات لمحاربة الله بالمعاصى ، فقد خان هذه الأمانة وضيعها .

قال القرطبى – رحمه الله – : « وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه ؛ وقال هذه أمانة استودعتكها ، فلا تلبسها إلا بحق ، فإن حفظتها حفظتك ، فالفرج أمانة ، والأذن أمانة ، والعين أمانة، واللسان أمانة والبطن أمانة، واليد أمانة ،والرجل أمانة، ولا إيمانَ لِمَنْ لا أمانةَ له » .

٦ – أداء الحقوق أمانة : لا شك أن الله – عز وجل – أوجب على الإنسان حقوقاً لنفسه ، وحقوقاً لأهله ، وحقوقاً لوالديه ، وحقوقاً لجيرانه ، وحقوقاً لأرحامه ، وَترك أى حق من هذه الحقوق هو خيانة لهذه الأمانة .

٧ – الغلول خيانة للأمانة : كثير من الناس يعمل العمل ويتقاضى عليه أجراً معيناً ثم إذا به يذهب ليجمع المال من الطرق الملتوية ، فتارةً يفرض إتاوات

---

(١) رواه أحمد . (٢) رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى .

على الناس ليبتز أموالهم ، وتارةً يمد يده إلى الأموال العامة التى تحت يده ، وتارةً يُوجد موارد وهمية لينهب الأموال تحت ستارها !!

وهؤلاء جميعاً خائنون للأمانة ، فيقول الله – تعالى – فيهم : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

[آل عمران : ١٦١]

وروى أن رسول الله – ﷺ – قال : « مَنْ استعملناه على عملٍ فرزقناه رزقاً ، فما أَخَذَ بعدَ ذلك فهو غُلُول » [١] .

ولكن تاريخ الإسلام حافل بالنماذج المُشَرِّفة ، التى تَرَبَتْ على العفة والقناعة ، ومن هذه النماذج : « عامر بن عبد الله التميمى » الذى كان أحد جنود المسلمين فى القادسية مع سعد بن أبى وقاص ، وبعد انتهاء المعركة – بانتصار المسلمين على الفرس – أمر سعد بجمع الغنائم لإحصائها وليرسل خُمسها إلى بيت مال المسلمين ، ويقسم باقيها على المجاهدين ، فاجتمع بين يديه من الأموال والنفائس ما يفوق الوصف ، وبينما كان العمال يحصون هذه الغنائم أقبل على القوم رجلٌ أشعث أغبر ، ومعه حُقٌ كبير الحجم ثقيل الوزن حمله بيديه كلتيهما . فتأملوه فإذا هو حُقٌ لم تقع عيونهم على مثله قط ، ولا وجدوا فيما جمعوه شيئاً يعدله أو يقاربه .. فنظروا فى داخله فإذا هو مملوء بروائع الدُرر والجواهر .. فقالوا للرجل : أين أصبت هذا الكنز الثمين ؟ فقال : غنمته فى معركة كذا .. فى مكان كذا . فقالوا : وهل أخذت منه شيئاً ؟ فقال : هداكم الله ! والله إن هذا الحق ، وجميع ما ملكته ملوك فارس لا يعدل عندى قُلامةَ ظفر، ولولا حق بيت مال المسلمين فيه ما رفعته من أرضه !! ولا أتيتكم به . فقالوا: « من أنت أكرمك الله ؟! فقال : لا والله لا أخبركم لتحمدونى ، ولا أخبر غيركم ليقرظونى (يثنوا علىَّ) ولكنى أحمد الله تعالى وأرجو ثوابه . ثم تركهم ومضى فأمروا رجلاً منهم أن يتبعه ، وأن يأتيهم بخيره . فما زال الرجل يمضى وراءه –

---

(١) رواه أبو داود والحاكم وقال على شرطهما وأقره الذهبى (أنظر فيض القدير) .

وهو لا يعلم به – حتى بلغ أصحابه فلما سألهم عنه قالوا : ألا تعرفه ؟! إنه زاهد البصرة . . عامر بن عبد الله التميمى » [١] .

ولكن هذه الأمانة ، وهذه العفة ، وهذا الاحتقار لزخارف الدنيا لا يمكن أن يأتى كل هذا من فراغ . بل جاء كل ذلك نتيجةً طبيعيةً للمجاهدة ، والطاعة ؛ يقول أحد أبناء البصرة : « سافرت فى قافلة فيها عامر بن عبد الله ، فلما أقبل الليل نزلنا بغيضة (مجتمع الشجر فى مغيض الماء) فجمع عامر متاعه ، وربط فرسه بشجرة ، وطوَّل زمامه ، وجمع له من حشائش الأرض ما يشبعه وطرحه أمامه ثم دخل الغيضة وأوغل فيها (أبعد فيها وتوارى) فقلت فى نفسى : والله لأتبعنَّه ، ولأنظرنَّ ما يصنع فى أعماغق الغيضة فى هذه الليلة . فمضى حتى انتهى إلى رابية ملتفة الشجر ، مستورة عن الأعين . . فاستقبل القبلة ، وانتصب قائماً يصلى . . فما رأيت أحسن من صلاته ولا أكمل ولا أخشع . . فلما صلى ما شاء الله له أن يصلى ، طفق يدعو الله ويناجيه ، فكان مما قال : إلهى : لقد خلقتنى بأمرك ، وأقمتنى فى بلايا هذه الدنيا بمشيئتك ، ثم قُلتَ لى استمسك . . فكيف استمسك إن لم تُمسكنى بلطفك يا قوىُ يا متينُ ؟ إلهى : إنك تعلم أنه لو كانت لى هذه الدنيا بما فيها ثم طُلبتْ منى مرضاةً لك لوهبتها لطالبها . . فهب لى نفسى يا أرحم الراحمين . . إلهى : إنى أحببتك حُباً سهَّل علىَّ كل مصيبة ورضَّانى بكل قضاء . . فما أُبالى مع حبى لك ما أصبحت عليه ، وما أمسيت فيه . قال الرجل البصرى : ثم غلبنى النعاس فأسلمت جفنى إلى الكرى (النوم) ثم ما زلت أنام وأستيقظ ، وعامر منتصب فى موقفه ماضٍ فى صلاته ومناجاته حتى تنفس الصبح ، فلما بدا له الفجر أدى المكتوبة (الفريضة) ثم أقبل يدعو فقال : اللهم ها قد أصبح وطفق الناس يغدون ويروحون يبتغون من فضلك . . وإنَّ لكلٍ منهم حاجة . . وإنَّ حاجة عامر عندك أن تغفر له ، اللهم فاقض حاجتى يا أكرم الأكرمين » [٢] .

---

(١) من كتاب « صور من حياة التابعين » للدكتور / عبد الرحمن رأفت الباشا – بتصرف .
(٢) نفس المصدر السابق .

٨ - **الودائع أمانة** : وهذه الصورة من صور الأمانة هى الصورة التى يرى الناس فيها الأمانة أو الخيانة ، فمفهوم الأمانة عند عامة الناس يقتصر على رد الودائع إلى أهلها ، وإن كان هذا المفهوم قاصرا ، إلا أن هذه الأمانة بالفعل من أخطر الأمانات ، وذلك لأن النفس تضعف أمام شهوة المال ، وخصوصا إذا لم يكن لدى صاحب الوديعة ما يثبت له حقه ، فحينئذ يسيل لعاب الإنسان للمال! فيعتبرها غنيمة ، وفى الحديث «القتلُ فى سبيلِ الله يكفِّرُ الذنوب كلها إلا الأمانة . قال : يُؤتىَ بالعبدِ يومَ القيامة - وإن قُتلَ فى سبيلِ الله - فيقالَ : أد أمانتك ! فيقول : أى رب : كيف وقد ذَهَبَتْ ؟! فيقال : انطلقوا به إلى الهاوية، وتُمثَّلُ له أمانته كهيئتها يوم دُفعتْ إليه ، فيراها فيعرفها ، فيهوى فى أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه ، حتى إذا ظنَ أنه خارج زلَّتْ عن منكبيه ، فهو يهوى فى أثرها أبد الآبدين ، ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأشياء عدها ، وأشدُ ذلك الودائع» [١] .

* * *

بقاء التمكين مرهون بأداء الأمانة

الله - عز وجل - فى تعامله مع الأمم له سنة لا تتبدل ولا تتغير - هذه السنة قائمة على بقاء التمكين والسيادة للأمة التى تقوم بأداء الأمانة ، فلا تزال الأمة فى عزة ومنعة ولا تزال لها السيادة والقيادة فى الأرض ما قامت بأداء الأمانة التى كلفت بها ، وهى نشر الرحمة والعدل بين الناس ، رسالة تعبيد الناس لله لا للبشر ، رسالة نشر الرحمة والعدل بين الناس ، رسالة التوحيد الخالص لله بين البشر ، فهذه الأمانة العظيمة لا تؤديها إلا أمة تستحق التمكين لها فى الأرض، تستحق أن تكون هى الأمة التى تحدد المعايير للناس ؛ معايير العدل ؛ معايير التعامل بين بنى البشر ؛ فإذا تخلت الأمة عن رسالتها كانت بذلك خائنة للأمانة، فلا تصلح أن تكون قائدة للأمم ، لأنها فقدت مؤهلاتها وفقدت روحها التى تحيا بها ، وحينئذ يُسلط الله عليها أعداءها فيذيقونها أشد العذاب ، لا تمكيناً لأهل

(١) رواه أحمد عن عبد الله بن مسعود موقوفاً .

الكُفر فى الأرض ، بل إذلالاً لِمُضَيِّعى الأمانة . وفى الحديث «إنَّ هذا الأمرَ فى قريشٍ ماداموا إذا استرحموا رحموا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا قسموا أقسطوا ، فمَنْ لم يَفعلْ ذلك منهم فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين لا يُقبَلُ منه صرفٌ ولا عدلٌ» (١) .

أدِّ الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك :

المسلم دائماً يعامل الناس بأخلاق الإسلام ، لا بأخلاقهم .

فليس معنى أن يخونني الناس أن أقابل الخيانة بالخيانة !! لا .

والمسلم يتعامل بالإسلام وإن تعامل غيره بغير الإسلام ، فتراه يَصدُقُ مع الكاذبين ، ويكون أميناً مع الخائنين ، ويَصلُ القاطعين ، ويُحسنُ إلى المُسيئين؛ هذه طبيعة المسلم وهذا خلقه .

يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** ﴾ [النساء: ١٠٧] .

ويقول : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾ [الأنفال: ٥٨] .

ويقول : ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ** ﴾ [يوسف: ٥٢] .

ويقول : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** ﴾ [الحج: ٣٨] .

وبَيَّنَ الله تعالى أن رعاية الأمانة من الصفات الشخصية للمؤمن .

يقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٩] .

ويقول رسول الله ﷺ : «لا إيمانَ لِمَنْ لا أمانةَ لهُ ، ولا دينَ لِمَنْ لا عَهدَ له» (٢) .

ويقول ميمون بن مهران : «ثلاثة يؤدَّين إلى البر والفاجر : الأمانة ، والعهد ، وصلة الرحم» ،أما الخيانة فهى من صفات المنافقين «آية المنافق ثلاث : إذا حدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ أخلَفَ ، وإذا أؤتمنَ خانَ» (٣) .

* * *

---

(١) رواه أحمد . (٢) رواه أحمد عن أنس بن مالك وصححه السيوطى .
(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

الدعاة وأداء الأمانة

الأمانة التى تَحمَّلها الدعاة إلى الله – تعالى – أمانة البيعة – البيعة مع الله – عز وجل – على نَصرة هذا الدين ، مبايعة الله – تعالى – على التضحية بالغالى والنفيس فى سبيل نَشرِ ونَصرِ دعوة الله – عز وجل – إنها الأمانة التى أعلن بها رِبْعىُ بن عامر لكسرى حينما قال له : « ابْتَعَثنا اللهُ لنخرجَ من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن جَورِ الأديان إلى عَدلِ الإسلام ، ومن ضِيقِ الدنيا إلى سعةِ الدنيا والآخرة » .

يقول صاحب الظلال – رحمه الله – : « ومن هذه الأمانات : أمانة الشهادة لهذا الدين . . .الشهادة له فى النفس أولاً بمجاهدة النفس حتى تكون ترجمة له، ترجمةً حيةً فى شعورها وسلوكها ، حتى يرى الناس صورة الإيمان فى هذه النفس فيقولوا ما أطيب هذا الإيمان وأحسنه وأزكاه ؛ وهو يصوغ نفوس أصحابه على هذا المثال من الخلق والكمال ! فتكون هذه الشهادة لهذا الدين فى النفس يتأثر بها الآخرون . . . والشهادة له بدعوة الناس إليه ، وبيان فضله ومزيته – بعد تمثل هذا الفضل وهذه المزية فى نفس الداعية – فما يكفى أن يؤدى المؤمن الشهادة للإيمان فى ذات نفسه ، إذا هو لم يدع إليها الناس كذلك ، وما يكون قد أدى أمانة الدعوة والتبليغ والبيان وهى إحدى الأمانات » . . . انتهى .

وليعلم الداعية أنه يقف على ثُغرٍ من ثُغورِ الإسلام فلا يُؤتىَ الإسلامُ من قِبَله . فقد يخون الداعية دعوته بأمور هى فى نظره دقيقة وهيِّنة ، ولكن خطرها على الدعوة جد خطير ، فبكلمة واحدة يزلف بها اللسان ربما تجنى الدعوة بها ثمرة مرة !! يَتَجَرَّعُ مرارتها الدعاة .

يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [الأنفال: ٢٧ ، ٢٨] .

أخرج ابن جرير عن الزهرى أن رسول الله ﷺ لما حاصر يهود بنى قريظة

طلبوا الصلح فأمرهم أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فقالوا : أرسل لنا أبا لبابة فبعثه رسول الله ﷺ إليهم فقالوا : يا أبا لبابة ما ترى ؟ أننزل على حكم سعد ؟ فأشار إلى حلقه يعنى أنه الذبح ، قال أبو لبابة : والله ما زالت قدماى عن مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ؛ فقال : لا والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت ، أو يتوب الله على فنزلت الآية » .

فأعتبر أبو لبابة إفشاءه لسر من أسرار رسول الله – ﷺ – خيانة لله ورسوله، والأمر كذلك بالفعل .

* * *

(٨) التواضـــع

التواضع ثمرة المعرفة بالله وبالنفس ، فالعبد الذى يعرف ربه بأسمائه وصفاته ، يعرف أن الله هو الجبار المتكبر ويستشعر ذلك جيدا ، ويعرف نفسه أنه عبد ضعيف هزيل لا حول له ولا قوة ، وما كان عنده من مال أو علم أو قوة ، فكل هذا فضل من الله – تعالى – عليه ، يعرف ربه بأنه غنى ويعرف نفسه بأنه فقير ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [فاطر: ١٥] .

يعرف ربه بأنه عزيز قهار: ﴿ **إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾ [فاطر:١٦]، ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ** ﴾ [الأنعام: ١٨] .

فإذا استشعر العبد كل هذه المعانى – فعرف ربه حق المعرفة وعرف نفسه حق المعرفة – وجد أنه ما من شيء من زينة الحياة الدنيا يؤهل الإنسان إلى أن يتكبر في الأرض ، يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ .

[الحجرات: ١٣]

والذى يدرك ذلك جيدا لابد وأن يتواضع، ويؤكد الله تبارك وتعالى هذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿ **فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ** ﴾ [النجم: ٣٢] .

ومعنى الآية : أى لا تمدحوا أنفسكم وتنسبوا لها الكمال فى الحسب أو النسب ، أو العلم أو العقل أو أى معيار من المعايير التى يتفاخر بها الناس ، فالله – تعالى – هو أعلم بأهل التقوى التى هى المعيار الحقيقى للتفاضل بين الناس .

وقد يظن البعض أن التواضع وخفض الجناح للمؤمنين يقلل من شأنه ، أو ينقص من قدره أمام الناس !

فيقول رسول الله – ﷺ – : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » [١] .

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة .

ويقول أيضاً : « إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد » [1] .

بل إن الرسول – ﷺ – يخبرنا أن المتواضع الهين تحرم عليه النار ، فيقول ﷺ : « ألا أخبركم بمن يحرم على النار ؟ – أو تحرم عليه النار – تحرم على كل قريب هين لين سهل » [2] .

روح التواضع : إذا تأصلت هذه المعانى فى الإنسان اكتسب صفة التواضع والتى يظهر أثرها على الإنسان فى صورة عدم تعصبه لرأيه ، وعدم تسفيهه لغيره فيكون هدفه الوصول إلى الحق ، وإن كان الحق عند من هو أفقر منه ، أو أصغر منه ، أو أقل منه وجاهة .

وسئل **الفضيل بن عياض** عن التواضع ؟ فقال : يخضع للحق ، وينقاد له ، ويقبله ممن قاله .

وقيل التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة ، فمنه رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب .

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – : « روح التواضع أن يتواضع العبد لصولة الحق . بأن يتلقى سلطان الحق بالخضوع له والذل والانقياد ، والدخول تحت رقه ، بحيث يكون الحق متصرفاً فيه تصرف المالك فى مملوكه ، فبهذا يحصل للعبد خلق التواضع ولهذا فسر النبى – ﷺ – الكبر بضده فقال « الكبر بطر الحق وغمط الناس » [3] .

فبطر الحق رده وجحده ، والدفع فى صدره ، كدفع الصائل « وغمط الناس » « احتقارهم وازدراؤهم ، ومتى احتقرهم وازدراهم رفع حقوقهم وجحدها واستهان بها » [4] . . . انتهى .

---

(١) رواه مسلم عن عياض بن حمار . (٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

(٤) من كتاب « تهذيب مدارج السالكين ص ٤٣٠ » .

من مظاهر تواضعه – ﷺ –

ضرب رسول الله – ﷺ – المثل الأعلى فى التواضع ومن صور ذلك :

١ – كان ﷺ إذا مر على صبيان سلّم عليهم ، فعن أنس رضى الله عنه « أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال : كان النبى – ﷺ – يفعله » (١) .

٢ – ويقول أيضاً : « إنه كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبى – ﷺ – فتنطلق به حيث شاءت » (٢) .

٣ – كان ﷺ يساعد أهله فى أعمال المنزل ، وكان يقوم ببعض الأعمال بنفسه يُرقِّعُ ثوبه ، وكان يَخصفُ نعله .

فعن الأسود بن يزيد قال : « سُئلت عائشة رضى الله عنها : ما كان النبى – ﷺ – يصنع فى بيته ؟ قالت : « كان يكون فى مهنة أهله » يعنى خدمة أهله « فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة » (٣) .

٤ – كان يكره أن يقوم له الناس ، يقول أبو أمامة : خرج علينا رسول الله – ﷺ – متوكئاً على عصا ، فقمنا له فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً » (٤) .

وقال : « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد »(٥) .

* * *

تواضع الدعاة إلى الله

١ – تواضع الداعية فى نفسه :

ويكون ذلك بالا يظن الداعية أنه أعلم من غيره ، أو أتقى من غيره ، أو أورع من غيّره ، أو أكثر خشية لله من غيره ، أو يظن أن هناك من هو شر منه ، ولا يظن الداعية أنه قد أخذ صكاً بالغفران !! وآخر بدخول الجنة !!

---

(١) رواه الشيخان .

(٢ ، ٣) رواهما البخارى .

(٤) رواه أبو داود .

(٥) صححه الألبانى فى صحيح الجامع .

لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، يقول الله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

[الأنفال : ٢٤]

يقول **مالك بن دينار** : « لو أن منادياً ينادى بباب المسجد ليخرج شركم رجلاً والله ما كان أحد يسبقنى إلى الباب إلا رجلاً بفضل قوة أو سعى » .

وقال **أبو زيد** : ما دام العبد يظن أن فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر ، فقيل له : فمتى يكون متواضعاً ؟ قال : إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً .

وجلس الشافعى ذات يوم مع تلميذه أحمد بن حنبل ، فنظر إليه وقال :

أُحبَ الصالحين ولستُ منهم لعلى أن أنالَ بهم شفاعة
وأكره من تجارتهم معاصى وإن كنا سوياً فى البضاعة

فنظر إليه تلميذه أحمد ثم قال :

تُحبُ الصالحين وأنت منهم ومنكم سوف يلقون الشفاعة
وتكره من تجارتهم معاصى وقاكَ الله من شر البضاعة

٣ - تواضع الداعية مع الناس :

الداعية يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق ، وإلى الأخلاق الإسلامية ، ومن طبيعة الناس أنهم لا يقبلون قول من يعظم نفسه ويحقرهم ، ويرفع نفسه ويضعهم ، وإن كان ما يقوله حقا ، إلا أن الناس يغلقون عنه قلوبهم ، فعلى الداعية أن يفقه هذا الأمر جيدا لئلا يكون سببا فى نفرة الناس من الدعوة ، وهناك جانب آخر ، وهو أن الناس لا يحبون من يكثر الحديث عن نفسه ، فلا يحسن بالداعية أن يظال يتكلم عن مآثره ! ومحامده ! وإنجازاته ! وعلمه ! وفصاحته ! ، بل عليه أن يعرف أن جميع ما عنده هو فضل من الله ، فالداعية المتواضع هو ذلك الداعية الذى لا يعطى لنفسه حظا فى كلامه . ومن تواضع الداعية مع الناس أن يجالس كل طبقات المجتمع ، ويكلم كلا بما يفهمه ، يجالس

الفقراء ويزورهم ، ويجالس الأغنياء ويزورهم ، وليعلم أن الفقير نفس ، والغنى نفس ، وهداية هذه ليست أولى من هداية تلك .

يقول الله – تعالى – : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ [الكهف : ٢٨] .

يقول صاحب الظلال – رحمه الله – : « اصبر نفسك مع هؤلاء . صاحبهم وجالسهم ، وعلمهم . ففيهم الخير ، وعلى مثلهم تقوم الدعوات . فالدعوات لا تقوم على من يعتنقونها لأنها غالبة ؛ ومن يعتنقونها ليقودوا بها الأتباع ؛ ومن يعتنقونها ليحققوا بها الأطماع ، وليتجروا بها فى أسواق الدعوات تشترى منهم وتباع ! إنما تقوم الدعوات بهذه القلوب التى تتجه إلى الله خالصة له ، لا تبغى جاها ولا متاعا ولا انتفاعا ، إنما تبتغى وجهه وترجو رضاه » . . . انتهى .

٤ – تواضع الداعية مع إخوانه الدعاة :

أما عن تواضع الداعية مع إخوانه الدعاة إلى الله ، فذلك يكون بخفض الجناح لهم، وقبول النصيحة منهم ، والأدب فى إسداء النصيحة لهم . وألا يظن الداعية أنه أفضل من أحدهم ولا أعلم ، ولا أتقى ، ولا أحق بأمر من أحدهم ، لأن هذه كلها مداخل يدخل منها الشيطان إلى قلوب الدعاة . يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [المائدة : ٥٤] .

وتوضح الآية صفات جند الله الذين يدخرهم ليستبدلهم بأولئك الذين ارتدوا عن الدين – ارتداداً كلياً أو جزئيا – ومن صفات هؤلاء الجند أنهم « أذلة على المؤمنين » أى أنهم فيما بينهم ، اللين والرقة ، وخفض الجناح .

يقول الشهيد « سيد قطب » – رحمه الله – فى قوله « أذلة على المؤمنين » وهى صفة مأخوذة من الطواعية واليسر واللين ، فالمؤمن ذلول للمؤمن ، غير عصى

عليه ولا صعب ، هين لين ، ميسر مستجيب ، سمح ودود ، وهذه هى الذلة للمؤمنين ، وما فى الذلة للمؤمنين من مذلة ومهانة ، إنما هى الأخوة ، ترفع الحواجز ، وتزيل التكلف ، وتخلط النفس بالنفس ، فلا يبقى فيها ما يستعصى وما يحتجز دون الآخرين . إن حساسية الفرد بذاته متحوصلة متحيزة هى التى تجعله شموسا عصيا شحيحا على أخيه . فأما حين يخلط نفسه بنفوس العصبة المؤمنة معه ، فلن يجد فيها ما يمنعه وما يستعصى به ، وماذا يبقى له فى نفسه دونهم ، وقد اجتمعوا فى الله إخوانا ؛ يحبهم ويحبونه ، ويشيع هذا الحب العلوى بينهم ويتقاسمونه ؟!» انتهى .

٥ - تواضع الداعية كجندى فى حقل الدعوة :

يتحقق معنى التواضع فى الأفراد بطاعتهم لمسئوليهم ومن يتولى تعليمهم وتربيتهم ، طاعة عن حب وتبصره ، دون غضاضة فى النفس أو تلبيسات من إبليس- لعنه الله - كأن يقول له : هذا الأمير أصغر منك سناً ! أو أقل منك علماً! أو أقل منك كفاءةً ! أو أقل منك خبرةً ! أو أحدث منك لحاقاً بالدعوة ! وليتذكر الداعية أن الرسول - ﷺ - أعطى قيادة الجيش لأسامة بن زيد وكان سنه لم يبلغ السابعة عشرة، وكان فى الجيش من هم أكبر وأعلم وأفقه ، وأقدم من أسامة كأمثال أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - فهل وجد أبو بكر أو عمر غضاضة فى ذلك؟! والداعية الفقيه هو الذى يزداد تواضعاً كلما وُفِّقَ فى أعماله الدعوية ، وأضاف للدعوة أنصاراً جدداً .

٦ - تواضع الداعية كقائد :

القائد الناجح هو الذى يخفض جناحه للأفراد الذين هم تحته ، لأنه كلما تواضع لهم وخفض لهم جناحه كان أقرب إلى نفوسهم ، وكان أمره لهم محبباً إليهم ، فهم يطيعونه عن حب وإخلاص .

يقول الله تعالى : ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ .

[الشعراء : ٢١٥]

● **ومن مظاهر تواضع القادة للجنود :**

(١) عدم الاستبداد بالرأى والانفراد بإتخاذ القرار :

وذلك أن استفراغ ما عند الأفراد من آراء وأفكار لا شك أن ذلك يفتح أبوابا كانت مغلقة على القادة ، والاستماع إليها والنزول عن الرأى إليها – إذا كانت صحيحة – تقلل من نسبة الخطأ فى القرار ، وببركة الشورى قد يجبر الله ما بها من قصور ، ولله در القائل :

رأىُ الجماعةِ لا تَشقىَ البلادُ به   رغمَ الخلافِ ورأىُ الفردِ يُشقيها

(٢) عدم الاستعصاء على قبول النصيحة :

فالقادة بشر يصيبون ويخطئون ، فوجب عليهم أن يتقبلوا النصح والحق ولا يرغبوا عنه أبداً .

(٣) ألا يجد القادة فى نفوسهم شيئاً إذا تحولوا إلى جنود وأفراد فى الصف بدلاً من أن كانوا قادة ، وذلك لأن الأجر والثواب يكون بالإخلاص والتجرد والصدق مع الله ، لا بقدر ما يتحمله الفرد من المسئوليات الدعوية فكم من متقدمين يؤخرهم الله يوم القيامة ، وكم من جنود أتقياء أخفياء لا يُعرفوا إذا حضروا ، ولا يُفتقدوا إذا غابوا ، يُقدّمُهم الله يوم القيامة . وقد حدث موقف مع خالد بن الوليد – رضى الله عنه – يكشف لنا كيف أن الفرد المخلص المتجرد لا يشغله أن يكون في أول الصف أو وسطه أو آخره ، لا يشغله أن يكون قائداً مسئولاً أو فرداً مأموراً .

فكما قال **الفضيل بن عياض** « من أحب الرياسة لم يفلح أبداً » .

ذلك الموقف حدث له وهو فى أوج انتصاراته على الروم فى اليرموك ، وأترك الأستاذ / خالد محمد خالد – رحمه الله – ليقص لنا ما حدث :

« فها نحن أولاء نواجه العظمة الإنسانية فى مشهد من أبهى مشاهدها .. إذ كان خالد يقود جيش المسلمين فى هذه المعركة الضارية (اليرموك) ويستل

النصر من بين أنياب الروم استلالا فذا ، بقدر ما هو مضن ورهيب — وإذا به يفاجأ بالبريد القادم من المدينة يحمل كتاب الخليفة الجديد — أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وفيه تحية الفاروق للجيش المسلم ، ونعيه خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق — رضى الله عنه —، ثم أمره بتنحية خالد عن القيادة وتولية «أبى عبيدة ابن الجراح» مكانه .. قرأ خالد الكتاب وهمهم بابتهالات الترحم على أبى بكر والتوفيق لعمر !! ثم طلب من حامل الكتاب ألا يبوح لأحد بما فيه وألزمه مكانا أمره ألا يغادره وألا يتصل بأحد .. استأنف قيادته للمعركة مخفيا موت أبى بكر وأوامر عمر حتى يتحقق النصر الذى بات وشيكاً وقريباً .. ودقت ساعة الظفر واندحر الروم .. وتقدم البطل من أبى عبيدة مؤدياً إليه تحية الجندى لقائده .. وظنها أبو عبيدة فى أول الأمر دعابة من دعابات القائد الذى حقق نصرا لم يكن فى الحسبان .. بيد أن ما فتىء أن رآها حقيقة وجداً فَقبَّلَ خالداً بين عينيه وراح يطرى عظمة نفسه وسجاياه» [1] .

* * *

---

(١) من كتاب «رجال حول الرسول ص ٣٢٥» .

(٩) الوفـاء

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١] والعقود هى العهود والمواثيق التى أبرمها الإنسان مع ربه ، أو مع الناس ، فأما عن العهود التى أبرمها الإنسان مع الله – عز وجل – أو أخذها الله على بنى آدم ، فيجب الوفاء بها جميعاً ، أما العهود التى أبرمها الإنسان مع الناس : فيكون مناط الوفاء بها أن تتعلق بالحق والخير وإلا فلا عهد فى عصيان ولا يمين فى إثم .

ومن العقود (أو العهود) التى أخذها الله على بنى آدم :

١ – **العهد الأعظم** : وهو العهد الذى أخذه الله على بنى آدم وهم فى عالم الذر ، إذ أقرهم على أنفسهم بربوبيته وتوحيده فأمروا بذلك واعترفوا ومن ثَم فقد التزموا هذا الميثاق الأعظم ، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣] .

٢ – عهد الله الذى عهد به إلى بنى آدم ، وهو عدم عبادة الشيطان ، يقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس: ٦٠ – ٦١] . وعبادة الشيطان تكون بطاعته : إما بالكفر بالله ، أو فيما دون ذلك من المعاصى التى يزينها لبنى آدم ؛ وعبادة الله تكون بطاعته وتوحيده وامتثال أوامره .

٣ – ميثاق الله الذى أخذه على بنى إسرائيل بأن يلتزموا هداه ويجيبوا كما أمرهم . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ .

[المائدة: ١٢]

و لم يوفّ بنو إسرائيل بهذا الميثاق -كعادتهم- بل نقضوه، فلعنهم الله، وجعل قلوبهم قاسية،ثم أخذ الله العهد على النصارى فلم يكونوا أحسن حظا ولا أوفى عهدا من سابقيهم فاغرى الله بينهم العدواة و البغضاء إلى يوم القيامة . يقول تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ١٤] و لقد أخذ الله الميثاق عليهم (على بنى إسرائيل)، أن يظهروا أحكام الله ولا يكتمونها ،يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ثم قال - تعالى -: ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [البقرة :٤٠] فهل وفَّى بنو إسرئيل بعهد الله؟ لا! بل كتموا الحق ، و غيروه ، وزيفوا الحقائق وشوهوها وبدلا من أن يكونوا قادة إصلاح صاروا رؤسا للفساد والإفساد فى الأرض .

٤ - الوصايا العشر التى وصى الله بها كل الأمم فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الإنعام : ١٥١ -١٥٣] .

٥ - عهد الله الذى عهد به إلى الأمة الإسلامية ؛وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر و الإيمان بالله، و ذلك لإقرار العدل و الرحمة و المعروف بين الناس، يقول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران :١١٠] .

٦ ـ ميثاق الله الذى أخذه على النبيين : بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ . قال ابن عباس : «ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمد وهو حى ليؤمنن به و لينصرنه و أمره أن يأخذ الميثاق على أمته» .

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] .

٧ ـ ميثاق اللهالذى أخذه على المؤمنين حينما بايعوا على السمع و الطاعة في المنشط والمكره . يقول تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

[المائدة : ٧]

٨ ـ ميثاق الله الذى أخذه على المؤمنين بأ ن يجاهدوا فى سبيله لإقرار الحق والعدل فى الأرض . يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

* * *

الوفاء بالمواثيق و العهود مع الناس

١ـ الوفاء بالأيمان : يقول تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل : ٩١-٩٢] .

يقول صاحب الظلال : (والوفاء بعهد الله يشمل بيعة المسلمين للرسول ـ ﷺ ـ و يشمل كل عهد على معروف يأمر به الله . والوفاء بالعهود هو الضمان

لبقاء عنصر الثقة فى التعامل بين الناس ، وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع ولا تقوم إنسانية . و النص يخُجل المتعاهدين أن ينقضوا الأيمان بعد توكيدها و قد جعلوا الله كفيلا عليهم ، وأشهدوه عهدهم، و جعلوه كافلاً للوفاء بها .ثم يهددهم تهديداً خفياً «إن الله يعلم ما تفعلون ») ... انتهى .

ثم مثل الله – تعالى – الذين ينقضون العهد و الأيمان بالمرأة الحمقاء التى تفتل غزلها ثم تنقضه وتتركه قطعاً محلولة ، ويقول تعالى: ﴿**وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً**﴾[النحل : ٩٤ –٩٥] .

يقول صاحب الظلال «و اتخاذ الأيمان غشاً وخداعاً يزعزع العقيدة فى الضمير ، ويشوه صورتها فى ضمائر الآخرين . فالذى يقسم وهو يعلم أنه خادع فى قسمه ، لا يمكن أن تثبت له عقيدة ، و لا تثبت له قدم على صراطها. وهو فى الوقت ذاته يشوه صورة العقيدة عند من يقسم لهم ثم ينكث ويعلمون أن أقسامه كانت للغش والدخل، ومن ثمَّ يصدهم عن سبيل الله بهذا المثل السيء الذى يضربه للمؤمنين بالله. ولقد دخلت فى الإسلام جماعات و شعوب بسبب ما رأوا من وفاء المسلمين بعهدهم ومن صدقهم فى وعدهم ومن إخلاصهم فى أيمانهم ومن نظافتهم فى معاملاتهم فكان الكسب أضخم بكثير من الخسارة الوقتية الظاهرية التى نشأت عن تمسكهم بعهودهم» ... انتهى .

ويقول ﷺ : «المسلمون عند شروطهم» (١) .

٢ – الوفاء بمبايعة الرسول – ﷺ – على أعمال الطاعة :

يقول عوف بن مالك :كنا عند النبى – ﷺ – تسعة أوثمانية أو سبعة – فقال : الا تبايعون رسول الله ﷺ ؟ فبسطنا أيدينا وقلنا نبايعك يا رسول الله، قال: على أن تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً، و تصلوا الصلوات الخمس ، وتسمعوا وتطيعوا ، وأسرَّ كلمة خفية قال «لاتسألوا الناس شيئاً) قال عوف بن مالك فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً أن

---

(١) رواه البخارى .

يناوله إياه[1]. ومثل هذه المبايعة : بيعة النساء (و هى بيعة العقبة الأولى) والتى حضرها اثنا عشر رجلاً فاتصل هؤلاء برسول الله – ﷺ – عند العقبة بمنى، فبايعوه بيعة النساء (أى وفق بيعتهم التي نزلت عند فتح مكة) ، روى البخارى عن عبادة بن الصامت أن رسول الله – ﷺ – قال : تعالوا بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولاتسرقوا ، ولاتزنوا ، ولاتقتلوا أولادكم ، ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم و أرجلكم ، ولا تعصونى فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فى الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذ لك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه قال : فبايعته – وفى نسخة فبايعناه – على ذلك)

وهى نفس بنود بيعة النساء التي جاءت في سورة الممتحنة في قوله تعالى:
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الممتحنة: ١٢]

* * *

بيعة العقبة الثانية

و تم فيها مبايعة الرسول – ﷺ – على حماية الدعوة وحراسة الرسالة . فقد روى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله قال : قلنا يا رسول الله : على مانبايعك ؟ قال : على السمع والطاعة فى النشاط و الكسل، و على النفقة فى العسر واليسروعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن تقوموا فى الله، لا تأخذكم فى الله لومة لائم ، و على أن تنصرونى إذا قدمت إليكم ، وتمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم و أزواجكم و أبناءكم ، و لكم الجنة » .

فهل وفّى الأنصار بهذه البيعة ؟وهل بالفعل حموا الدعوة و حرسوا الرسالة؟ روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال : لما كان يوم حنين

---

(١) رواه مسلم .

أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع النبى - ﷺ - عشرة آلاف و من الطلقاء، فادبروا عنه حتى بقى وحده فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما : التفت عن يمينه فقال : « يا معشر الأنصار » قالوا لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك . ثم التفت عن يساره فقال : « يا معشـــر الأنصار » قالوا لبيك يا رسول الله : أبشر نحن معك . وهو على بغلة بيضاء ، فنزل فقال : « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون) .

و هكذا أصحاب العقائد ، وأصحاب البيعة هم الذين يظهرون وقت الشدة، وكان الأنصار خير من وفّى بالبيعة ، فرضى الله عن الأنصار .

٣ - الوفاء بقضاء الدين : ففى الحديث (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله) [١] .

وروى البخارى عن أبى هريرةرضى الله عنه عن رسول الله - ﷺ - : أنه ذكر رجلاً من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه (يقرضه) ألف دينار فقال ائتنى بالشهداء أشهدهم فقال : كفى بالله شهيداً . قال فائتنى بالكفيل . قال : كفى بالله كفيلاً . قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذى أجله فلم يجد مركباً فاخذ خشب فنقرها فادخل فيها ألف دينار و صحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال : (اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلاناً ألف دينار فسألنى كفيلاً فقلت كفى بالله كفيلاً فرضى بك وسألنى شهيداً فقلت : كفى بالله شهيد فرضى بك و إنى جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذى له فلم أقدر . و إنى استودعكها فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله فإذا بالخشبة التى فيها المال فاخذها حطباً لأهله فلما نشرها وجد المال والصحيفة . ثم قدم الذى كان أسلفه فاتى بالألف

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة .

دينار . فقال :والله مازلت جاهداً فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذى أتيت فيه . قال : هل كنت بعثت إلى بشىء ؟قال أخبرك أنى لم أجد مركباً قبل الذى جئت فيه . قال : فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة فانصرف بالألف الدينار راشداً)

يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين : فعن أبى قتادة –رضى اللهعنه – قال : قال رجل : يا رسول الله ، أرأيت إن قتلت فى سبيل الله أتكفر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله – ﷺ – نعم ، إن قتلت و أنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر؟! ثم قال: كيف قلت ؟! فأعاد قال نعم إلا الدين ، فإن جبريل أخبرنى بذلك [١] وفى رواية (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين)[٢] .

وفاء أبى بكر الصديق :

فعن جابر – رضى الله عنه – قال : قال لى النبى– ﷺ – «لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا و هكذا و هكذا فلم يجىء مال البحرين حتى قبض النبى – ﷺ – فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر – رضى الله عنه – فنادى : من كان له عند رسول الله – ﷺ – عدة أو دين فليأتنا ، فقلت لهم : إن النبى ﷺ قال لى كذا وكذا فحثى لى حثية فعددتها فإذا هى خمسمائة فقال لى خذ مثليها» [٣] .

٤ – الوفاء و البر بالقسم: من حلف على يمين فقد وجب عليه أن يوفى بهذا القسم إلا أن يكون قد أقسم على إثم أو قطيعة رحم ، وفى الحديث : «من حلف على يمين فرأى خيراً منها فليكفر عن يمينه و ليفعل الذى هو خير» [٤] .

ولا يصح أن يُصِّر الإنسان على البر بالقسم والوفاء به إذا كان الحنث هو الأفضل ، وفى الحديث «لأن يلج أحدكم يمينه فى أهله آثم له عند الله تعالى من أن يعطى كفارته التى افترض الله عليه» [٥] .

٥ – الوفاء بأجر الأجير : ففى الحديث القدسى « ثلاثة أنا خصمهم يوم

---

(١) ، (٢) رواهما مسلم .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه البخارى .

القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حراً ثم أكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره » [1] .

٦ - الوفاء بين الزوجين : فعقد الزواج هو أقدس العقود التى يعقدها الإنسان، فهو عهد رَبَطَ الله به بين رجل وامرأة، أصبح كل منهما زوجاً للآخر لأنه يمثله ويحمل معه آماله وآلامه.

يقول الله تعالى : ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ** ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

ولهذا كان على كلا الزوجين أن يكون وفياً للآخر؛ وفياً له فى أداء حقوقه كاملة، وفياً له بحفظه لأسراره .

يقول تعالى : ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

وفى الحديث الشريف : «أيما رجل تزوج امرأة - على ما قل من المهر أو كثر - ليس فى نفسه أن يؤدى إليها حقها ، خدعها ، فمات ولم يؤد إليها حقها لقى الله يوم القيامة وهو زان ! وأيما رجل استدان ديناً، لا يريد أن يؤدى إلى صاحبه حقه، خدعه حتى أخذ ماله، فمات ولم يؤد إليه دينه لقى الله وهو سارق » [2] .

وفاء الرسول - ﷺ - للسيدة خديجة - رضى الله عنها - :

ضرب الرسول - ﷺ - المثل الأعلى فى الوفاء بحقوق الزوجية، فوفائه للسيدة خديجة - رضي الله عنها - لم ينته بوفاتها، بل ماتت خديجة ولكن ذكراها لم تمت فى نفس رسول الله - ﷺ - لقد ظل وفيا لها طوال حياته، يحن لذكراها ويهش لأهلها، ويكرم صديقاتها، حتى أن عائشة - أحب أزواجه إليه بعدها - لتغار منها فى قبرها، قالت : كان رسول الله لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوما من الأيام فأخذتنى الغيرة

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة : أعطى بى أعطى الأمان باسمى ثم غدر، استوفى منه : استوفى العمل .

(٢) رواه الطبرانى .

فقلت: هل كانت إلا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها؟! فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال: لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها، آمنت بى إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء قالت عائشة: فقلت فى نفسى لا أذكرها بعدها بسيئة.

ومن وفائه - ﷺ - لخديجة أنه كان يكرم صديقاتها بعد موتها؛ فقد زارت النبى - ﷺ - امرأة عجوز فى بيت عائشة - رضى الله عنها - فأكرم مثواها وبسط لها رداءه فأجلسها عليه، وبالغ فى الحفاوة بها، فلما انصرفت سألته عائشة لتعلم سبب إكرامه لها فأخبرها أنها كانت تزور خديجة.

* * *

وفاء الدعاة إلى الله

الدعاة إلى الله - عز وجل - إنما سلكوا هذا الطريق انطلاقا من إيمانهم العميق بفرضية هذا الأمر، ومن ثم فلابد أن يكونوا أوفياء لهذه الدعوة، ومن وفائهم لهذه الدعوة ألا يدخروا وسعا فى تبليغها للناس، فالدعاة الصادقون الأوفياء هم الذين يعيشون همومها ليل نهار، فهى تملأ عليهم حياتهم، ويعيشونها ويعيشون بها، ويعيشون لها. يبتكرون الوسائل التى يصلون بها إلى الناس، وضرب لنا نوح - عليه السلام - المثل فى تنويع الوسائل الدعوية، فقال الله تعالى على لسانه - عليه السلام -: ﴿ **وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾ [نوح: ٧ : ١٢].

* * *

نماذج من الدعاة الأوفياء

أولا : وفاء الرسول محمد - ﷺ -

١ - وفاء الرسول - ﷺ - لعمه أبى طالب :

لقد كان أبو طالب بمثابة الدرع الواقى لرسول الله - ﷺ - ، فكان يحوطه ويمنعه، نافح عنه ودافع، دخل معه الشعب، وتحمل معه شدة الحصار؛ ولم يتجرأ المشركون على الرسول - ﷺ - إلا بعد موت أبى طالب . فهو الذى قال للرسول ﷺ - : (اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشىء أبداً وأنشد قائلاً :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسَّد فى التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر وقر بذلك منك عيونا [1]

فهل ينسى الرسول - ﷺ - كل هذا لأبى طالب؟!

إن الوفاء من شيم الرجال، فكيف إذا كانوا دعاة إلى الله - عز وجل -؟!

فكيف إذا كان هذا مع سيد الدعاة - محمد ﷺ - ؟!

فأراد الرسول - ﷺ - أن يرد الجميل لعمه، فبذل قصارى جهده ليدخله فى الإسلام، ففى الصحيح [2] «أن أبا طالب لمَّا حضرته الوفاة دخل عليه النبى - ﷺ - وعنده أبو جهل، فقال : أى عم، قل : لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية : يا أبا طالب : ترغب عن ملة عبد المطلب ! فقال النبى - ﷺ - لأستغفرن لك ما لم أنه عنك . فنزلت ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ [التوبة : ١١٣] ونزلت : ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾ [القصص : ٥٦]

---

(١) الرحيق المختوم لصفى الرحمن المباركفورى ص ٩٥ .

(٢) صحيح البخارى .

٢ – وفاء الرسول – ﷺ – لفاطمة بنت أسد زوجة أبى طالب :

فاطمة بنت أسد زوجة أبى طالب؛ آمنت بالله ورسوله وحسن إسلامها، كانت من أكثر الناس وفاء لرسول الله – ﷺ – فكانت تطعم محمدا قبل أولادها – حينما كان فى رعاية أبى طالب – وتقوم على راحته وخدمته .

روى الحافظ أبو نعيم : أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد – وهى زوجة أبى طالب – وبعد ما حفر لحدها وقبل أن ينزل جثمانها كان النبى – ﷺ – يحمل نعشها بنفسه، وكان يتأخر ثم يتقدم إلى أن جىء بالجثمان إلى مقره الأخير وبعد حفر اللحد، نزل النبى لحدها وخلع قميصه وبسطه فى القبر ثم أضجع فى قبرها، وبعد ذلك دفنت فاطمة، فقيل يا رسول الله : لم فعلت ذلك؟ فقال : حتى لا تمس النار جسدها، وليوسع الله فى قبرها، وما عفى أحد من ضمة القبر إلا فاطمة بنت أسد » .

٣ – وفاء الرسول – ﷺ – للمطعم بن عدى :

لما أراد الرسول – ﷺ – أن يدخل مكة بعد رجوعه من الطائف أرسل إلى الأخنس بن شريق ليدخل فى جواره فرفض، وأرسل إلى سهيل بن عمرو فرفض، فأرسل إلى المطعم بن عدى فأجابه على ذلك، ووقف موقفا مشرفا، حيث سلم بنيه جميعا، وحضر بهم إلى الكعبة بالسلاح معلنا إجارة محمد بن عبد الله، حيث دخل رسول الله – ﷺ – وزيد بن حارثة فطافا بالكعبة بحماية السلاح، ومضى إلى بيته – ﷺ – بحمايتهم كذلك، وكان له موقف آخر مشرف : وهو دوره الذى قام به فى نقض صحيفة المقاطعة، حيث اجتمع هو وزهير بن أمية بن المغيرة، وهشام بن عمرو بن الحارث، وأبو البخترى بن هشام، وزمعة بن الأسود؛ وتعاهدوا على نقض الصحيفة وبالفعل نجحت خطتهم فى نقض الصحيفة، وكان مما قاله المطعم بن عدى فى ذلك « نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها » وكان المطعم ابن عدى أول من قام ليشق الصحيفة .

فهل من الوفاء أن ينسى الرسول ﷺ هذه المواقف .

لقد حفظ رسول الله – ﷺ – هذا الصنيع للمطعم بن عدى . فقال فى أسرى بدر « لو كان المطعم بن عدى حيا لوهبت له هؤلاء النتنى ، يقول الشيخ منير محمد الغضبان فى كتاب « المنهج الحركى للسيرة النبوية » : وكم نحن

بحاجة إلى أن نفقه هذا المعنى فى حركتنا الإسلامية المعاصرة؛ إن المطعم بن عدى كافر لا يختلف فى عقيدته أبدا عن بقية قريش. وإن أبا جهل وأبا لهب كافران كذلك مثل المطعم بن عدى. لكن الفرق بين النوعين واضح: كافر مسالم مناصر للمسلمين، وكافر عدو محارب. ورسول الله - ﷺ - هو الذى يطلب هذه الإجارة وهذه النصرة. وينتقل فى مكة تحت حماية السيوف الكافرة. وها هو عليه الصلاة والسلام يعلن أنه سيطلق سراح سبعين كافرا من صناديد قريش لو طلبهم منه المطعم بن عدى الكافر! إن الرسول - ﷺ - يربينا على أن نرد المعروف لأهله ولو كانوا كفارا، ويعلمنا أن نحفظ الود لأهله. ولو كانوا عبدة أصنام وأوثان، ويربينا كيف نفرق بين العدو الذى يحمينا وبين العدو الذى يقتلنا».

* * *

ثانيا: وفاء إبراهيم عليه السلام

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ [النجم: ٣٧].

ووفاء إبراهيم عليه السلام يعني قيامه بما التزمه مع الله - عز وجل - من إدعاء الإسلام حيث قال له ربه: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣١]

فوفى إبراهيم بهذا الالتزام، بأن انقاد وامتثل لأمر الله ونهيه دون اعتراض، وظهر ذلك جليا فى تنفيذه لأمر الله مناما بذبح ابنه إسماعيل، فما تردد! وما تلكأ! وما سوف! وما ذهب ليبحث له عن مخرج ومهرب من تنفيذ الأمر الذى يحقق حقيقة الإسلام. ولكن انقاد وامتثل وبادر!!! ومن وفائه والتزامه بمعنى الإسلام، إن أدى أوامر الله كما أرادها الله - تعالى - ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

ومن صور الوفاء أيضا: رفعه للقواعد من البيت هو وابنه إسماعيل ليكون البيت مثابة للناس وأمنا، وليأتى الناس من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم. ومن وفائه كذلك: هجرته وتنقله لنشر دعوة الله - عز وجل - وتضحيته بكل شىء فى سبيل ذلك.

(١٠) الشـــجاعة

وهى قوة فى النفس ينشئها الإيمان الصادق، بثبات القلب والثقة بالله، فيخلوا القلب من الوهن الذى هو حب الدنيا وكراهية الموت . وإنما تنشأ هذه القوة فى النفس نتيجة حب الله – عز وجل – حباً صادقاً تهون أمامه الصعاب، وتُحتقر أمامه زخارف الحياة الدنيا، وتصغر أمامه كل العظائم . يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

ويقول تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ [الكهف : ٤٦] .

وإنما يكون الهلع والجبن داخل النفس نتيجة خوف الإنسان على أجله، ورزقه، كما يكون نتيجة حب الدنيا ونسيان الآخرة، ومن ثم كراهية الموت . وقد طمأن الله – عز وجل – الإنسان على أجله ورزقه .

يقول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾ .

[آل عمران : ١٤٥]

وقال : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] .

وقال : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ٥١] .

وقال : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [النساء : ٧٨] .

فكل هذه الآيات وغيرها تُطمئن الإنسان على أجله، وتبين له أن ما قدَّره الله – عز وجل – سيدرك الإنسان لا محالة ، فلمَ الخوفُ؟! ولمَ الهلعُ؟! ولمَ الانهيارُ الداخلى؟! ولمَ الهزيمة النفسية؟!

يقول صاحب الظلال : (إن لكل نفس كتاباً مؤجلاً إلى أجل مرسوم . ولن تموت نفس حتى تستوفى هذا الأجل المرسوم (فالخوف والهلع، والحرص والتخلف، لا نفس حتى تستوفى هذا الأجل المرسوم « فالخوف والهلع، والحرص والتخلف، لا تطيل أجلا . والشجاعة والثبات والإقدام والوفاء لا تقصر عمرا . فلا كان الجبن، ولا نامت أعين الجبناء والأجل المكتوب لا ينقص منه يوم ولا يزيد !) . . . انتهى .

ويطمئن الله – عز وجل – الإنسان على الرزق ، فيقول – تعالى – : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦] ويزيد الإنسان اطمئنانا على رزقه فيبين له أن مصدر التحكم فى الرزق واحد، وهو ليس مصدرا أرضيا ولكنه فى السماء !!

يقول تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢ ، ٢٣] .

ويهون الله من كيد الكائدين، ومن تهديد المتجبرين، وأنهم ليسوا أهلا لأن يحسب لهم أى حساب .

ويقول : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

ويقول : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

● **أفضل الشجاعة :**

وأفضل الشجاعة الصراحة فى الحق، وكتمان السر وحفظه، والإقرار بالخطأ والاعتراف به، والإنصاف من النفس والانتصار للغير منها وملكها عند الغضب . وفى الحديث « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » [1] .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة .

ويقول عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – : «بايعنا رسول الله – ﷺ – على السمع والطاعة فى العسر واليسر، والمَنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بَواحاً، عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم» [1] .

● **الفرق بين الشجاعة والتهور :**

إذا كانت الشجاعة ثبات الإنسان على الحق، والجهر به، معَ ثقة القلب بالله وطمأنينته إلى معية الله، فإن التهور يعنى الاندفاع إلى الفعل كرد فعل آخر، وذلك دون دراسة لأبعاد الأمور، أو معرفة وتقدير لعواقبها؛ وإنما يكون ذلك نتيجة ثورة عضبية، أو عاطفة حماسية غير موجهة ولا منضبطة .

* * *

صور من الشجاعة

١ – **عن أبى بكر بن أبى موسى الأشعرى قال** : سمعت أبى – رضى الله عنه – وهو بحضرة العدو يقول : قال رسول الله – ﷺ – : إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف، فقام رجل رث الهيئة فقال : يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله – ﷺ – يقول هذا؟ فقال : نعم . فرجع إلى أصحابه فقال : أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فالقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب حتى قتل» [2] .

٢ – **الإنصاف من النفس** : عن جبير : أن نفرا قالوا لعمر بن الخطاب : والله ما رأينا رجلا أقضى بالقسط ولا أقول بالحق ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، فأنت خير الناس بعد رسول الله – ﷺ – قال عوف بن مالك : كذبتم والله، لقد رأيت بعد رسول الله خيرا من عمر، أبا بكر . قال عمر : صدق عوف وكذبتم، ولقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك وأنا أضل من بعير أهلى (يعنى قبل أن يسلم) [3] .

---

(١) رواه مسلم .   (٢) رواه مسلم .

(٣) من كتاب (مواقف تاريخية حاسمة) للأستاذ أنور الجندى .

٣ – لما دنا المشركون يوم بدر، قال رسول الله – ﷺ – لأصحابه «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فقال عمير بن الحمام الأنصارى يا رسول الله: جنة عرضها السماوات والأرض؟! قال: نعم قال بخ بخ قال رسول الله: وما يحملك على قول بخ بخ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها! قال فإنك من أهلها.. فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن. ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه، إنها لحياة طويلة، فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم وهو يقول:

ركضا إلى الله بغير زاد　　إلا التقى وعمل المعاد

والصبر فى الله على الجهاد　　وكل زاد عرضة للنفاد

غير التقى والبر والرشاد

فما زال يقاتل حتى قتل!» (١).

٤ – قال عبد الرحمن بن عوف: (إنى لفى الصف يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن، فكأنى لم آمن بمكانهما، إذ قال لى أحدهما سرا من صاحبه: يا عم: أرنى أبا جهل، فقلت: يا ابن أخى ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه! وقال لى الآخر سرا من صاحبه مثله قال: فما سرنى أننى بين رجلين مكانهما.

فأشرت لهما إليه. فشدا عليه مثل الصقرين، فضرباه حتى قتلاه، وهما ابنا عفراء) (٢).

شجاعة الرسول – ﷺ –:

كان رسول الله – ﷺ – أشجع الناس، لا يبالى بكثرة العدد، ولم يفر من عدو قط، ولم يدبر منهزما قط. يقول على بن أبى طالب: كنا إذا اشتد البأس

---

(١) رواه أحمد – بدون الأبيات – وأخرجه مسلم والحاكم، كلهم عن أنس والأبيات عزاها ابن كثير لابن جرير الطبرى.　　(٢) متفق عليه.

وحميت الحرب اتقينا برسول الله - ﷺ - فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتنا يوم بدر نلوذ برسول الله - ﷺ - وهو أقربنا إلى العدو - ولقد كانت الصحابة تقول إن الشجاع منا للذى يقوم بجانبه يستتر به، وقيل لأنس: أفررتم يوم حنين عن رسول الله - ﷺ - فقال: لكن رسول الله لم يفر، ثم قال: لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبى - ﷺ - يقول:

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلبْ

وقال العباس بن عبد المطلب: لما التقى المسلمون والكفار يوم حنين ولى المسلمون مدبرين فطفق النبى - ﷺ - يركض بغلته نحو الكفار؛ قال ابن عباس وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع.

شجاعة أبى بكر الصديق - رضى الله عنه -:

وتظهر شجاعة أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - جلية في حرب المرتدين وما نعى الزكاة، إذ أنه وقف صامدا صلبا قويا واثقا بمعية الله - عز وجل - فى الوقت الذى كان المسلمون كالغنم فى الليلة المطيرة، حتى قال بعض المسلمين له: يا خليفة رسول الله، لا طاقة لك بحرب العرب جميعا.. الزم بيتك، وأغلق بابك؛ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين!!! ولكن الرجل البكاء اللين، الرقيق، رحيم القلب، ينقلب فى لحظة إلى أسد ثائر، يصيح فى عمر بن الخطاب: أجبار فى الجاهلية، خوار فى الإسلام؟ لقد تم الوحى واكتمل... أفينقص الدين وأنا حى؟ والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله - ﷺ - لقاتلتهم عليه».

شجاعة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -:

حياة عمر تنم عن شخصية قوية لا تهاب أحدا، ولا تكتم حقا، ويظهر هذا منذ بداية إسلامه، حيث قال: يا رسول الله: علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل؟! فقال رسول الله - ﷺ - إنا قليل وقد رأيت ما لقينا..

فقال له عمر: والذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بكفر إلا جلست فيه بالإيمان؛ ثم خرج الرسول - ﷺ - إلى الكعبة فى صفين من المسلمين فى أحدهما حمزة وفى الآخر عمر. وعندما أراد أن يهاجر أعلن على الملأ من قريش: من شاء أن تثكله أمه، وييتم ولده فليلقنى خلف هذا الوادى، فما استطاع أحد أن يتتبعه. ونرى هذه الشجاعة واضحة فى تعامله مع المنافقين والمشركين.

* * *

شجاعة الدعاة إلى الله

يقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وتبليغ رسالات الله وخشيته وحده يكون بأمور منها:

١ - عدم التحرج من اتباع منهج الله والدعوة إليه: فلا يجد الداعية فى صدره حرجا فى أن يكون مخالفا لما عليه المجتمع، ما دام يمثل المجتمع الربانى الذى يدعو الناس إليه، فلا يخفى الداعية تمسكه بجزئية من جزئيات هذا الدين، أو يترك الدعوة إليها خجلا!! أو استحياء!! أو خوفا أن يتهم بالرجعية!! بل يصدع بالدعوة إلى منهج الله وهو يرفع رأسه استعلاء بالإيمان واعتزازا بالانتساب إلى الدعوة. يقول الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢ : ٣].

٢ - الصدع بالحق فى المواضع التى لا يصح فيها كتمان الإيمان: وهى الحالات التى لا يمكن للداعية أن يخفى فيها هويته الدعوية، بل شجاعته فى تبليغ الدعوة تتطلب منه الصدق بالحق، إذا أن قضية الإيمان والعقيدة حينها تكون فى خطر، ومن أمثلة ذلك:

(أ) مؤمن آل فرعون: يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ

﴿ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (١) [غافر: ٢٨] .

فالرجل يكتم إيمانه إلى أن جاء الوقت الذى لابد فيه من الكلام، إذ علم أن الملأ يأتمرون بموسى ليقتلوه، فأخذ فى البداية يتبنى قضية الحق ولكنه يمسها من بعيد، إلى أن جاءت اللحظة التى لابد فيها من الكشف الكامل عن الهوية إذ لا بديل عن ذلك يقول الله تعالى على لسانه: ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤١ : ٤٤] .

(ب) مؤمن آل يس: يقول الله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ * قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس: ١٣ : ١٩] .

وهنا يعلن أهل الباطل عن استعدادهم لاستخدام كل الأساليب والطرق التى يسكتون بها أصوات الدعاة، أو يتخلصون بها منهم نهائيا. وفى هذه اللحظة الحرجة: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ

(١) راجع قراءة سورة غافر كلها) .

تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾

[يس: ٢٠ : ٢٥]

يقول صاحب الظلال - رحمه الله - (فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعد ما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق ما يتحدث عنه فى مقالته لقومه. وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة فى ضميره فلم يطق عليها سكوتا، ولم يقبع فى داره، بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور؛ ولكنه سعى بالحق الذى استقر فى ضميره وتحرك فى شعوره، سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون. وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه فى دعوة قومه إلى الحق وفى كفهم عن البغى، وفى مقاومة اعتدائهم الأثيم الذى يوشكون أن يصبوه على المرسلين» . . . انتهى.

* * *

(١١) العــــــدل

المراد بالعدل :

أن يعطى كل ذى حق حقه بلا بخس ولا ظلم ولا إفراط ولا تفريط .

● **العدل هدف الرسالات السماوية :**

يقول الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾ [الحديد : ٢٥] .

فالرسالات السماوية كلها، على اختلافها أزمانها وأماكنها، إنما جاءت لتقر فى الناس مبادىء الحق والعدل، فهى تضع ميزانا واحد ا، و معيارا واحدا يقيس به الناس ، فلا محاباة لجنس على حساب آخر، ولا محاباة للون على آخر وإنما هذا الميزان كفيل بأن يقيم العدل بين الناس لأن منزله هو رب الناس جميعا،الذى لا يحابى أحدا على حساب أحد، ولا يحابى أمة على حساب أخرى ، إنما جعل للناس المنهج الذى يضمن لهم الحياة فى ظل الحق والعدل .

يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ** ﴾ [النحل :٩٠] .

ويقول : ﴿ **وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ** ﴾ [الرحمن :٧:٩] .

● **الله يحاسب الناس بالعدل :**

يقول الله تعالى : ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾[الأنبياء:٤٧] .

ويقول : ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المؤمنون:١٠١-١٠٢] .

فهى العدالة المطلقة التى لا تجعل التفاضل بين الناس قائما على أساس

النسب كما كان ذلك فى الدنيا حينما يعيش الناس فى ظل أى منهج غير منهج الله ويؤكد هذا المعنى رسول الله -ﷺ- حينما يقول لفاطمة رضى الله عنها : (اعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا) [١] .

ويقول - تعالى- فى الحديث القدسى : (يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا ، ياعبادى :كلكم ضال إلامن هديته فاستهدونى أهدكم، يا عبادى: كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم، يا عبادى: كلكم عار إلا من كسوته، فأستكسونى أكسكم يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفرلكم،يا عبادى: إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زادذلك فى ملكى شيئا، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فاعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادى : إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه [٢] » .

دعوة المظلوم مستجابة : يقول ﷺ : «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» [٣] .

ويقول أيضا : « دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء» .

ويقول الله تعالى: «وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين» [٤] .

ويقول : «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ قوله

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) رواه مسلم وأحمد .
(٣) رواه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن عباس .
(٤) رواه أحمد والترمذى وحسنه ، من حديث أبى هريرة .

تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١)
[هود:١٠٢]

ولله در القائل :

لا تظلمن إذاما كنت مقتـدرا فالظلم ترجع عقباه إلى النـدم

تنـام عينــاك والمظـلوم منتبـه يدعو عليـك وعين الله لم تنم

العدالة مع غير المسلمين:

المعيار الذى وضعه الله تعالى إنما وضعه لينعم به كل الناس، بل إن الله تعالى استأمن هذه الأمة على إقرار العدالة بين الناس، فهى المسئولة أمام الله – تعالى– عن إقرار قيم العدل والحق في الأرض ، يقول الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣] .

فلا يدفع الحب إلى المحاباة ، ولايدفع الكره إلى الظلم والجور.

يقـول تعـالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ .

[المائدة : ٨]

يقـول أنس– رضى الله عنه –: (كنا عند عمـر بن الخطاب إذ جاء رجل من أهل مصر، فقال : يا أمير المؤمنين: هذا مقام العائذ بك . قال مالك؟! قال : أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل فاقبلت فرسى . فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو فقال : فرسى ورب الكعبة فلما دنا منى عرفته، فقلت : فرسى ورب الكعبة . فقام إلىّ وضربنى بالسوط وهو يقـول : تأخذها وأنا ابن الأكـرمين؟! وبلغ عمـرو ذلك فخشى أن آتيك فحبسنى فى السجن فانفلت منه . فوالله ما زاد عمر على أن قال له : اجلس . ثم كتب إلى عمرو : إذا جاءك كتابى هذا فاقبل ومعك ابنك محمد ، وقال للمصرى : أقم حتى يأتيك فدعا عمرو ابنه فقـال : أأحدثت حدثا؟ أجنيت

(١) رواه البخارى ومسلم .

جناية؟ قال: لا. قال: فمال بال عمر يكتب فيك ؟ فقدما على عمر ، قال أنس: فوالله إنا عند عمر و إذا نحن بعمرو أقبل فى إزار ورداء ، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه ، فإذا هو خلف أبيه ؟ فقال : أين المصرى ؟ قال: هانذا قال: دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرمين.

فضربه حتى أثخنه، و نحن نشتهى أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين ، ثم قال ضعها على صلعة عمرو فوالله ماضربك إلا بفضل سلطانه. قال: يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى. قال: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه يا عمرو: (متى استبعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ ثم التفت إلى المصرى وقال: انصرف راشدا فإن رابك ريب فاكتب إلىَّ» .

وليس هذا الموقف من عمر - رضى الله عنه - موقفا فريدا لم يتكرر، وليس هذا نابعا من شخصية عمر، ولكن هذا ما استقر عليه العمل فى ساحات القضاء الإسلامى حينما أحسن التطبيق العملى لمنهج الإسلام، وبعد ذلك: (أن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - افتقد درعا له كانت أثيرة عنده (عزيزة عليه) غالية عليه، ثم ما لبث أن وجدها فى يد رجل من أهل الذمة (اليهود والنصارى) يبيعها فى سوق الكوفة .. فلما رآها عرفها وقال: هذه درعى: سقطت عن جمل لى فى ليلة كذا ..فى مكان كذا .. فقال الذمى: بل هى درعى وفى يدى يا أمير المؤمنين .. فقال على: إنماهى درعى لم أبعها من أحد، ولم أهبها لأحد حتى تصير إليك!! فقال الذمى بينى وبينك قاضى المسلمين فقال على: أنصفت، فهلُمَّ إليه .. ثم ذهبا إلى شريح القاضى، فلما صارا عنده فى مجلس القضاء، قال شريح لعلى - رضى الله عنه - ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال: لقد وجدت درعى هذه مع هذا الرجل، وقد سقطت منى فى ليلة كذا، وفى مكان كذا، وهى لم تصل إليه لا ببيع ولا هبة. فقال شريح القاضى للذمى: وماتقول أنت أيها الرجل؟ فقال: الدرع درعى وفى يدى ولا أتهم أمير المؤمنين بالكذب .. فالتفت شريح إلى على وقال: لا ريب عندى فى أنك صادق فيما

تقـوله يا أمـيـر المؤمنين ، وإن الدرع درعك ، و لكن لا بد لك من شـاهدين يشـهدان على صحة ما ادعيت . فقال على : نعم : مولاى قنبر وولدي الحسن يشـهدان . . فقال شريح ولكن شهادة الابن لأبيه لاتجوز يا أمير المؤمنين . فقال على : يا سبحان الله!! رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته! أما سمعت رسول الله – ﷺ – قـال : (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) فقال شريح : بلى يا أمير المؤمنين . . غير أنى لا أجيز شهادة الوالد لوالده . عند ذلك التفت على إلى الذمى وقال : خذها، فليس عندى شاهد غيرهما . . فقال الذمى ولكنى أشهد بأن الدرع لك يا أمير المؤمنين . . ثم أردف (أضاف) قائلا : ياالله . . أمير المؤمنين يقاضينى أمام قاضيه!! وقاضيه يقضى لى عليه !! أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . . اعلم أيها القاضى أن الدرع درع أمير المؤمنين وأننى أتبعت الجيش وهو منطلق إلى صفين فسقطت الدرع عن جمله الأورق فأخذتها فقال له على – رضى الله عنه – أما وإنك قد اسلمت فإنى وهبتها لك ووهبت لك معها هذا الفرس أيضا . . ولم يمض على هذا الحادث زمن طويل حتي شوهد الرجل يقاتل الخوارج تحت راية على فى يوم النهروان (معركة كانت بين على والخوارج) ويمعن فى القتال حتى كتبت له الشهادة » [1] .

ولم يقف العدل عندهم عند حد العدل فى الأمور المادية، بل تعدى ذلك إلى الأمور الأدبية والمعنوية . يقول عمر بن الخطاب لأبى موسى الأشعرى (سو بين الخصمين فى مجلسك و إشارتك، و إقبالك » !!

ويقف الإنسان مندهشا أمام ما حدث بين على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب وقد تحاكم علىّ أمام عمر وكان الخصم يهوديا، وكان عمر – كعادته – ينادى عليه قائلاً : يا أبا الحسن ، فلما ناداه فى هذه المرة و هو يتحاكم أمامه ظهر الغضب على وجه علىّ فظن عمر أن عليًا يتبرم من وقوفه مع اليهودى على قدم المساواة وعلى هو من هو :حسبا ونسبا وإيماناً وصدقاً .

قال عمر لعلى : أكرهت أن يكون خصمك يهوديا؟ فقال على – رضى الله عنه – : إنما غضبت لأنك لم تسو بينى وبين خصمى اليهودى إذ ناديته باسمه وناديتنى بكنيتى!!

---

(١) من كتاب « صور من حياة التابعين » للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا .

و يصف ضرار الصدائى : يصف أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه وما اتصف به من العدالة والإنصاف للرعية فيقول : (كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا، لا نكاد نكلمه لهيبته، ولا نبتدئه لعظمته، يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله، ولاييأس الضعيف من عدله .كان - والله - (غزير العبرة)، طويل الفكرة، يقلب كفه و يخاطب نفسه.

● التفريط فى العدل يؤدى بالأمة إلى الهلاك :

فالله - تعالى- إنما استخلف هذه الأمة لتقيم العدل بين الناس ، فإن هى تخلت عن هذه الرسالة، فإنها لم تعد صالحة للاستخلاف، بل يؤخرها الله لتكون فى مؤخرة الأمم و لهذا قالوا : (إن الدولة العادلة تبقى وإن كانت كافرة وإن الدولة الظالمة تفنى وإن كانت مسلمة) .

ويقول أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - (القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له) .فهو يقرر أن الظالم يكون ضعيفا فى ظل الحاكم العادل ، والضعيف يكون قويا لأنه صاحب حق يحميه الحاكم العادل.

و يبين الرسولﷺ أن استثناء بعض الناس من تطبيق الأحكام لاعتبار الفقر أو الغنى، أو الشرف أو الوضاعة ، هو نوع من الظلم الذى ينذر الأمة كلها بالهلاك والفناء. فعن عائشة - رضى الله عنها - أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله - ﷺ -؟ ثم قالوا من يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال : (إنما أهلك الذين من قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه و إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» [1] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة.

● **العدل الاجتماعى :**

عمل الإسلام على تقليل الفجوة بين الأغنياء والفقراء فشرع الوسائل التى من شأنها أن ترفع من شأن الفقراء، ومن الوسائل:

١- فرض الإسلام الزكاة لتؤخذ من الأغنياء وترد للفقراء فقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ .

[التوبة : ٦٠]

٢ – جعل الله للفقراء نصيبا من الفيء [١] قال تعالى: ﴿ **مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر : ٧] .

٣ – و لما بعث رسول الله – ﷺ – معاذ بن جبل –رضى الله عنه – إلى اليمن قال (إنك تأتى قوما أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لاإله إلا الله و إنى رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله – عز وجل – إفترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم و ليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة فى أموالهم ، تؤخذ من أغنيائهم و ترد إلى فقرائهم ،فإن هم أطاعوا لذلك فإياك و كرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » [٢] .

٤ – شرع الإسلام الكفارت ، مثل كفارة الظهار، و كفاره اليمين و غيرها .

٥ – حذر الله – تعالى– من عدم إطعام المسكين و عدم الحض على ذلك، فمن لم يطعم المسكين كان من أهل سقر المعذبين فى النار : ﴿ **قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ** ﴾ [المدثر : ٤٣ : ٤٤] .

---

(١) الفيء هو ما أخذه المسلمون من الكفار دون قتال .

(٢) رواه الجماعة عن ابن عباس .

وترك الحض على إطعام المسكين قرين الكفر بالله ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٤] .

و المجتمع الذى تضيع فيه الفئات الضعيفة مجتمع مذموم ﴿ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر :١٧ :٢٠] .

● العدل فى الرضا والغضب :

وذلك بأن يكون حكم الإنسان فى رضاه وفى غضبه سواء، فلا يكون عادلا بل محسنا فى حالة الرضا، ظالما جاحدا فى حالة الغضب، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٥٢] .

● العدل فى الشهادة :

وذلك بأن تؤدى الشهادة على وجهها الصحيح دون تزييف أو تزوير للحقائق، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ [الطلاق : ٢]

ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ [المائدة:٨]

● العدل مع النفس :

وذلك بالتوازن بين حق البدن : من الراحة والعناية والطعام والشراب، وحق الروح من الزاد الإيمانى والعبادات المحضة، ومن جانب آخر يوازن المسلم بين حق النفس وحق الله، وحق الأهل والأولاد، فلا يجعل حقا من هذه الحقوق يطغى على حق آخر فإن فى ذلك ظلما .

ويقول رسول الله ﷺ : «إن لبدنك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا»[1] .

---

(١) متفق عليه .

● **العدل بين الأولاد :**

ينبغي على الوالدين أن يعدلوا في معاملاتهم لأولادهم، فلا ينبغي لهم أن يفضلوا أحد الأبناء على الآخرين فيعطونه من الهبة أكثر مما يعطوا الآخرين، أو يخصونه بالعطية دون غيره من إخوته فإن ذلك يغرس بذور الحقد والكراهية في قلوب الأولاد فينشيء بينهم العداوة والبغضاء. وقديما ظن أخوة يوسف أن أباهم يفضل يوسف عليهم ويحبه أكثر منهم فكان ما كان من الكيد ليوسف ليتخلصوا منه !!

﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ** ﴾ [يوسف: ٧ : ٩] .

وقد روى الإمام مسلم – رحمه الله تعالى – بسنده عن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – قال : « تصدق على أبي ببعض ماله فقالت أمي عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله – ﷺ – فانطلق أبي إلى النبي – ﷺ – ليشهده على صدقته فقال له رسول الله ﷺ : « أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال : لا . قال : اتقوا الله واعدلوا في أولادكم فرجع أبي فرد تلك الصدقة » .

● **العدل بين الزوجات :**

فقد أباح الله تعدد الزوجات وجعل له قيدا لابد منه وهو العدل فيما يملك الإنسان العدل فيه، يقول الله تعالى : ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾ [النساء: ٣] .

أما الميل القلبي إلى إحداهن فهذا مما ليس للإنسان فيه إرادة، ما لم يبن على هذا الميل أمرا ماديا، يقول تعالى : ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [النساء: ١٢٩] .

أما أن يميل الإنسان إلى إحدى الزوجات فيغدق عليها من كل الخيرات ويحرم الأخريات فإن هذا ظلم حرمه الله، بل ينبغى عليه أن يعدل بينهن فى كل الأمور المادية.

* * *

عدل الدعاة إلى الله

إقامة الحق والعدل بين الناس هو الهدف الذى ينشده الدعاة إلى الله، وإقرار العدل بين الناس ووضع موازينه لهم هو الرسالة التى كلف الله بها الأمة، فإن أدتها فقد بلغت رسالة الله، وإلا فإنها مسئولة أمام الله عز وجل.

ولكى يقيم الدعاة إلى الله العدل بين الناس فلابد أن يكونوا هم أولاً من أهل العدل فينصفون غيرهم من أنفسهم، وينصفون أيضاً أنفسهم من أنفسهم!!

ويؤكد هذه المعانى ربعى بن عامر حينما أرسله سعد بن أبى وقاص قائد المسلمين فى معركة القادسية إلى رستم قائد جيش الفرس، فدخل عليه ربعى فى ثيابه الصفيقة الخشنة، راكباً فرسه القصيرة الهزيلة، وقد زيَّنوا مجلس رستم بالنمارق والزرابى والحرير واللآلىء الثمينة وعليه تاجه المرصَّع باليواقيت، ولم يزل ربعىّ راكبا فرسه حتى داس على طرف البساط ثم نزل عنها وربطها ببعض الوسائد، وتقدم وعليه سلاحه فقالوا: ضع سلاحك، فقال: إنى لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتمونى، فإن تركتمونى هكذا وإلا رجعتُ، فقال رستم: ائذنوا له.

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها برمحه. فقالوا له : ما جاء بكم إلينا؟ فقال: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضِيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام.

* * *

(١٢) الشـكر

الشكر هو الإقرار والاعتراف بما أنعم الله تعالى به على الإنسان وقيل: الشكر هو الثناء على المنعم بما أولاكه من معروف.

وقال أحد السلف: الشكر معرفة العجز عن الشكر.

وقال الجنيد: الشكر ألا ترى نفسك أهلاً للنعمة.

وقال أيضاً حينما سُئل عن الشكر: الشكر ألا يستعان بشيء من نعم الله على معاصيه.

وكان أبو المغيرة - رحمه الله - إذا قيل له كيف أصبحتَ يا أبا محمد؟ قال أصبحنا مُغرَقين في النعم عاجزين عن الشكر، يتحبب إلينا ربنا وهو غني عنا ونتمقتُ إليه ونحن إليه محتاجون.

* * *

أركان الشـكر

● **الركن الأول:**

الاعتراف بالنعمة باطناً: وذلك بأن يعتقد العبد اعتقاداً جازماً بأن الله - عز وجل - وحده هو الذى أسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فإذا ما اعتقد العبد هذا الاعتقاد رأى نفسه مقصِّراً فى شكر هذه النعم وإن قضى عمره كله فى شكرها. فقد جاء فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها: أن النبى ﷺ قام حتى تفطرت قدماه فقالت له - عائشة رضي الله عنها - أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟!

وقال النبى ﷺ لمعاذ: «والله إنى لأحبك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك» [١].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان وهو صحيح (راجع صحيح الجامع).

والقلب الذى يستقر فيه هذا الاعتقاد هو القلب الذى يصبر عند البلاء، إذ أنه يعتقد بأن هذه النعم فضل من الله، فإذا سلب إحداها فلا اعتراض على قضائه، لأنه سلب شيئاً هو له أصلاً ، فيتلقى القلب الشاكر قضاء الله وقدره بالرضا عن الله – عز وجل – .

● **الركن الثانى :**

التحدث بها ظاهراً: فنعم الله - عز وجل – على الإنسان أكثر من أن تُحصى، يقول الله تعالى : ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [النحل: ١٨] .

ويقول: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ [النحل : ٥٣] .

ويقول: ﴿ .... **وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ .

[الأنفال: ٢٦]

ويقول: ﴿ ... **وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [النحل: ١٤] .

ويقول: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [النحل: ٧٨] .

فهذه النعم وغيرها يجب على الإنسان أن يُحدِّث بها ليظهر فضل الله عز وجل عليه، ففى الحديث «التحدث بالنعم شكر وتركها كفر» [١] .

وكان السلف – رضوان الله عليهم – يستنطق بعضهم بعضاً بالشكر، فقد روى أن رجلين من الأنصار التقيا فقال أحدهما لصاحبه: كيف أصبحتَ؟ فقال: الحمد لله . فقال النبى ﷺ «قولوا هكذا» .

وروى أن رجلاً سلَّم على عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فرد عليه ثم قال له عمر: كيف أصبحتَ؟ قال: أحمد الله، فقال عمر: ذاك الذى أردتُ.

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند .

وقد دخل سفيان الثورى – رحمه الله – على جعفر الصادق – رضى الله عنه – وقال له : «علمنى يا ابن رسول الله مما علمك الله .. فقال له: «إذا تظاهرتْ النعم فعليك بالشكر وإذا تظاهرتْ الذنوب فعليك بالاستغفار، وإذا تظاهرتْ الغموم فقل : « لا حول ولا قوة إلا بالله » فخرج سفيان وهو يقول ثلاث .. وأى ثلاث .

● **الركن الثالث :**

الاستعانة بها على طاعة الله: فبقاء النعم التى مَنَّ الله بها على الإنسان مرهون باستخدامها فى طاعة الله ؛ وزوال هذه النعم محقق لا محالة بتسخيرها فى معصية الله ومحاربته بها.

يقول الله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ .

[إبراهيم: ٧]

ويقول: ﴿ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦] .

ويقول: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ .

[لقمان: ١٢]

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بنى إسرائيل أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم مَلَكاً فأتى الأبرصَ فقال: اى شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناس، فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى لوناً حسناً قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الإبل – أو قال: البقر – شك من الراوى – فأعطى ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها، فأتى الأقرع فقال: أى شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عنى هذا الذى قذرنى الناس، فمسحه فذهب عنه وأعطى شعراً حسناً. قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر: فأعطى بقرة حاملاً، وقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقال: أى شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلىَّ بصرى فأبصر الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره قال فأى المال أحب إليك؟ قال: الغنم،

فأعطى شاة والداً. فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم.

ثم إنه أتى الأبرصَ فى صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعتْ بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيراً أتبلغ به فى سفرى فقال: الحقوق كثيرة؛ فقال: كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟! فقال: إنما ورثتُ هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إنْ كنتَ كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنتَ، وأتى الأقرعَ فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد هذا فقال: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى فى صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الحبال فى سفرى، فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى؟ فقال: قد كنتُ أعمى فرد الله إلىَّ بصرى، فخذ ما شئتَ ودع ما شئتَ فوالله ما أجهدك اليوم بشىء أخذته لله عز وجل فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك».

وقال أحد العارفين: «ومن أعطى أربعاً لم يمنع من أربع: من أعطى الشكر لم يمنع المزيد، لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥] ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب لقوله ﷺ: «لا خاب من استخار ولا ندم من استشار».

شكر الجوارح: قال رجل لأبى حازم – وكان من العلماء الزاهدين: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ فقال: إن رأيتَ بهما شراً سترته وإن رأيتَ بهما خيراً أعلنته، قال فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعتَ بهما خيراً وعيته وإن سمعتَ بهما شراً دفعته، قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقاً لله هو فيهما، قال فما شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله طعاماً وأعلاه علماً، قال فما شكر الفرج؟ قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ

أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المعارج: ٢٩ : ٣١] .

قال: فما شكر الرجلين؟ قال: إن علمتَ ميتاً تغبطه استعملتَ بهما عمله وإن مقتَ رغبتَ عن عمله وأنت شاكر لله.

من لم يشكر الناس لم يشكر الله: ومن الشكر أن يشكر الإنسان من أجرى الله الخير على يديه، وفى الحديث «إن أشكر الناس لله تعالى أشكرهم للناس» (١) .

وفى الحديث أيضاً : «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» (٢) .

* * *

شكر الدعاة إلى الله

نعم الله – عز وجل – على الدعاة إليه تتميز عن نعمه على سائر خلقه، إذ أن من أجَلّ النعم التى أنعم الله بها عليهم ، أن اختارهم لأن يكونوا ورثة الأنبياء والمرسلين، وشرَّفهم بتبليغ دعوته، فهم لا يُنسبون لحزب من الأحزاب، ولا يعملون لجهة من الجهات ولكنهم يُنسبون إلى الله ويعملون لله، فهذه نعمة مَنَّ الله عز وجل بها عليهم دون غيرهم، ونت ثَمَّ فقد وجب عليهم شكر هذه النعمة.

والدعاة يعملون فى ميدانين: ميدان النفس، وميدان الدعوة؛ ومن ثَمَّ فإن لله عليهم نعماً فى ميدان النفس، ونعماً فى ميدان الدعوة؛ لذا فقد وجب عليهم أن يكون شكرهم لله مضاعفاً؛ فأما عن شكرهم فى ميدان النفس، فيجب عليهم ما يجب على كل المسلمين؛ وأما عن شكرهم لله فى ميدان الدعوة ففيه حالتان:

الأولى : حالة الاستضعاف: ويكون شكر الدعاة فى هذه الحالة بالرضا بما يُقدِّر الله من ابتلاءات، فلا يكفر الداعية بنعمة الدعوة عند أول ابتلاء.

---

(١) رواه أحمد بسند رواته ثقات . (٢) رواه الترمذى وصححه ، ورواه غيره .

الثانية : حالة التمكين: ويكون شكر الله فى هذه الحالة بالتواضع لله، وإرجاع الفضل فى ذلك إلى الله وحده، لا إلى براعة التخطيط!! ولا إلى دقة التنظيم!! ولا إلى عبقرية التفكير!! يقول الله تعالى - عن سليمان عليه السلام - ﴿ **قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾ [النمل: ٤٠] .

ويقول تعالى - عن إبراهيم عليه السلام -: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [النحل: ١٢٠ : ١٢١] .

* * *

(١٣) الصــــبر

الصبر هو حبس النفس على الطاعة الله، وحبسها عن معصيته، وحبسها عن الجزع عند النوازل .

● **فضـــله :**

١ – مدح الله الصابرين ووعدهم بالأجر العظيم فقال عز من قائل : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر: ١٠] .

٢ – وعد الله الصابرين بمعيته ونصره، فقال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال: ٤٦] .

٣ – جعل الله الإمامة في الدين ثمرة للصبر واليقين، فقال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [السجدة: ٢٤] .

٤ – أخبر الله تعالى أن الصبر خير لأهله وأفضل، فقال تعالى : ﴿ **وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ** ﴾ [النحل: ١٢٦] .

٥ – وأخبر الله تعالى بأن مع الصبر والتقوى لا يضر كيد الكائدين. فقال تعالى : ﴿ **وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ [آل عمران: ١٢٠]

٦ – علق الله – تعالى – الفلاح بالصبر والتقوى فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

٧ – أخبر الله تعالى عن محبته للصابرين فقال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٦] .

٨ – بشّر الله تعالى الصابرين بالصلاة عليهم والرحمة لهم والهداية، فقال عز من قائل : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ .

[البقرة: ١٥٥ : ١٥٧]

٩ - جعل الله الفوز في الآخرة جزاء الصبر في الدنيا فقال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١].

١٠ - خص الله - تعالى - أهل الصبر وأهل الشكر بالانتفاع بآياته تعالى فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٣].

الصبر قوة: ليس الصبر من معاني الضعف والهوان والاستسلام، ولكنه دليل على قوة الإنسان، قوته النفسية، وقوته الإيمانية والعقائدية، والبدنية. يقول الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وسُئل رسول الله ﷺ: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي على الأرض ما عليه خطيئة» (١).

وقال ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح، تصرعها مرة وتعدلها أخرى حتى يأتيه أجله. ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذبة على أصلها لا يصيبها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة» (٢).

● **سُنة الابتلاء:**

الابتلاء بالسراء والضراء سنة من سنن الله تعالى - في خلقه، فأحوال الإنسان متغيرة متقلبة، فهو اليوم فقير وغداً قد يكون غنياً، وهو اليوم مريض وغداً قد يكون صحيحاً، وهو اليوم ذو سلطان، وغداً يزول عنه سلطانه.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥: ١٥٦].

---

(١) رواه ابن حبان.
(٢) رواه مسلم، ومعنى انجعافها: قلعها.

● لـماذا يبتلى الله عباده :

قد يكون الابتلاء تكفيراً لسيئات الإنسان ومغفرةً لذنوبه وتعجيلاً للعقوبة له في الدنيا حتى يلقى الله – عز وجل – وقد أدى ما عليه.

فعن أنس رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة» (١).

وعن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نَصَبٍ (تعب) ولا وَصَبٍ ولاهمٍ ولا حزنٍ ولا أذى ولا غمٍ حتى الشوكة بشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه» (٢).

وقد يكون الابتلاء لرفع درجات العبد عند الله تعالى، ومن هذا المنطلق فإن الأنبياء هم أشد الناس بلاءً، ثم الأمثل فالأمثل، وعلى هذا فلا يعنى البلاء أنه انتقام من الله وغضب بل قد يكون رضى منه تعالى على العبد، وفى الحديث: «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط» (٣).

ويقول ﷺ: «من يُرِدُ الله به خيراً يُصب منه» (٤).

وفى الحديث أيضاً: «يَود أهل العافية يوم القيامة، حين يُعطى أهل البلاء الثواب، لو أن جلودهم كانت قُرِضَتْ بالمقاريض» (٥).

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى نبياً من الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – ضربه قومه فادموه وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون» (٦).

● الصبر الذى يُثيبُ الله عليه :

لا يتحقق أجر وفضل الصبر بمجرد نزول البلاء، ولكن الحد الأدنى من الصبر المقبول هو حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن النطق بما لا يرضى الله،

---

(١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن.
(٢) متفق عليه، والوَصَب: المرض.
(٣) رواه الترمذى وحسنة.
(٤) رواه البخارى.
(٥) رواه الترمذى.
(٦) متفق عليه.

وحبس القلب عن الاعتراض على قدر الله، وأعلى درجات الصبر هو الرضا المطلق، والاطمئنان الكامل بقدر الله، أما أن يتلقى العبد البلاء بالجزع والكفر والاعتراض على قضاء الله وقدره ثم بعد ذلك يقول أنا صابر!! فهذا ليس صبراً يُثيب الله عليه أهل البلاء، فعن أنس - رضى الله عنه - قال: مر النبى ﷺ على امرأة تبكى عند قبر فقال: «اتقى الله واصبرى» فقالت: إليك عنى فإنك لم تُصَبْ بمصيبتى، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبى ﷺ فاتتْ بابَ النبى ﷺ فلم تجده عنده بوأبين فقالت: لم أعرفك فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى» (١) .

وعن عائشة - رضى الله عنها - أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون: «فأخبرها أنه كان عذاباً يبعثه الله تعالى على من يشاء فجعله الله تعالى رحمةً للمؤمنين؛ فليس من عبد يقع فى الطاعون فيمكث فى بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتبَ الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد» (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: «ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضتُ صفيَّهُ من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة» (٣) .

شكوى العبد إلى الله : حديث العبد إلى الناس عن بلائه ومحنه على سبيل الضجر والشكوى يتنافى مع الصبر، ويُحبط ثوابه، أما شكوى العبد إلى الله تعالى فلا يتنافى مع كمال الصبر والرضا، فيعقوب عليه السلام بعد أن قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣] . قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ .
[يوسف: ٨٦]

وكذلك قول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] .

وقد قال الله تعالى عنه : ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾
[ص : ٤٤]

---

(١) متفق عليه .   (٢ ، ٣) رواهما البخارى .

وأما إذا كان كلام العبد عن بلائه ومحنه لطلب الدعاء له بذهاب الغم والنصب وليس على سبيل الشكوى، فهذا مما رُخص فيه. فعن عطاء بن أبى رباح قال: قال لى ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ فقالت: إنى أُصرع وإنى أتكشف فادع الله لى. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوتُ الله أن يعافيك. فقالت: أصبر. فقالت: إنى أتكشَّف فادع الله لى أن لا أتكشَّف فدعا لها» (١).

● **جزاء الصابرين فى الدنيا :**

قد يُعجّلُ الله للصابرين بعض الجزاء فى الدنيا فضلاً عما يدخره لهم فى الآخر.

فعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: «إنا لله وإنا إليه راجعون» اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا أخلفه الله خيراً منها، فلما مات أبو سلمة قلتُ: أى المسلمين خير من أبى سلمة؟، أول بيت هاجر إلى رسول الله - ﷺ - ثم إنى قلتها فأخلف الله لى رسول الله ﷺ» (٢).

وعن أنس - رضى الله عنه - قال: «كان ابنٌ لأبى طلحة - رضى الله عنه - يشتكى، فخرج أبو طلحة فقُبِضَ الصبىُ، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابنى؟ قالت أم سليم - وهى أم الصبى -: هو أسكن ما كان فقرَّبَتْ له العشاء ثم أصاب منها فلما فرغ قالت: واروا الصبى فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله - ﷺ - فأخبره. فقال: «أعرستم الليلة؟ قال: نعم، قال: اللهم بارك لهما فولدت غلاماً، فقال لى أبو طلحة: احمله حتى تأتى به النبى ﷺ وبعث معه تمرات. فقال «أمعه شيء؟» قال: نعم، تمرات، فأخذها النبى ﷺ فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها فى فىّ الصبى ثم حنكه وسماه عبد الله».

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) رواه مسلم ومالك فى الموطأ وأبو داود وابن ماجة.

وفى رواية للبخارى: قال ابن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيتُ تسعة أولاد كلهم قد قرءوا القرآن - يعنى من أولاد عبد الله المولود» [1] ولنا فى قصة أيوب - عليه السلام - العبرة والعظة ؛ فقد كان أيوب - عليه السلام - رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه، من الأنعام والعبيد والمواشى، وكان له أولاد وأهلون كثير، فابتلاه الله فى ذلك كله، فسلبه منه، وابتلاه فى جسده بأنواع البلاء، فصبر على كل ذلك واحتسب، وكان ذاكراً لله - عز وجل - في ليله ونهاره، وصباحه ومسائله ؛ فدعا ربه فعوَّضه الله عن أولاده وأمواله خيراً مما كان.

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣ : ٨٤].

ويقول: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤١ : ٤٤].

■ **أنواع الصبر :**

١ - الصبر على الطاعة : وهو أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، وذلك لأنه ما تركت طاعة إلا لاقتراف معصية، فيكون تركه للطاعة وعدم صبره عليها هو بداية الوقوع فى المعصية، ومن العبادات ما لا يصبر عليها العبد بسبب الكسل، مثل الصلاة، ومنها ما لا يصبر عليها بسبب البخل مثل الزكاة ومنها ما لا يصبر عليها بسبب الكسل والبخل مثل الحج، ومنها ما لا يصبر عليها بسبب الجبن والهلع مثل الجهاد فى سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وهذه العبادات إنما تحتاج إلى أن يصبر عليها العبد فى البداية حتى يتذوق

(١) متفق عليه.

حلاوتها، فإن تذوق حلاوتها، ووجد سعادته فيها عز عليه أن يتركها ؛ فهو لا يستطيع أن يصبر عنها، يقول الله تعالى : ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ [طه: ١٣٢] .

ويقول: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾ .

[البقرة : ٤٥]

٢ - **الصبر على المعاصي**: وهو صبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس ومجاهدة لها، ولاسيما مع الأسباب التي تدعو إلى موافقة النفس على المعصية ؛ كالشاب الذي يجد أمامه كل دواعي الفاحشة ؛ وأشد أنواع الصبر هو الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة، فاستساغها المجتمع، وربما عدَّها من المعروف الذي يجب الأمر به !!

فمخالفة المجتمع في هذه الحالة لا تكون بالأمر السهل، يقول ﷺ : « حُفَتْ الجنةُ بالمكاره وحُفَتْ النار بالشهوات » (١) .

٣ - **الصبر على النوازل** : وهي المصائب التي يبتلي الله بها عبده، كأن يسلب منه نعمة من نعمه عليه، ليبلوه أيصبر أم يجزع؟

يقول رسول الله ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن !! إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إنْ أصابته سَرَّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضَرَّاء صبر فكان خيراً له » (٢) .

ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: « ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضتُ صَفيَّه من أهل الدنيا ثم أحتسبه إلا الجنة » (٣) .

ويقول أيضاً: « ابن آدم: إن صبرتَ واحتسبتَ عند الصدمة الأولى لم أرض ثواباً دون الجنة » (٤) .

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه مسلم عن صهيب بن سنان .
(٣) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .
(٤) رواه ابن ماجه عن أبي أمامة عن النبي ﷺ وإسناده صحيح .

ويقول أيضاً: «إذا ابتليتُ عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة» [1] (وحبيبتاه: عيناه).

ويقول كذلك: «إذا ابتليتُ عبدى المؤمن ولم يشكُنى إلى عُوَّاده أطلقته من إسارى، ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، ثم يستأنف العمل» [2].

وكان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه: «أسألك من اليقين ما تُهوِّن علىَّ به مصائب الدنيا» [3].

ويقول ﷺ: «من يتصبر بصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر» [4].

* * *

صبر الدعاة إلى الله

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

[الأنعام: ٣٤]

ويقول: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٧ : ٩٩].

ويقول: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.

[الروم: ٦٠]

ويقول: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١].

---

(١) رواه البخارى عن أنس بن مالك.

(٢) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه الترمذى وحسنه، والنسائى، والحاكم وصححه.

(٤) رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى.

ويقول: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

[العنكبوت: ٢ : ٣]

ويقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وهذه الآيات وغيرها تؤكد على أن ابتلاء الله – عز وجل – للدعاة أمر لابد منه، حتى لا يظن أحد أن طريق الدعوة مفروش بالورود !! بل هو محفوف بالمكارة، لأنه طريق الجنة ؛ بل إن الابتلاء علامة السير فى الطريق الصحيح، ما لم يكن هناك تقصير فى الإعداد والتخطيط .

وعن مشقات الطريق يقول صاحب الظلال – رحمه الله – (إن مشقة الدعوة الحقيقية هى مشقة الصبر لحكم الله، حتى يأتى موعده، فى الوقت الذى يريده بحكمته . وفى الطريق مشقات كثيرة . مشقات التكذيب والتعذيب، ومشقات الالتواء والعناد، ومشقات انتفاش الباطل وانتفاخه، ومشقات افتتان الناس بالباطل المزهو المنتصر فيما تراه العيون . ثم مشقات إمساك النفس على هذا كله راضية مستقرة مطمئنة إلى وعد الله الحق، لا ترتاب ولا تتردد فى قطع الطريق، مهما تكن مشقات الطريق.. وهو جهد ضخم مرهق يحتاج إلى عزم وصبر ومدد من الله وتوفيق – أما المعركة ذاتها فقد قضى الله فيها، وقدر أنه هو الذى يتولاها، كما قدر أنه يملى ويستدرج لحكمة يراها . كذلك وعد نبيه الكريم، فصدقه الوعد بعد حين) [1] انتهى .

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٦٧١ .

فلابد من الصبر على الأذى وطول الطريق والثبات فى مواجهة الاستفزاز والتحدى، ولهذا أوصى رسوله فى ختام عدد من السور المكية بالصبر.

ففى آخر سورة يونس: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٩].

وفي آخر سورة النحل: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ .

[النحل: ١٢٧ : ١٢٨]

وفي آخر سورة الأحقاف: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وفي آخر سورة الطور: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور: ٤٨].

● **هل مطلوب من الداعية أن يستجلب البلاء ؟ :**

يقول د. عبد الكريم زيدان: «المطلوب من الداعية أن يدعو إلى الله على بصيرة، بالوسائل والكيفيات المشروعة التى بَيَّنها القرآن الكريم، وطبقها الرسول ﷺ، فإذا أدت هذه الوسائل إلى الأذى فعلى الداعية أن يتقبله بالصبر لا بالجزع وبالثبات لا بالفرار» [1] انتهى.

أما أن يكلف الداعية نفسه ما لا طاقة لها به، فيجلب عليها العنت والمشقة بحجة أنه يريد الابتلاء فى سبيل الله!! فهذا ما لا يؤيده القرآن ولا السنة المشرفة، بل إن السوابق التاريخية تقول غير ذلك فقد أمر الرسول ﷺ المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، ثم أمرهم بالهجرة إلى المدينة، وقد رخص الله تعالى فى النطق بكلمة الكفر عند الإكراه، وعلى هذا فإن الابتلاء ليس مقصداً ولا هدفاً فى حد ذاته إنما هو من لوازم السير فى الطريق الصحيح.

---

(١) أصول الدعوة.

■ **أهل الرخص وأهل العزائم :**

تحت وطأة الابتلاء الذى يتعرض له الدعاة على الطريق، يجنح البعض إلى الترخص ويميل البعض إلى العزيمة والثبات .

ولكن هناك بعض الرموز التى تكون فى موضع التأسى والاقتداء، لا تقبل منها الرخصة، بل لابد من الأخذ بالعزيمة لتترك معالم على الطريق للأجيال المتلاحقة، وعندما سجن الإمام أحمد بن حنبل فى محنته جاءه المروزى تلميذه، وقد طال به الإصرار على رأيه، والتعذيب فقال له : هؤلاء قدموك للضرب والله يقول : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ فقال : يا مروزى : اخرج فانظر، قال المروزى : فخرجتُ ونظرتُ فى وجه دار الخليفة فرأيتُ خلقاً كثيراً، والصحف والأقلام بين أيديهم، فقلتُ : أى شىء تعملون؟ قالوا : ننظر ما يقول أحمد فنكتبه، فرجع إليه وأخبره . فقال : أأضل هؤلاء!! كلا بل أموتُ ولا أضلهم، قال المروزى : (رجل هانتْ عليه نفسه فى سبيل الله) [1] .

● **هل القيادة الدعوية مسئولة عن حماية أفرادها ؟ :**

دور الداعية هو أن يبين للناس معالم الطريق، فإذا ما عرفوا الطريق حق المعرفة فهم مسئولون عن تحمل تبعاته وأعبائه، ولكن هذا لا يعفى القيادة من مسئوليتها على حسن التخطيط ودقة التنظيم، ولكنها بعد ذلك ليست مسئولة عن حماية الأفراد لأنهم لابد وأن يعرفوا طبيعة الطريق؛ فعن أبى عبد الله خباب ابن الأرت – رضى الله عنه – قال : « شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يرده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت

---

(١) من كتاب (مواقف تاريخية حاسمة) للأستاذ أنور الجندى .

لا يخاف إلا الله والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون » [1] فيبين لهم طبيعة الطريق ، وأنها لا تتغير، ولا تتبدل.

● **عربون الصبر :**

قد يرى الداعية نتيجة صبره وثمرته وهو على قيد الحياة، وقد لا يرى ثمرة صبره في الدنيا . فها هو يوسف عليه السلام بعد رحلة طويلة شاقة، وسلسلة طويلة من الابتلاءات، من محنة الجب إلى محنة النساء، ثم محنة السجن، ولكن كل هذه المحن لم تصرف يوسف عن دعوته، ولم تضعف من عزيمته، بل ما زادته إلا إصراراً على دعوته، فلم يمنعه السجن من تبليغ دعوته ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف: ٣٨ : ٤٠] .

لكن الله – عز وجل – أراد أن يجني يوسف ثمرة صبره وثباته، فخرج يوسف عليه السلام من السجن إلى سدة الحكم، من السجن إلى الوزارة!! وما ذلك إلا نتيجة تقواه وصبره: ﴿ **إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف: ٩٠] .

ومن الصحابة – رضوان الله عليهم – من مات في بداية الدعوة، ولم ير ثمرة جهاده وصبره، ومنهم من استُشهد ولقي ربه قبل أن يرى بريق النصر والتمكين ومنهم من قدَّر الله له أن يرى ثمرة جهاده وصبره.

* * *

(١) رواه البخاري .

(١٤) العـــــزة

يقول الراغب الأصفهاني في مفرداته: «العزة حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب» فقد يتعزز الإنسان بقوته، وقد يتعزز بماله، أو جاهه. وهذه أمور عارضة؛ والتعزز بها تعزز بأشياء فانية زائلة. فهذه الأحوال: من سنة الله تعالى في خلقه أن جعلها متقلبة، ومن ثَم فالتعزز بها ذل.

يقول تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

يقول الراغب – في مفرداته – معناه «من كان يريد أن يعز يحتاج أن يكتسب منه تعالى العزة فإنها له» انتهى.

فالإيمان بالله تعالى هو وحده الكفيل بأن يُكسب الإنسان العزة.

يقول الإمام أبو الأعلى المودودي – رحمه الله –: «ثم إن الإيمان بالله تعالى يرتفع بالإنسان من حضيض الذل والهوان إلى أرفع ما يكون من منازل الأنفة وعزة النفس. كأن من لم يعرف ربه يُطاطئ رأسه لكل شيء في الدنيا إذا رأى فيه نوعاً من العظمة والكبرياء أو القدرة على نفعه أو ضرره، فكان – على هذا – يخافه ويمد إليه يده بالاستعانة والاستجداء ويعلق به آماله وأمانيه، ولكنه لما عرف الله ربه، عَلِمَ عِلْمَ اليقين أن الذين كان يمد إليهم يده ويستعينهم في قضاء حاجاته، لا يقلون منه حاجة إلى معونة ربهم» [١] انتهى.

وعلى هذا فالعزة الحقيقية لا تكون إلا للمؤمنين لأنهم وحدهم الذين يستمدون العزة من الله ورسوله.

يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

يقول صاحب الظلال – رحمه الله –: «ويضم الله – سبحانه – رسوله

---

(١) من كتاب الإيمان.

والمؤمنين إلى جانبه، ويُضفى عليهم من عزته، وهو تكريم هائل لا يكرمه إلا الله! وأى تكريم بعد أن يوقف الله – سبحانه – رسوله والمؤمنين معه إلى جواره ويقول: «ها نحن أولاء! هذا لواء الأعزاء. وهذا هو الصف العزيز! وصدق الله. فجعل العزة صنو الإيمان فى القلب المؤمن. العزة المستمدة من عزته تعالى. العزة التى لا تهون ولا تهن، ولا تنحنى ولا تلين، ولا تزايل القلب المؤمن فى أحرج اللحظات إلا أن يتضعضع فيه الإيمان. فإذا استقر الإيمان ورسخ فالعزة معه مستقرة راسخة» انتهى.

● **الفرق بين العزة والكبر :**

فالعزة تكون بالانتساب إلى هذا الدين، والكبر يكون بالتعزز بالأشياء الفانية الزائلة يقول ﷺ: «من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبَّه الله لوجهه فى النار» (١).

وقال: «بينما رجل يمشى فى حُلة تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال فى مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة» (٢).

وذلك لأن المتكبر إنما يتخلق بخلق ليس له، إنما هو صفة لله وحده، يقول تعالى: ﴿ **فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [الجاثية: ٣٦ : ٣٧].

● **الاعتزاز بالانتساب إلى الإسلام :**

لا يوجد شىء يستحق أن يعتز به الإنسان فوق اعتزازه بالانتساب إلى هذا الدين. وقد قيل لسلمان الفارسى: يا سلمان: من أبوك؟ فقال: أنا ابن الإسلام. إن سلمان لم يكن من حسب وضيع ولا حقير، ولكن سلمان رأى أن شرف انتسابه إلى الإسلام يفوق كل شرف آخر.

وإنما ينال المسلم شرف الانتساب للإسلام ويعيش حياة العزة بالإسلام فى ظل العمل بما يقتضيه الإسلام، لا بمجرد الانتساب الوراثى!!

---

(١) رواه أحمد. (٢) رواه البخارى.

وقد روى ابنَ عبد البر عن الحسن قال: حضر جماعة من الناس بابَ عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - وفيهم سُهيل بن عمرو، وأبو سفيان بن حرب ومشايخ من قريش، فاذنَ عمر لصهيب وبلال وأهل بدر - وكان يحبهم - فقال أبو سفيان: ما رأيتُ كاليوم قط، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفتُ إلينا؛ فقال سُهيل بن عمرو - وكان أعقلهم - : «أيها القوم: إنى والله قد أرى الذى فى وجوهكم فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، إنهم دُعُوا ودُعينا (أى إلى الإسلام) فاسرعوا وأبطأنا، وهذا باب عمر فكيف التفاوتُ فى الآخرة؟! ولئن حسدتموهم على باب عمر فما أعد الله لهم فى الجنة أكبر».

وإنه لما خرج المسلمون لفتح مصر، رغب المقوقس فى المفاوضة، فأرسل إليهم وفداً ليعلم ما يريدون، ثم طلب منهم أن يبعثوا إليه وفداً منهم، فشكل عمرو بن العاص - قائد الجيش - وفداً قوامه عشرة مسلمين برئاسة عُبادة بن الصامت، وكان عبادة بن الصامت شديد السواد، فلما دخل الوفد على المقوقس تقدمهم عبادة، فأبى أن يكلمه رجل أسود، وقال لمن معه: نحوا عنى هذا الأسود، وقدموا غيره يكلمنى فقال الوفد جميعا: إن هذا الأسود أفضلنا رأيا وعلما، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا، وإنما نرجع إلى قوله ورأيه، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله، فقال المقوقس: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغى أن يكون دونكم؟

قالوا: كلا إنه وإن كان أسود كما ترى، فإنه من أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقة، وعقلاً، وليس يُنكَر السواد فينا».

وهكذا صنع الإسلام من عُبَّاد الحجر قادةً للبشر، رفعهم الإسلام إلى مكانة ما كانوا ليصلوا إليها لولا تمسكهم بالإسلام واعتزازهم به، ترى هل كان العرب الأجلاف الذين كان فيهم من يعمل لحساب الفرس، ومنهم من يعمل لحساب الروم، تُرى هل كان من الممكن أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه لولا الإسلام؟.

يقول عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : «كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزةَ فى غيره أذلنا الله» انتهى.

وقد ذاقتْ الأمة مرارة الذل يوم أن رأتْ أن تركها لدينها، وتنحيتها له عن الحياة يُحققُ لها العزة ويُذهبُ عنها الفقر وجهلت الأمة حقيقة عظيمة، وهى أن الإسلام هو روح العروبة، الروح التى تسرى فى جسدها فتحييها من موات، تحييها حياة العزة والأنفة، لا حياة الذلة والضعة. فالإسلام هو الذى أحيا الأمة أول مرة وأعزها، وهو الكفيل اليوم أن يعيدها إلى ما كانت عليه من العزة والقوة. يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾.

[آل عمران: ١٣٩]

يقول صاحب الظلال: «ولا تهنوا - من الوهن والضعف - ولا تحزنوا - لما أصابكم ولما فاتكم - وأنتم الأعلون.. عقيدتكم أعلى فأنتم تسجدون لله وحده، وهم يسجدون لشىء من خلقه أو لبعض من خلقه! ومنهجكم أعلى. فأنتم تسيرون على منهج من صنع الله، وهم يسيرون على منهج من صنع خلق الله! ودوركم أعلى. فأنتم الأوصياء على هذه البشرية كلها، الهداة لهذه البشرية كلها، وهم شاردون عن النهج، ضالون عن الطريق، ومكانكم فى الأرض أعلى، فلكم وراثة الأرض التى وعدكم الله بها، وهم إلى الفناء والنسيان صائرون.. فإن كنتم مؤمنين حقاً فأنتم الأعلون، وإن كنتم مؤمنين حقاً فلا تهنوا ولا تحزنوا» انتهى.

ومن ثَم فقد رفض الإسلام الذلة والهوان لأن ذلك يتنافى مع الإيمان.

فقد روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلتْ به فإنما يشكو الله تعالى، ومن تضعضع لغنى لينال مما فى يديه أسخط الله، ومن أعطى القرآن فدخل النار فأبعده الله» [1].

بل رفض القرآن حياة الاستضعاف إذا كانت نتيجة لسلبية المستضعفين

(١) رواه الطبرانى.

فيقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧] .

* * *

عزة الدعاة إلى الله

الدعاة إلى – الله تعالى – إنما ينالون الشرف والعزة بانتسابهم لهذه الدعوة، ولن ينال الدعاة العزة الحقيقية إلا إذا ملأتْ عليهم الدعوة حياتهم، فكانت قلوبهم متجردة لها، ولها فقط، حينئذ لن يُطأطئوا رؤوسهم لمخلوق أياً كان. ولن يكون ذلك إلا إذا استغنوا عن زينة الحياة الدنيا؛ وقد سأل رجل أهل البصرة عن سيدهم؟ فقالوا: الحسن البصرى! فقال: وكيف نال السيادة فيكم؟ قالوا: لقد احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم.

* * *

(١٥) القناعـــة

القناعـة: أن يرضى العبـد بما قـسم الله له من رزق، وبما وهب الله له من موهبة، لأنه يؤمن بعدل الله تعالى، وبحكمته فى توزيع الأرزاق، ولا يعنى ذلك الرضا بالدون، وإماتة الطموح إلى الرقى المادى والمعنوى!! وتقديس الفقر والجوع والحرمان !!!

وإنما تعنى القناعة: الاعتـدال فى طلب الرزق، فلا يُرهق الإنسان النفس والبدن معاً فيضيع حقوقاً كثيرة واجبة عليه، بل يجب أن يُجمِل العبد فى طلب الرزق، ومن الإجـمال فى طلب الرزق ألا يطلبـه إلا من الحلال المشروع وتعنى **القناعة أيضا**: ألا يتطلع الإنسان إلى ما عند غيره تطلع الحاقد الحاسد الذى يريد أن يجمع كل شىء لا تؤهله إليه قدراته ومواهبه.

إن الغنى هـو الغنى بنفســه ... ولو أنـه عارى المناكب حاف

ما كل ما فوق البسيطة كافياً ... وإذا قنعت فبعض شىء كاف

فعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، قال: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس» (١).

والمقصود بالعَرَض: هو المال بأنواعه.

وعن عبد الله بن عمر: - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنَّعه الله بما آتاه» (٢).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطى رضى، وإن لم يُعط لم يرض» (٣).

فلم يقل رسول الله ﷺ - تعس مالك الدينار!! ولكن قال: تعس عبد

---

(١) متفق عليه. (٢) رواه مسلم. (٣) رواه البخارى.

الدينار، مما يعني أن الملكية في حد ذاتها لا تتنافى مع القناعة، ولكن أن يكون الدينار متحكماً في الإنسان فهي العبودية للمال.

وعن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر كثرة المال هو الغنى؟ قلتُ: نعم. قال: وترى قلة المال هو الفقر؟ قلتُ: نعم يا رسول الله. قال: إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب» (١).

قال ابن حجر العسقلاني في فتح البَارى. قال ابن بطال: «معنى الحديث: ليس حقيقة الغنى كثرة المال، لأن كثيراً ممن وسَّع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتى فهو يجتهد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير لشدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى بما أوتى وقنع به ورضى ولم يحرص على الازدياد ولا ألح في الطلب، فكأنه غنى» انتهى.

وقال القرطبي: معنى الحديث: إن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس، وبيانه: أنه إذا استغنت نفسه كفَّتْ عن المطامع فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذى يناله من يكون فقير النفس لحرصه فإنه يورطه فى رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همَّته وبخله، ويكثر من يذمه من الناس، ويصغر قدره عندهم، فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل، والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعاً بما رزقه الله، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ولا يلح في الطلب ولا يُلحف فى السؤال، بل يرضى بما قسم الله له، فكأنه واجد أبداً، والمتصف بفقر النفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أعطى بل هو أبداً فى طلب الازدياد من أى وجه أمكنه، ثم إذا فاته المطلوب حَزِنَ وأَسِفَ، فكأنه فقير من المال لأنه لم يستغن بما أعطى فكأنه ليس بغني، ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره علماً بأن الذى عند الله خير وأبقى، فهو معرض عند الحرص والطلب، وما أحسن قول القائل:

---

(١) رواه ابن حبان.

غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة　　فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً

قال الحافظ ابن حجر: وإنما يحصل غنى النفس بغنى القلب، بأن يفتقر إلى ربه فى جميع أموره فيتحقق أنه المعطى المانع فيرضى بقضائه ويشكره على نعمائه ويفرغ إليه فى كشف ضرائه، فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى نفسه عن غير ربه تعالى » انتهى.

من يستعفف يعفه الله: اكتساب كل صفة من الصفات تكون بتكلفها وتصنعها فى البداية حتى تصير سجية للإنسان وصفة أصيلة فيه، فإذا أراد العبد أن يكتسب صفة القناعة فعليه أن يقلد القانعين الأعفَّاء حتى يصير قانعاً عفيفاً.

فعن حكيم بن حزام – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال: « اليد العليا خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله »[1].

وعن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: « من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل »[2].

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: « ليس المسكين الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفطن له فيتُصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس »[3].

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: « من يأخذ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟ فقال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله. فأخذ بيده فعد خمساً فقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن.
(٣) متفق عليه.

تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب »[1] .

وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : أوصنى وأوجز فقال : « عليك باليأس مما فى أيدى الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما يعتذر منه » [2] .

وسأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : ألستُ من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله : ألك امرأة تأوى إليها؟ قال : نعم . قال : ألك مسكن تسكنه؟ قال : نعم . قال : فأنتَ من الملوك » [3] .

ويقول ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » [4] .

ويقول عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – ما من يوم إلا وملك ينادى يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك .

وقال سعد بن أبى وقاص – رضى الله عنه – : يا بنى . . إذا طلبت الغنى فاطلبه فى القناعة فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس فإنك لم تيأس من شىء إلا أغناك الله تعالى عنه » .

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن رسول الله ﷺ قال : « سأل موسى ربه عن ست خصال كان يظن أنها له خالصة، والسابعة لم يكن موسى يحبها قال : يارب : أى عبادك أتقى؟ قال الذى يذكر ولا ينسى، قال فأى عبادك أهدى؟ قال : الذى يتبع الهدى . قال : فأى عبادك أحكم؟ قال : الذى يحكم للناس كما يحكم لنفسه . قال : فأى عبادك أعلم؟ قال : الذى لا يشبع من العلم بجمع علم الناس إلى علمه، قال فأى عبادك أعز؟ قال : الذى إذا قدر غفر . قال : فأى عبادك

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه الحاكم والبيهقى فى كتاب الزهد وقال الحاكم صحيح الإسناد .
(٣) رواه مسلم . (٤) متفق عليه من حديث ابن عباس .

أغنى؟ قال: الذى يرضى بما يؤتى. قال: فاى عبادك أفقر؟ قال: صاحب مبغوض، قال رسول الله ﷺ: ليس الغنى عن ظهر، وإنما الغنى غنى النفس، وإذا أراد الله بعبد خيراً جعل غناه فى نفسه وتقاه فى قلبه، وإذا أراد الله بعبد شراً جعل فقره بين عينيه» (١).

* * *

قناعة الدعاة إلى الله

الدعاة إلى الله تعالى - يحتاجون إلى أن تكون صفة القناعة متأصلة فيهم، حتى لا يسيل لعابهم لبريق الحياة الدنيا وزخارفها، فيتنازلون عن مبدأ، أو يتخلون عن منهج. فالداعية ينظر إلى القصور والخزائن والأموال لا نظرة المتطلع إليها، بل نظرة الذى ينظر تحت قدميه فيجد كل هذا فلا يعبأ به أن يطأه بقدميه.

وصفة القناعة فى الداعية تجعله فى موضع القوة دائماً، فهو لا يخاف على أن يفوته شىء من الدنيا، ولا يطمع فى أن يجمع شيئاً من حطامها.

وفى ذلك يقول الشافعى - رحمه الله - :

أنا إن عشتُ لستُ أعدم قوتاً   وإذا متُ لستُ أعدم قبراً

همتى همة الملوك ونفسى   نفس حر ترى المذلة كفراً

وإذا ما قنعتُ بالقوتِ عمرى   فلماذا أخاف زيداً وعمراً ؟

وهكذا يتحرر الداعية من كل قيود الأرض وجواذب الدنيا والمادة.

* * *

(١) أخرجه ابن حبان وإسناده حسن.

(١٦) الحيـــاء

الحياء خلق نبيل يبعث دوماً على ترك القبيح ويمنع من التقصير فى حق أصحاب الحقوق. وقال الجنيد – رحمه الله – الحياء رؤية الآلاء (النعم) ورؤية التقصير فيولد بينهما حالة تسمى حياء.

الحياء من الإيمان: إنما يكون الحياء أثراً من آثار الإيمان وثمرة من ثمراته، لأن الأخلاق – عموما تنبثق عن العقيدة.

يقول رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة – أو بضع وستون – فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» (١).

ومعنى ذلك أن الحياء أثر من آثار الإيمان. ويقول أيضا: «الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» (٢).

وإنما كان الحياء والإيمان قرناء لأن الحياء يمنع صاحبه عن اقتراف المعاصى والآثام؛ وذلك من حقيقة الإيمان، وكذلك إذا خلا القلب من الإيمان لم يستح صاحبه عن اقتراف المعاصى والآثام.

ويقول ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء فى النار» (٣).

● **الحياء خلق سامى يتميز به الإسلام**:

يقول ﷺ: «إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء» (٤).

وإنما كان الحياء خلق الإسلام، لأن جُلَّ الأخلاقيات الإسلامية تنتج عن الحياء، من الله، أو من الناس، أو من النفس.

---

(١) رواه الشيخان.
(٢) رواه الحاكم.
(٣) رواه أحمد.
(٤) رواه مالك فى الموطأ.

حياء الرسول ﷺ : يقول أبو سعيد الخدرى – رضى الله عنه – : « كان رسول الله – ﷺ – أشد حياء من العذراء فى خدرها، وكان إذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه فى وجهه » (١) .

الحياء خير كله : فالحياء ليس له حد يقف عنده – مادام حياء حقيقياً – فعن ابن عمر رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء، فقال رسول الله ﷺ : « دعه فإن الحياء من الإيمان » (٢) .

فكان الرجل يريد أن يقول لصاحبه : إن الحياء قد ضيع عليك حقوقاً فخفف من درجته ! !

وعن عمران بن حصين – رضى الله عنهما – قال رسول الله ﷺ : « الحياء لا يأتى إلا بخير » (٣) .

وقال : « الحياء خير كله » (٤) .

ويقول أيضا : « ما كان الفحش فى شىء إلا شانه، وما كان الحياء فى شىء إلا زانه » (٥) .

الحياء رمز الصلاح : فعن عائشة رضى الله عنها، أن رسول الله – ﷺ – قال لها : « لو كان الحياء رجلاً لكان رجلاً صالحاً، ولو كان الفحش رجلاً لكان رجلاً سوءاً » (٦) ..

وذلك لأن الحياء يدعو صاحبه إلى مكارم الأخلاق، وينهاه عن رذائلها والفحش طريق كل فساد، ومن ثَمَّ فإن نزع الحياء هو بداية الهلاك والعياذ بالله . كما جاء فى الحديث « إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً (مبغضاً) فإذا لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائناً مخوناً، فإذا لم تلقه إلا خائناً

---

(١) متفق عليه . (٢) متفق عليه . (٣) متفق عليه .
(٤) فى رواية لمسلم . (٥) رواه الترمذى . (٦) رواه الطبرانى .

مخوناً، نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيماً ملعناً، فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعناً نزعت منه ربقه الإسلام » (١) .

ويقول الفضيل بن عياض: خمس من علامة الشقوة: القسوة فى القلب، وجمود العين، وقلة الحياء ، والرغبة فى الدنياء، وطول الأمل.

وقال يحيى بن معاذ: من استحيا من الله مطيعاً، استحيا الله منه وهو مذنب.

الحياء من الله: وإنما يستحى العبد من الله إذا كان يستشعر مراقبته له واطلاعه على سره وعلانيته، يقول الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ** ﴾ .

[العلق : ١٤]

ويقول: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [النساء: ١] .

ويقول: ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾ [غافر: ١٩] .

ويقول بعض السلف: خف الله على قدر قدرته عليك، واستحى منه على قدر قربه منك.

فإذا ما استشعر الإنسان قرب الله منه، وعلمه بسره وعلانيته، انزجر عن حرمات الله، ووقف عند حدوده. فعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « استحيوا من الله حق الحياء، قلنا: إنا نستحى من الله يا رسول الله - والحمد لله - قال: ليس كذلك: الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » (٢) .

الحياء من الناس: ويكون ذلك بكف أذاه عنهم، ورعاية حقوقهم، كما يكون بترك المجاهرة بالقبيح؛ فالمرء إذا كملت مروأته استحيا من الناس، فعف

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه الترمذى .

لسانه، وصان جوارحه. ومن الحياء من الناس، أن يعرف لأصحاب الحقوق فضلهم، فيوقر كبيرهم، ويتواضع لعالمهم، ويخفض جناحه لمن هم دونه في الفضل، وفي الحديث «تواضعوا لمن تعلمون منه» (١) .

وكذلك «اللهم لا يدركني زمان لا يتبع فيه العليم، ولا يُستحيا فيه من الحليم» (٢) .

وأيضا قوله «إذا كنتَ في قوم فتصفحتَ وجوههم فلم تر فيهم رجلاً يهاب في الله - عز وجل - فاعلم أن الأمر قد رق» (٣) .

الحياء من النفس: ويكون ذلك بالعفة والطهارة، وصيانة الخلوات، وحسن السريرة، والشعور الدائم بمراقبة الله له في خلوته وجلوته.

الحياء المذموم: هناك بعض الصور يظن البعض أنها من الحياء، وهي ليست من الحياء في شيء، ومن هذه الصور:

١ - عدم طلب العلم بحجة الحياء من السؤال: فقد يمتنع الإنسان عن السؤال عن بعض الأمور ظناً منه أن هذا يتنافى مع الحياء. فعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: جاءت أم سُليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: «إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟ فقال: نعم، إذا رأت الماء» (٤) .

٢ - ترك فعل بعض الأمور المشروعة بزعم الحياء: فيترك بعض الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يترك قول الحق، أو يمتنع عن فعل بعض الأمور التي أباحها الشارع - سبحانه وتعالى - . فعن أنس رضي الله عنه قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تعرض عليه نفسها فقالت: هل لك حاجة فيّ؟ فقالت ابنته (ابنة أنس) ما أقل حياءها !!

---

(١) رواه الطبراني .
(٢) رواه أحمد .
(٣) رواه أحمد .
(٤) رواه البخاري .

فقال : هي خير منك، عرضتْ نفسها على رسول الله ﷺ »[1] .

ويقول ﷺ : «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت »[2] .

ولهذا الحديث توجيهان :

الأول : أن الأمر بأن يفعل الإنسان ما يشاء؛ على سبيل التهديد، فيكون المعنى : أن الإنسان إذا نزع منه الحياء فقد يفعل كل شيء دون خجل .

الثاني : أن الأمور المشروعة والتي لم ير الشارع فيها بأساً؛ ليس من الحياء الحق أن يتركها الإنسان، فيكون المعنى : إذا كان الأمر مشروعاً فلا تمتنع أن تفعله بحجة الحياء !!

* * *

حياء الدعاة إلى الله

حياء الدعاة إلى الله تعالى يجب أن يكون زائداً عن حد الحياء عند عامة الناس؛ فيجب أن يكون الدعاة أبعد الناس عن البذاء والفحش، لأنهم لا يمثلون أنفسهم بل يمثلون دعوة؛ فيجب أن يكونوا ممثلين حقيقيين لها .

ولكن من الحياء الزائف : أن يمتنع الداعية عن أمر غيره بالمعروف ونهيه عن المنكر حياءً منه !!

* * *

(١) رواه البخاري .　　(٢) رواه البخاري من حديث أبي مسعود .

(١٧) الإنفاق والسـخاء

● فضل الإنفاق فى سبيل الله :

١ - الإنفـاق يغسل العبـد من الذنوب: يقـول الله تعـالى: ﴿ **إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٧١] .

ويقول أيضاً : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ [التغابن: ١٦ : ١٧] .

ففى الآية الأولى يهيب الله تعالى بعباده لينفقوا علانية أو سراً، المهم أن يكون ذلك ابتغاء وجه الله، ليكون هذا الإنفاق جديراً بأن يُكفِّر الله به سيئات العبد .

وفى الآية الثانية يهيب الله بعباده لينفقوا فى سبيل الله ليطهروا أنفسهم من الشح، ثم يهيب بهم ليقرضوه أموالاً هى منة ومنحة منه لهم، يريد منهم أن يبذلوها فى سبيله ليضاعفها لهم وليغفر لهم بها .

٢ - من أنفق أنفق الله عليه: يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ** ﴾ [سبأ: ٣٩] .

فالله تعالى يخلف على عبده جزاء ما أنفقه، وليس لذلك صورة معينة يخلفها الله على العبد بل قد يكون ذلك فى صورة صحة يفيض الله بها على جسد العبد؛ وقد يكون فى صورة بركة فى الأهل، والولد؛ وقد يكون فى صورة دفع لسوء قد يصيب الإنسان؛ وقد يكون فى صورة طمأنينة النفس ورضاها عن الله، بل قد يكون أيضاً فى صورة زيادة المال ونمائه؛ وقد عُوتب عبد الله بن جعفر لكثرة عطائه وسخائه فقال: إن الله عودنى عادة وعودتُ خلقه عادة، فأخاف أن أقطع العادةَ فتنقطع العادةُ.

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

ويقول: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خَلَفاً ويقول الآخر اللهم أعط مُمسكاً تَلَفاً» (١).

وعنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: « أَنفق يا ابن آدم يُنفقْ عليك» (٢).

فكرم الله تعالى مبذول للكرماء، وعطاؤه جزيل لأهل العطاء، وإنفاقه تعالى يعم أهل الإنفاق.

وعن أبى أمامة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم: إنك إنْ تبذل الفضلَ خير لك، وإن تُمسكْهُ شر لك، ولا تُلامُ على كَفَاف، وأبدأ بمَنْ تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»(٣).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلُوَّهُ حتى تكون مثل الجبل» (٤).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض فسمع صوتاً فى سحابة: أسق حديقة فلان فتنحَّى ذلك السحاب فافرغ ماءه فى حَرَّة فإذا شَرجة من تلك الشراج قد استوعبتْ ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم فى حديقة يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذى سمع فى السحابة فقال له: يا عبد الله لِمَ

---

(١) متفق عليه. (٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم والترمذى، والفضل هو ما زاد على قدر الحاجة، والكفاف: ما كَفَّ عن الحاجة إلى الناس مع القناعة. (٤) متفق عليه ومعنى فلُوَّهُ: مُهره.

تسألنى عن اسمى؟ فقال : إنى سمعتُ صوتاً فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ فقال : أما إذ قلتَ هذا فإنى أنظر إلى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالى ثلثاً وأرد فيها ثلثه »[1] .

ويحذر رسول الله - ﷺ - السيدة أسماء بنت أبى بكر الصديق - رضى الله عنهما - فيقول : « لا تُوكى فيوكى اللهُ عليكِ »[2] .

ومعنى الحديث : لا تدخرى ما عندك وتمنعى ما فى يدك حرصاً وبخلاً، فيقطع الله عليك مادة الرزق .

٣ - **الكرم من شيم الإسلام** : فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أى الإسلام خير؟ قال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفتَ ومَنْ لمْ تعرف »[3] .

٤ - **الإنفاق يقى الإنسان من النار** : فعن عدى بن حاتم رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا النار ولو بشق تمرة »[4] .

٥ - **المنفقون يغبطهم الصالحون** : فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال : « لا حَسَدَ إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها »[5] .

٦ - **السخى قريب من الله** : فالمنفق بما يتعامل به مع الله من القرض، والإنفاق، قريب من الله، وبما يتعامل به مع الناس من الجود والعطاء : قريب من الناس، وبقربه من الله، وقربه من الناس يكون قربه من الجنة، وبعده عن النار، وفى الحديث : « السخى قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد عن النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، ولَجَاهل سخى أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل »[6] .

---

(١) رواه مسلم . والحَرة : الأرض التى بها حجارة سوداء، الشَرجة : هى مسيل الماء .
(٢) متفق عليه . (٣) متفق عليه . (٤) متفق عليه .
(٥) متفق عليه . (٦) رواه الترمذى .

● **سخاء رسول الله ﷺ :**

كان الكرم سجية لرسول الله ﷺ، فعن أنس رضى الله عنه قال : « ما سُئل رسولُ الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال : يا قوم : أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها » (١) .

وعن عائشة رضى الله عنها : أنهم ذبحوا شاة فقال النبى ﷺ : « ما بقى منها » قالت : ما بقى منها إلا كتفها، قال : « بقى كلها إلا كتفها » (٢).

والمعنى أن ما تُصدقَ به هو الباقى عند الله، وأما ما بقى من التصدق فهو الفانى . وقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير مَن الريح المرسلة » .

● **ذم البخـــل :**

يقول الله تعالى : ﴿**هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ**﴾ [محمد : ٣٨] .

يقول صاحب الظلال – رحمه الله – « فما يبذله الناس إن هو إلا رصيد لهم مذخور، يجدونه يوم يحتاجون إلى رصيد، يوم يحشرون مجردين من كل ما يملكون . فلا يجدون إلا ذلك الرصيد المذخور . فإذا بخلوا بالبذل، فإنما يبخلون على أنفسهم ؛ وإنما يقللون من رصيدهم ؛ وإنما يستخسرون المال فى ذاتهم وأشخاصهم ؛ وإنما يحرمونها بأيديهم ! أجل . فالله لا يطلب إليهم البذل، إلا وهو يريد لهم الخير، ويريد لهم الوفر، ويريد لهم الكنز والذخر . وما يناله شىء مما يبذلون، وما هو فى حاجة إلى ما ينفقون » انتهى .

والبخل والشح يدفعان الإنسان إلى الهلاك بما يمنعانه من أداء الواجبات،

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وبما يدفعانه إلى ارتكاب المحرمات حرصاً على المال . فعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتقوا الظلم فإن الظلمَ ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحّ فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » (١) .

يقول الشيخ سعيد حوى – رحمه الله – : « الشح من الأمراض التى تستحيل معها الألفة والحياة الجماعية والتعاون فتستباح بسببها العزلة، أرأيتَ لو أن كل إنسان ضن بوقته وماله وما يمتلك فإلى أى حد تبقى معانى التعاون والإيثار والبذل والتضحية والأريحيات والمروءات والعطف والمودة والمحبة والحنان، وإلى أى حد يغاث مستغيث، أو يفرج كرب عن مكروب، أو يتجاوب مع ملهوف، وأى حيوية للعلاقات تبقى بين أخ وأخ وبين جار وجار وبين قريب وقريب . ثم إذا جف الخير من القلوب وعم الشح فمن يجرؤ على الإقدام على مشروع خيرى أو مشروع من مشاريع الخدمة؟! ثم إذا عم الشح فكيف يقوم جهاد؟ أو تكون مواساة أو تقوم دولة؟! وكم من الناس وقتذاك سيموتون جوعاً وعطشاً وكمداً، فالعاجز من يقوم بأوده؟ والصغير من يعوله؟ والكبير من يعطف عليه؟ إنه عندما يعم البخل تتردد المرأة فى القيام بواجبات الأمومة ويتردد الرجل فى القيام بواجبات الزوجية » (٢) انتهى .

*   *   *

إنفاق الدعاة إلى الله

من طبيعة الطريق الذى اختاره الدعاة إلى الله ، أنه يحتاج إلى العطاء المتواصل والبذل المتجدد، والتضحية الدائمة، فيحتاج الدعاة إلى : البذل الواجب لمراعاة حقوق الأخوة، ويحتاجون كذلك إلى الإنفاق لتاليف الناس على الدعوة،

---

(١) رواه مسلم .   (٢) من كتاب (المستخلص فى تزكية الأنفس) ص ٢٠٩ .

ويحتاجون إلى الإنفاق لدفع الفساد والقضاء عليه، ويحتاجون إلى الإنفاق لنصرة المستضعفين فى الأرض، ويحتاجون إلى الإنفاق لنصرة إخوان العقيدة.

يقول ابن عمر رضى الله عنهما: «لقد أتى علينا زمان وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم» (١).

وقال على بن الحسين رضى الله عنه لرجل: «هل يُدخِل أحدكم يده فى كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه؟ قال: لا. قال فلستم بإخوان.

وعن زيد بن أسلم – رضى الله عنه – قال: لما نزل: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥، الحديد: ١١].

قال أبو الدحداح: فداك أبى وأمى يا رسول الله! وإن الله يستقرضنا وهو غنى عن القرض؟ قال: «نعم يريد أن يدخلكم الجنة به» قال: فإنى قد أقرضتَ ربى قرضاً يضمن لى به ولصبيتى الدحداحة معى الجنة؟ قال: نعم قال: ناولنى يدك، فناوله رسول الله ﷺ يده. فقال: إن لى حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية. والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضاً لله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك. قال: فأشهدك يا رسول الله أنى قد جعلتُ خيرهما لله تعالى وهو حائط فيه: ستمائة نخلة. قال: «إذن يجزيك الله به الجنة». فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهى مع صبيانها فى الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول:

هداك ربى سُبل الرشاد	إلى سبيل الخير والسداد
بينى من الحائط بالوداد	فقد مضى قرضنا إلى التناد
أقرضته الله على اعتمادى	بالطوع لا منٍّ ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف فى المعاد	فارتحلى بالنفس والأولاد
والبر لا شك فخير زاد	قدمه المرء إلى المعاد

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد.

فقالت أم الدحداح: ربح بيعك ! بارك الله لك فيما اشتريتَ ! وأجابته أم الدحداح وأنشأت تقول :

بشـرك الله بخـيـر وفـرح	مـثلك أدى مـا لديه ونصح
قـد مـتع الله عـيـالى ومنح	بالعـجوة السـوداء والزهو البلح
والعبد يسعى وله ما قد كدح	طول الليالى وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانهاتُخرج ما فى أفواههم وتنفض ما فى أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال النبى ﷺ : « كم من عِذق رداح ودار فَيَّاح لأبى الدحداح» أى فى الجنة (١) .

وإنما ينفق الدعاة إلى الله تعالى وهم يشعرون بالفقر والحاجة إلى الله تعالى ؛ فقراء إلى كرم الله بقبول نفقاتهم، فقراء إلى معية الله ورعايته لهم، يقول الله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾ [محمد : ٣٨] .

يقول صاحب الظلال – رحمه الله – : « والله الغنى وأنتم الفقراء » فهو الذى أعطاكم أموالكم، وهو الذى يدخر لكم عنده ما تنفقونه منها . وهو الغنى عما أعطاكم فى الدنيا، الغنى عن أرصدتكم المذخورة فى الآخرة، وأنتم الفقراء فى الدارين وفى الحالين . أنتم الفقراء إلى رزقه فى الدنيا، فما لكم من قدرة على شيء من الرزق إلا أن يهبكم إياه وأنتم الفقراء إلى أجره فى الآخرة، فهو الذى يتفضل به عليكم، وما أنتم بموفين شيئاً مما عليكم، فضلاً على أن يفضل لكم شيء فى الآخرة ، إلا أن يتفضل عليكم . ففيم البخل إذن وفيما الشح ؟ وكل ما فى أيديكم، وكل ما ينالكم من أجر على ما تنفقون هو من عند الله، ومن فضل الله؟ ثم الكلمة الأخيرة وهى فصل الخطاب . إن اختيار الله لكم لحمل دعوته تكريم ومَنٌّ وعطاء . فإذا لم تحاولوا أن تكونوا أهلاً لهذا الفضل، وإذا لم

(١) من كتاب (الإيمان والحياة) للدكتور يوسف القرضاوى حفظه الله .

تنهضوا بتكاليف هذه المكانة، وإذا لم تدركوا قيمة ما أعطيتم فيهون عليكم كل ما عداه . . فإن الله يسترد ما وهب، ويختار غيركم لهذه المنة ممن يقدر فضل الله .

« وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم » وإنها لنذارة رهيبة لمن ذاق حلاوة الإيمان، وأحسّ بكرامته على الله، وبمقامه في هذا الكون وهو يحمل هذا السر الإلهى العظيم . ويمشى فى الأرض بسلطان الله فى قلبه؛ ونور الله في كيانه ؛ ويذهب ويجيء وعليه شارة مولاه . . وما يطيق الحياة وما يعطيها إنسان عرف حقيقة الإيمان وعاش بها ثم تسلب منه، ويطرد من الكنف، وتوصد دونه الأبواب . لا بل إن الحياة لتغدو جحيماً لا يطاق عند من يتصل بربه ثم يطبق دونه الحجاب ، إن الإيمان هبة ضخمة ، لا يعدلها فى هذا الوجود شىء؛ والحياة رخيصة وضيعة، والمال زهيد، حين يوضع الإيمان فى كفة، ويوضع فى الكفة الأخرى كل ما عداه . . ومن ثم كان هذا الإنذار أهول ما يواجهه المؤمن، وهو يتلقاه من الله » انتهى .

* * *

(١٨) الرحمـــــــة

يقـول الشـيخ عـبـد الله ناصح علوان «الرحـمـة»: هى رقـة فى القلب، وحساسية فى الضمير وإرهاف فى الشعور، تستهدف الرأفة بالآخرين، والتألم لهم والعطف عليهم وكفكفة دموع أحزانهم وآلامهم ... وهى التى تهيب بالمؤمن أن ينفر من الإيذاء، وينبو عن الجريمة، ويصبح مصدر خير وبر وسلام للناس أجمعين» [١] .

● الرحمة من صفات الله :

يقول الله تعالى : ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ .

[الفاتحة : ٢ ، ٣]

ويقول تعالى : ﴿**وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**﴾ .

[المؤمنون : ١١٨]

والبسملة آية من أول كل سورة – على الرأى الذى أختاره – وهى تحتوى على اسمين من أسماء الله الحسنى وهما الرحمن، والرحيم .

ويقول تعالى فى الحديث القدسى : «إن رحمتى تغلب غضبى» [٢] .أى أن عفوه عن خطايا البشر يسبق عقابه لهم وسخطه عليهم» .

فالله تعالى هو أرحم بخلقه من غيره، إذ أنه هو الذى خلقهم، فهو أرحم بهم من أمهاتهم اللاتى ولدنهم.

وفى الحديث : «تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» [٣] .

● مَنْ الذين ينالون رحمة الله ؟

يقول الله تعالى :﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٦] .

فهؤلاء هم الذين ينالون النصيب الأكبر من رحمة الله.

---

(١) من كتاب (تربية الأولاد فى الإسلام) جـ١ ص ٣٦٠ : ٣٦١ .

(٢) رواه مسلم .   (٣) رواه البخارى .

وفى الحديث : أن رسول الله ﷺ قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن، أرحموا مَنْ فى الأرض يرحمكم مَنْ فى السماء » [١] .

وذلك لأن الجزاء من جنس العمل، فأهل الرحمة يعاملهم الله بالرحمة، وأهل العفو يعاملهم الله بالعفو، وأهل التجاوز من الناس يعاملهم الله بأن يتجاوز عنهم كما تجاوزا عن خلقه.

فعن حذيفة – رضى الله عنه – قال : أُتى اللهُ بعبد من عباده آتاه الله مالاً فقال له : ماذا عملتَ فى الدنيا؟ قال : ولا يكتمون الله حديثاً – قال : يارب آتيتنى مالك، فكنتُ أبايع الناس، وكان من خُلُقى الجواز، فكنت أتيسَّر على الموسر، وأنظر المعسر، فقال الله : أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدى؟

فقال عقبة بن عامر الجهنى وأبو مسعود الأنصارى : « هكذا سمعناه من فىّ رسول الله ﷺ » [٢] .

وتصديقاً لمبدأ « الجزاء من جنس العمل » يقول رسول الله ﷺ : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » [٣] .

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : سمعتُ الصادق المصدوق، وصاحب هذه الحجرة، أبا القاسم ﷺ يقول : « لا تُنزع الرحمة إلا منْ شقى » [٤] .

● **رحمة الرسول ﷺ :**

جعل الله تعالى الرحمة صفة أصيلة في رسوله ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح (من رواية عبد الله بن عمرو ابن العاص) .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى عن جرير بن عبد الله .

(٤) رواه أبو داود واللفظ له ، والترمذى وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى حديث حسن .

ويقول تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

ويقول تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١] .

بل إن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ وجعله رحمة لكل البشر، فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

يقول الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - : «ولقد أراد الله أن يَمْتَنَ على العالم برجل يمسح آلامه، ويخفف أحزانه ويرثى لخطاياه، ويستميتُ فى هدايته، ويأخذ يناصر الضعيف، ويقاتل دونه قتال الأم عن صغارها ويخضد شوكة القوى حتى يرده إنساناً سليم الفطرة لا يضرى ولا يطغى.. فأرسل محمداً عليه الصلاة والسلام وسكن في قلبه من العلم والحلم، وفى خلقه من الإيناس والبر، وفى طبعه من السهولة والرفق، وفى يده من السخاوة والندى، ما جعله أزكى عباد الله رحمة وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدراً» (١) .

● رحمة التشريع الإسلامى :

فمن رحمة الله بعباده أن شرع لهم ما يرفع عنهم الحرج، ويجلب لهم المصلحة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

فالرحمة فى اتباع كتاب الله؛ بتحليل حلاله، وتحريم حرامه؛ والبشرى فى تحقيق معنى الإسلام .

ويقول تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .
[الإسراء: ٨٢]

---

(١) من كتاب خلق المسلم .

ففى منهج القرآن رحمة من أمراض القلب التى تجعل حياة الإنسان عذاباً، بما فيه من نار الحقد، والحسد، والقلق، والحيرة، والشك، وعبودية الهوى؛ وفى منهج القرآن رحمة من أمراض النفس التى تجعل حياة الإنسان جحيماً؛ وفى منهج القرآن الرحمة من انحراف العقل وشروده؛ وفى منهج القرآن الرحمة لأعضاء الجسد بكفِّها عما هو من شأنه أن يصيبها بالضرر، وفى منهج القرآن الرحمة بتشريعاته التى ترفع الحرج والمشقة والعنتَ عن الناس، وتجعل المصلحة العامة مقصداً من مقاصده؛ وفى منهج القرآن الرحمة من العلل الاجتماعية التى تفتك بالمجتمع وتُفقده أمْنَه وطمأنينته.

وفى الحديث عن رفع الحرج كمقصد من مقاصد الشريعة يقول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ويقول تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا** ﴾.

[النساء: ٢٨]

وفى الحديث عن نفى الحرج والمشقة يقول تعالى: ﴿ **طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ** ﴾ [طه: ١، ٢].

ويقول تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة: ١٨٥].

* * *

مجالات الرحمة فى تشريعات الإسلام

أولاً: تشريع العبادات:

يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج: ٧٧: ٧٨].

يقول ابن كثير – رحمه الله – فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ أى ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشىء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً فالصلاة التى هى أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين تجب فى الحضر أربعاً، وفى السفر تقصر إلى اثنين، وفى الخوف تصلى رجالاً (مشاة) وركباناً، مستقبلى القبلة وغير مستقبليها. والقيام فيها يسقط لعذر المرض فيصليها المريض جالساً، فإن لم يستطع فعلى جنبه، إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات فى سائر الفرائض والواجبات. ولهذا قال عليه السلام: «بُعثتُ بالحنيفية السمحة»[1] انتهى.

ومن رحمة الله تعالى فى تشريع العبادات، أن رخص فى التيمم عند فقدان الماء أو العجز عن استخدامه، يقول تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦].

وروى الإمام أحمد بسنده إلى عبد الرحمن بن جُبير، عن عمرو بن العاص، أنه قال: «لما بعث النبى ﷺ عام ذات السلاسل، قال: احتلمتُ فى ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقتُ. إنْ اغتسلتُ أن أهلك، فتيممتُ ثم صليتُ بأصحابى صلاة الصبح. قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرتُ ذلك له فقال: «يا عمرو: صليتُ بأصحابك وأنتَ جنب؟ قال: قلتُ: يا رسول الله: إنى احتلمتُ فى ليلة باردة شديدة البرد فأشفقتُ إن اغتسلتُ أن أهلك فذكرتُ قول الله تعالى: ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾ فتيممت ثم صليتُ بأصحابى: فضحك الرسول ولم يقل شيئاً».

ومن التيسير فى تشريع العبادات، أن رخص الله للمسافر فى الجمع بين

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٣٩.

الصلاتين تقديماً وتأخيراً، وما جعل ذلك إلا تيسيراً، كما رخص الله للمسافرين في الفطر - في رمضان - فقال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤] .

ومن رحمة الله أيضاً في تشريع العبادات أن أسقط فريضتي الزكاة والحج عن غير القادرين عليهما .

ثانياً : في التشريع الاقتصادي :

فقد حرم الإسلام كل ما من شأنه أن يُوجد الشقاق والمشقة بين المسلمين، وأمر بكل ما من شأنه أن ينشر فيهم التراحم فيقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٣٠] .

فقد حرم الله الربا رحمة بالأمة لأنه يقوم على امتصاص الأغنياء لدماء الفقراء، فقد جاء في تفسير المنار : « فمن رحمة الله وإحسانه إلى خلقه أن حرم الربا ولعن آكله ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه وأعلن من لم يتركه بحربه وحرب رسوله ولم يجيء مثل هذا الوعيد في كبيرة غيره، ولهذا كان أكبر الكبائر » [١] .

وقد حرم الإسلام أكل الأموال بالباطل، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٢٩] .

قال صاحب تفسير المنار في قوله : (إن الله كان بكم رحيماً) « أي إنه كان بنهيه إياكم عن أكل أموالكم بالباطل وعن قتل أنفسكم رحيماً بكم، لأن في ذلك حفظ دمائكم وأموالكم التي هي قوام مصالحكم ومنافعكم، فيجب أن تتراحموا فيما بينكم ويكون كل منكم عوناً للآخرين على حفظ النفس ومدافعة رزايا الدهر » [٢] .

ومن رحمة الله بالمجتمع أن شرع حد السرقة ، وحد الحرابة (قطع الطريق)

---

(١) تفسير المنار جـ ٤ ص ١٢٦ .
(٢) تفسير المنار جـ ٥ ص ٣٨ .

حماية للامة من اعتداء القلة المنحرفة، ففى حد السرقة يقول تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

[المائدة : ٣٨]

وفى حد الحرابة يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

[المائدة : ٣٣]

وفى هذا التشريع ردع للفئة المنحرفة، وضرب على يد المفسدين، وذلك رحمة بالمجتمع كله . أما دعوى أن هذه العقوبات تتنافى مع حقوق الإنسان !! ومع الأسلوب الحضارى ! فهى دعوة للتضحية بالمجتمع كله من أجل فئة قليلة منحرفة . فهل من الرحمة إخافة المارة ! وتهديد أمنهم ! وسلب أموالهم ! وهتك أعراضهم ! وسفك دمائهم !

ثالثاً : فى التشريع الاجتماعى :

شرع الله الحدود والقصاص صيانةً للمجتمع ورحمةً به من عبث المفسدين.

ففى حفظ الأعراض فى المجتمع يقول الله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [النور: ٢] .

وفى حفظ الأعراض من إلصاق التهم بها، قال تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٤] .

وفى هذا التشريع ردع لأولئك الذين ينتهكون أعراض الناس بالاعتداء عليها، أو بإلصاق التهم بها، وفى هذا رحمة للأعراض من أن تنهشها ذئاب البشر.

وفى حفظ الأنفس والدماء: أوجب الله القصاص، حماية للمجتمع وصيانة له، ومع ذلك رغب فى العفو والتسامح.

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

[البقرة : ١٧٨ : ١٧٩]

فما جعل الله القصاص إلا رحمة للمجتمع من نار الثأر وما فيه من ظلم لخير الجانى، ومن إشاعة الفوضى فى المجتمع، حيث يفقد المجتمع أمنه واستقراره.

* * *

من التطبيقات العملية للرحمة

١ - الرحمة بالوالدين: ويكون ذلك بخفض الجناح لهما، والقيام على خدمتهما، وحُسن رعايتهما، والتذلل لهما لكسب ودهما.

يقول الله تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤].

٢ - الرحمة بالنفس: ويكون ذلك بعدم تكليف النفس ما لا تطيق، وإعطاء حق الجسد من الراحة، والتغذية، واجتناب الأطعمة والأشربة التى حرمها الله على الإنسان، فضلاً عن تجنب كل ما من شأنه أن يجلب على النفس عذاب الله وغضبه.

٣ - الرحمة بالأولاد: ويكون ذلك بحُسن تربيتهم، انطلاقاً من مسئوليته عنهم أمام الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

كما تكون الرحمة بهم بإشباعهم من العطف والحب والحنان.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «قبَّل رسول الله ﷺ الحسن أو الحسين ابن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمى، فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبلتُ منهم أحداً قط ! فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «من لا يَرحم لا يُرحم» ، وفى رواية «أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك» (١) .

وعن البراء رضى الله عنه قال: «أتى أبو بكر عائشة وقد أصابتها الحمى. فقال: «كيف أنت يا بنية؟ وقبَّل خدها» (٢) .

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت: قدم ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ فقالوا: «أتقبلون صبيانكم؟ قال: نعم. قالوا: لكنا ما نقبل .. فقال: ﷺ: «أو أملك إنْ كان الله نزع من قلوبكم الرحمة» (٣) .

٤ - **الرحمة بين الزوجين**: يقول الله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الروم: ٢١] .

فخُلق الرحمة يجب أن يكون سائداً بين الزوجين؛ ولا يقلل من شأن أحدهما أن يُعين الآخر على أعبائه المكلف بها، رحمةً به.

٥ - **الرحمة بالخدم**: فعن أبى مسعود الأنصارى البدرى: قال: «كنتُ أضرب غلاماً لى بالسوط ، فسمعتُ صوتاً من خلفى: أعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا منى إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: «أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام، فقلتُ: يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى. فقال: أما لو لم تفعل للفحتك النار» (٤) .

وجاء رجل يسأله ﷺ: «كم أعفو عن الخادم؟ قال ﷺ: «كل يوم سبعين مرة» ، وقال ﷺ: «من ضرب سوطاً ظلماً اقتُص منه يوم القيامة» (٥) .

---

(١) رواه البخارى . (٢) رواه البخارى . (٣) متفق عليه .
(٤) رواه مسلم . (٥) رواه البخارى.

٦ - الرحمة بالمستضعفين عند الحرب: فمن رحمة الإسلام فى القتال ان نهى عن قتل الأطفال والنساء - الغير محاربات - والشيوخ، فهذا أبو بكر الصديق يودع جيش أسامة بن زيد ويوصيهم قائلاً: «لا تقتلوا امرأة ولا شيخاً ولا طفلاً، ولا تعقروا نخلاً ولا تقطعوا شجرة مثمرة، وستجدون رجالاً فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما أفرغوا أنفسهم له» .

٧ - الرحمة بالحيوان: شرعتْ السنة المشرفة، ودعتْ إلى الرحمة بالحيوان؛ فأمر الرسول ﷺ بالإحسان فى القتل والذبح، فقال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدْ أحدكم شفرته وليُرح ذبيحته»[١] .

ونهى الرسول ﷺ عن ركوبها لغير غرض و منفعة ، وقد دخل رسول الله ﷺ على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل ، فقال لهم: "اركبوها سالمة ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسى لأحاديثكم فى الطرق والأسواق ، فرب مركوبة خير من راكبها، وأكثر ذكرا لله منه» [٢] .

وجعلت السنه المشرفة الرحمة بالحيوان سبباً لمغفرة الذنوب، فقال ﷺ: «بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى! فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب ، فشكر الله تعالى له فغفر له. قالوا: يا رسول الله: «وإن لنا فى البهائم لأجراً»؟ قال: «فى كل ذات كبد رطبة أجر»[٣].

بل قد جعلت السنة المشرفة إيذاء الحيوان سبباً فى دخول النار، فقال ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها و لم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[٤] .

---

(١) رواه مسلم عن شداد بن أوس .
(٢) رواه الدرامى وأبو داود والإمام أحمد .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه البخارى .

أثر التراحم فى سعادة البشر

(١) التراحم والتآلف يجمعان القلوب على أخوة متعاونة متحابة.

يقول تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٣] .

(٢) الصلح بين المتخاصمين يؤدى إلى رحمة تعم المؤمنين، وتشمل مجتمعهم، فضلا عن رحمة الله لهم يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات:١٠] .

(٣) الرحمة تجعل من العدو صديقاً حميماً :يقول الله تعالى :﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت:٣٤] .

* * *

ضرورة الرحمة للدعاة إلى الله

يعمل الدعاة إلى الله تعالى انطلاقاً من قلوبهم التى تنبض بالرحمة والشفقة على الناس وإرادة الخير لهم والنصح ، وذلك بدعوتهم الى الإسلام ، لأن فى اتباعهم واستجابتهم لهذه الدعوة نجاتهم من النار ، وفوزهم برضوان الله. يقول الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[الاعراف:٥٩]

فخوفه عليهم من عذاب الله هو الذى دفعه لان يهب لإنقاذهم.

وقد رموه بالضلالة، فقال لهم: ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن

رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[الاعراف: ٦١: ٦٣]

ويبين جواب نوح عليه السلام كيف أن الدعاة إلى الله تعالى يتحركون بين الناس مبلغين رسالات الله، ناصحين للمدعوين ، انطلاقاً من حبهم للناس وإرادة الخير لهم ، ومن ثم إخراجهم من الظلمات إلى النور رحمة بهم ، و هل يضحى الدعاة إلى الله بأموالهم وأوقاتهم – و أنفسهم أحياناً – إلا ليأخذوا بأيدى الناس الى طريق النجاة؟! وهل يتحمل الدعاة إلى الله جميع أصناف الأذى و الاضطهاد إلا لينقذوا الناس من عذاب الله ؟! و قد يكون المدعوون لا يُقدرون ما يريد لهم الدعاة من الخير والرحمة فيرمونهم بأصناف الأذى والاضطهاد، يقول ﷺ : «إنما مثلى و مثل أمتى كمثل رجل استوقد ناراً فجعلتْ الدواب والفراش يقعن فيه ، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه» (١) .

و لكن الدعاة إزاء هذا التطاول من الناس ، يقابلونه بالعفو والصفح ، ويكون شعارهم (اللهم اهد قومنا فإنهم لا يعلمون) .

و بعد هجرة الرسول ﷺ إلى الطائف وأثناء رجوعه الى مكة : (أتى جبريل رسول ﷺ فقال : (إن الله قد سمع قول قومك لك و ماردوا به عليك ، و قد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال وسلم عليه و قال : مرنى بما شئت .. إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال ﷺ : «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً» (٢) .

و الدعاة الى الله تعالى إذا لم تكن الرحمة سجية لهم نفر الناس منهم ومن دعوتهم ،هذه عادة الناس أنهم ينفرون من القلب القاسى، الفظ، الغليظ .

---

(١) رواه مسلم .   (٢) رواه الشيخان .

يقول الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

فعلى الدعاة أن يتكلفوا الرحمة و الرفق ، إن لم يكونوا رحماء ، حتى يكتسبوها و يألفوها و تكون سجية لهم.

يقول ﷺ : «إنى لأقوم الى الصلاة وأريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبى، فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه» (١) .

* * *

(١) رواه البخارى عن أبى قتادة بن الحارث، ومعنى أتجوَّز : أتخفف .

(١٩) الحلم

الحلم هو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب [١].

فمثيرات الغضب كثيرة ، ومن الناس من يثار لأتفه الأسباب، فيغضب، فيخرجه غضبه عن وعيه وإدراكه، فيفعل بعض الأمور التى قدينكرها على نفسه فى حالة الرضا، ويتخذبعض القرارات نتيجة إغلاق عقله وعجزه عن التفكير السليم، و من الناس من لا تثيره المثيرات العنيفة، وإذا أثارته تمالك نفسه ،فلم يظلم و لم يضرب، ولم يخرج عن وعيه و إدراكه، وهذا هو القوى الشديد، فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما تعدون الصُرعة فيكم؟ قالوا الذى لا تصرعه الرجال. قال: «لا ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب» [٢] .

ولقد حذر الرسول ﷺ من الغضب الذى يخرج صاحبه عن حد الاعتدال. فعن أبى هريرة رضى الله عنه «أن رجلاًقال للنبى ﷺ أوصنى قال: «لا تغضب » فردد مراراً قال «لا تغضب» [٣].

فضله:

(١) جعل الله عز وجل الحلم و العفو من صفات المتقين الذين يسارعون الى مغفرة الله وإلى الجنة فقال تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

[آل عمران : ١٣٣ : ١٣٤]

(٢) الحلم يحيل العداوة مودة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهانى .
(٢) رواه مسلم . (٢) رواه البخارى .

السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥] .

(٣) جعل الله تعالى الصفح والعفو والحلم من علامات القوة ، وليس من علامات الضعف والعجز ، قال تعالى : **﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾** [الشورى: ٤٣] .

(٤) الحلم يحبه الله تعالى : فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس « إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة »[١] .

و عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله »[٢] .

وعنها رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف ، ومالا يعطى على ما سواه »[٣] .

و عنها أيضاً قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه و لا ينزع من شىء إلا شانه »[٤] .

(٥) الحليم العفو يدعوه الله يوم القيامة ليخيِّره من الحور العين ما شاء ،فعن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كظم غيظاً و هو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء »[٥] .

(٦) جعل الله تعالى الحلم من صفات عباده الذين يُجزون الغرفة بما صبروا، فقال تعالى : **﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾** [الفرقان: ٦٣] .

(٧) يُحرِّم الله تعالى النار على كل هين لين سهل ، فعن ابن مسعود رضى

---

(١) رواه مسلم . ومعنى الأناة : التثبت وترك العجلة .
(٢) متفق عليه . (٣) رواه مسلم . (٤) رواه مسلم .
(٥) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن .

الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمنْ يحرُمُ على النار -أوبمَنْ تحرم عليه النار - تحرم على كل قريب هين لين سهل» (١) .

(٨) الحلم من صفات الأنبياء والمرسلين: يقول الله تعالى واصفاً إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود:٧٥] .

ويقول واصفا إسماعيل عليه السلام: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾

[الصافات: ١٠١]

حلم الرسول ﷺ:

لقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى فى الحلم والعفو والصفح الجميل، فعن عائشة رضى الله عنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شىء قط، إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى» (٢) .

وعن أنس رضى الله عنه قال: «كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذه شديدة، فنظرتُ إلى صفحة عاتق النبى ﷺ و قد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد: مُر لى من مال الله الذى عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء» (٣).

ولا يغيب عنا ما فعله من عفو عام عن أهل مكة بعد فتحها فى السنة الثامنة من الهجرة.

* * *

نماذج من أهل الحلم والعفو

١ - حلم عمر بن الخطاب:

على قدر ما كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قوياً فى الحق، لا يخشى فى الله لومة لائم، على قدر ما كان حليماً عفواً، فعن ابن عباس

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن . (٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه .

رضى الله عنهما – قال: قدم عُيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحُر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه ، وكان القُراء أصحاب مجلس عمر – رضى الله عنه، ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن اخى لك وجه عند هذا الأمير فاستأذنْ لى عليه ، فاستأذَنَ، فأذن له عمر. فلما دخل قال: هيْ يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل و لا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر رضى الله عنه حتى هَمَّ أن يوقع به. فقال له الحر: يا أمير المؤمنين: إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» وإن هذا من الجاهلين، والله ماجاوزها عمر حين تلاها ، وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى)[1].

وإنما غضب عمر وأراد أن يعاقبه لأنه تجرأ عليه دون أن يكون له ناصحاً أو لحقه طالباً.

٢ – حلم أبى بكر الصديق – رضى الله عنه – :

لقد كان أبو بكر لين الطبع يُؤثر العفو على المؤاخذة، والحلمَ على الثأر والانتقام، ولكن رغم ذلك فإن موقف مسطح (وكان من أقاربه) من حادث الإفك - حين خاض مسطح مع الخائضين فيه – غضب أبو بكر وأقسم ألا ينفق عليه فنزل القرآن ليرد أبا بكر إلى صوابه وحلمه وعفوه، فقال تعالى: ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾

[النور : ٢٢]

فرجع أبو بكر مرة أخرى للإنفاق على مسطح .

٣ – حلم أبى ذر – رضى الله عنه – :

فقد روى أن رجلاً شتم أبا ذر – رضى الله عنه – فقال له: يا هذا لا تستغرق فى شتمنا ودع للصلح موضعاً.. فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكبر من أن نطيع الله فيه.

---

(١) رواه البخارى، هيْ: كلمة تهديد، الجزل: الكثير.

٤ - حلم الشعبي الفقيه - رحمه الله - :

شتم رجل الشعبي فقال له: إن كنتَ صادقاً يغفر الله لي، وإن كنتَ كاذباً يغفر الله لك .

٥ - حلم ضرار بن القعقاع :

قال رجل له ذات يوم: والله لو قلتَ واحدة لسمعتَ عشراً.. فقال له ضرار: والله لو قلتَ عشراً لم تسمع واحدة !

٦ - حلم الشافعي - رحمه الله - :

روى أن الشافعي - رحمه الله - خرج ذات يوم من المسجد فقال له رجل: يا شافعي: قال: لبيك. قال: أنت فاسق !

فقال الشافعي: اللهم إنْ كنتُ كما قال فتب عليَّ. وإن لم أكن كما قال فاغفر له.

وفي اليوم الثاني: حدث كما حدث في اليوم الأول، وفي اليوم الثالث كذلك.

فقال له الشافعي: يا هذا: إن العالم كالشجرة، والعلم كالثمرة. فخذ الثمرة ولا شأن لك بالشجرة، فعاتبه صاحب له: أمَا كان لك أن ترد عليه؟!

فقال الشافعي :

يخاطبني السفيه بكل قبح وآبى أن أكون له مجيباً
ويزيد سفاهة وأزيد حلماً كعود زاده الإحراق طيباً

* * *

حلم الدعاة إلى الله

يقول الله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] .
ويقول أيضاً: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾
[الأعراف : ١٩٩]

ففي هذين الموضعين يأمر الله عز وجل رسوله ﷺ بالصفح والعفو، وهذا ينبغي أن يتصف به كل الدعاة إلى الله عز وجل.

فعن ابن مسعود – رض الله عنه – قال: «كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (١) .

ونرى ذلك واضحاً في شخصية هود عليه السلام، فتراه يقابل جهل قومه عليه بحلمه عليهم، يقول الله تعالى حكاية عن قوم هود: ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٦ : ٦٨] .

ومن حلم الدعاة إلى الله تعالى؛ الرفق في تعليم الجاهل والصبر على جهله وغضبه، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: «بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ : «دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً من ماء، أو ذنوباً من ماء، فإنما بُعثتم مُيسرين ولم تبعثوا مُعسرين» (٢) .

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «يَسِّروا ولا تُعسِّروا وبشِّروا ولا تُنفِّروا» (٣) .

* * *

(١) متفق عليه . (٢) رواه البخاري . (٣) متفق عليه .

الفهــرس

رقـم الإيداع : ٢٠٠١/٤٧٢٩